دراسات قومية
العــدد الرابع

مــائة نتيجــة

لحــرب الســـادس من أكتوبر

بقلم
محمود المصرى

دراسات قومية
العدد الرابع

مائة نتيجة
لحرب السادس من أكتوبر

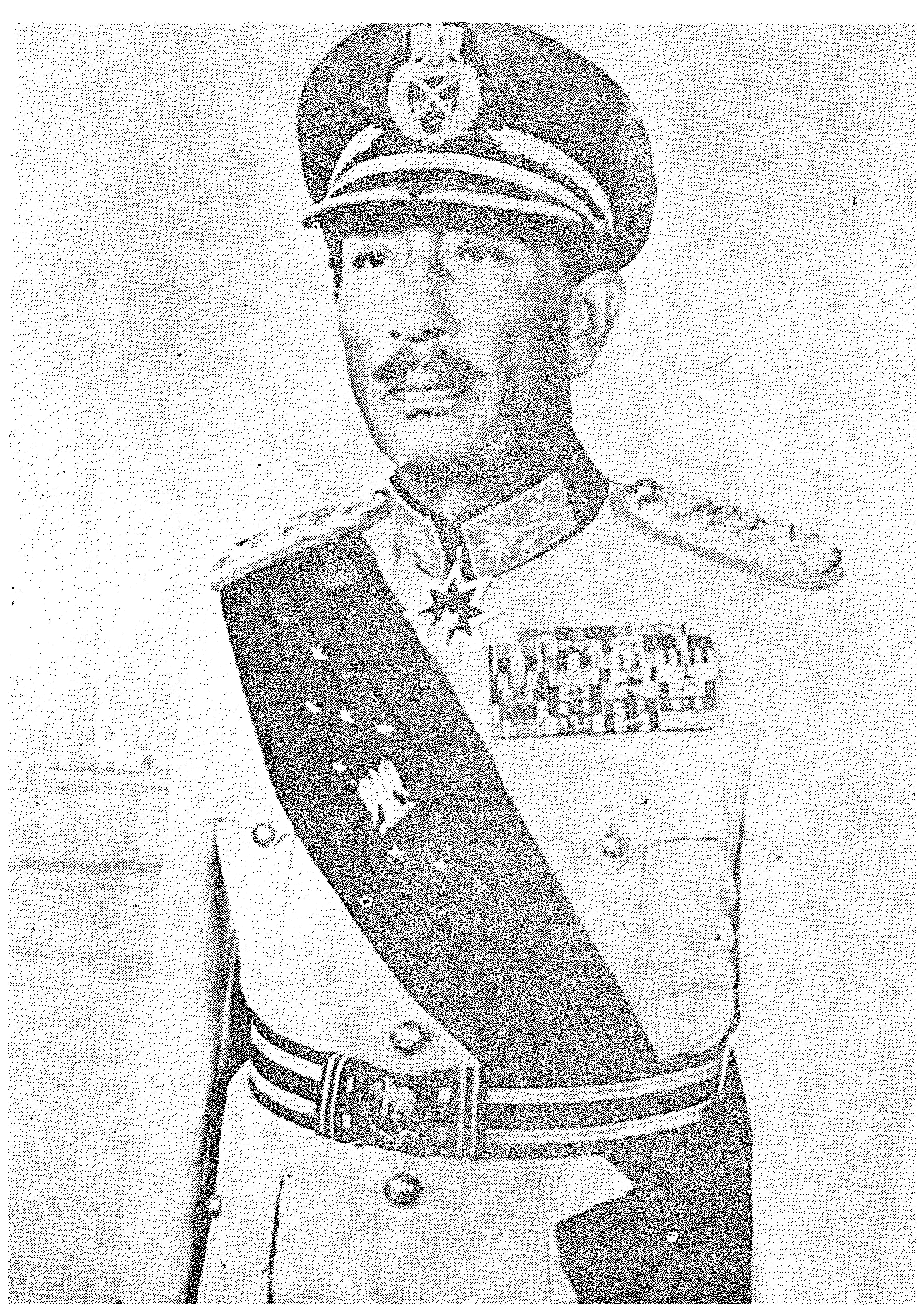
بقلم
محمود محمد احمد المصرى

الطبعة الاولى
١٩٧٩

بسم الله الرحمن الرحيم

« وان جنــدنا لهم الغالبــون »

صــدق الله العظيم



قائد العبور وبطل اكتوبر الرئيس محمد انور السادات

اهـــداء

الى اخوتى فى مصر ، وفى كل بلد عـربى ٠

الى رفقـاء السـلاح ، وزملاء الكفاح ٠٠ على طريق حطين وعين جالوت وسـيناء والجولان ٠

الى الذين يعرفون قـدر أكتوبر ، أو لا يعرفون ٠

الى الذين يعرفون وينكرون ، ويحقـدون ويزايدون ، وهم بذلك يحـاربون ثم يتحاربون ٠

الى شهدائنا وهم (أحيـاء عنـد ربهم يرزقون) ٠

الى جنـودنا الذين عبروا بمصر من الذلة الى الكرامة ، ومن اليـأس الى الأمل ٠

الى قائد العبـور ، الذى يكتب تاريخ المنطقة بحـروف من نار وحروف من نور ٠

الى بطل أكتـوبر ، الى بطل نوفمبـر ، الى بطل الحـرب ، الى بطل السـلام ٠

أهـدى هـذا الكتاب المتواضع : مائة نتيجة ـ لحـرب السادس من أكتوبر ٠

المؤلف

تمهيــد

لا شـك أن حـرب ٦ أكتـوبر ١٩٧٣ هى عـلامة بارزة فى التاريخ العـربى المعاصر ، اذ أنها وضعت حـدا فاصـلا بين عهـدين فى تاريخ صراعنا الحضـارى مع اسرائيل ، وصـارت تمثـل نقطة تحول حاسـمة فى مسـار هـذا الصراع ، وكانت بمثابة فاتحة لعهـد جـديد يختلف تماما فى أغلب سماته عن العهـد الذى سبقه ، وذلك بعـد أن نقلت الأمة العـربية من مرحلة تاريخيـة الى مرحلة تاريخية متقـدمة ، وأصبحت تاريخا يميز ما بعـده عما قبله ، وصـار عالم ما بعـد أكتـوبر يختلف كثيرا عن عالم ما قبل أكتـوبر ٠

لقـد أتمت قواتنا المسـلحة انجازا عسـكريا ناجحا ضـد اسرائيـل ، وانتـزعت نصرا عزيزا لم يتحقق للعـرب منـذ أيام صـلاح الدين ، وحققت نجاحا أكيـدا ما زال يفرض نتائجه على المواقف العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية حتى اليوم ، وأفاق العـالم العـربى وأفاق العـالم الخارجى ، ومازالا يفيقان على (حقائق ما بعـد أكتوبر) ٠

ومع ذلك فان نتائج حـرب أكتـوبر لا تأخـذ حقهـا الاعلامى العادل ، فلم تبرز وسائل الاعلام أهميتها الاستراتيجية وتأثيرها الايجابى البناء على المجتمع العـربى فضلا عن تأثيرها السـلبى المدمر على المجتمـع الاسرائيلى ، رغم أن العـدو الصـهيونى هـو أكثـر النـاس فهما لنتائج هـذه الحـرب التى قوضت أمنه وحطمت كافة الاستراتيجيات التى آمن بهـا وعاش عليها ، كما أنه هو أكثر النـاس احساسا بخطورة هـذه المعركة التى شبهها موشى ديان بزلزال دمر (الهيكل الثالث) ٠

ولقــد تكالبت الذئاب على نصر اكتوبر تريد أن تهون منــه منــذ اليــوم الثانى للحــرب ، ولم تكن الذئاب من العقارب والأعداء بقــدر ما كانت من الأقارب والأصدقاء ، كانت الذئاب من بعض أناس ينتسبون الى العربية والاسلام فى فروعهم وأصولهم والى الشيوعية والالحــاد فى مصالحهم وأيديولوجيتهم ، ومنهم من كانوا يمزقون بينهم قميصا متهرئا أهلكته الهزائم فأمسى أصحابه يكرهون النصر ٠

واذا كانت قــوى هــذه الحــرب لا تزال تعمــل عملها وتنتج آثارها وتؤتى ثمارها ، الشىء الذى جعل نتائجها أكبر من أن تقيــم وأكثر من أن تحصى ، فنحن أحــوج ما نكــون الى الحفاظ على هــذه القــوى من أى تبــديد يريده لهــا البعض من الحاقدين والمزايدين الذين لا يسرهم الا ابطال مفعولها ولا يسعدهم الا توقف نتائجها ، بل نحن أحوج ما نكــون الى دعم قوى هــذه الحــرب وتنميتها ٠

وليس أصدق من عبارة قالهــا الزعيم العــربى التونسى الحبيب بورقيبه « ان نتــائج حرب أكتوبر لم نقــدر على استيعابها حتى الآن ، وسوف تظل هــذه الحرب تعطينا الكثير » ٠

مائة نتيجـة

لحـرب السادس من أكتـوبر

لقـد كانت أولى نتائج معـركة ٦ أكتوبر ١٩٧٣ هى انقشاع الغمـة التى أعقبت هزيمة ٥ يونيو ١٩٦٧ ، وازاحة الكابوس الذى ظل يجثم على صـدورنا منـذ وقـوع هـذه النكسـة ، وعبور الشعور بالهزيمة والمـذلة والمهـانة ، وسقوط حائط الخـوف واليأس والتمزق ، وعـودة الروح والأمل والثقـة الى النفس المصرية والعربية بعـد أن كاد البعض يسـلم لاسرائيل ليس فقط بوجـودها ٠٠ ولكن بسطوتها أيضـا ٠

لقـد أدت هـذه الحـرب الى تأكيـد شجاعة الجنـدى المصرى التقليـدية ـ الذى لم تتح له فرصـة الاشتباك مع عـدوه فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ـ واثبـات قـدرته القتالية ومهارته فى استيعاب أجهـزة أول حـرب الكترونية ضخمة فى التاريخ الحـديث ، واستعادة سمعة قواتنا المسـلحة المصرية والعربيـة التى أبهـرت العـالم فى عين جالوت وحطين وسـيناء والجـولان ٠

لقـد عادت الثقة للجنـدى والضابط والقائد والمخـطط المصرى ، بعـد أن خـرج من قمقمه ، وبعـد أن دخـل مع عـدوه فى أول مواجهة فعليـة وعـادلة ، فكان الجنـدى المصرى فى بؤرة اهتمام العـالم وهو يعـبر قناة السويس ويقتحم خـط بارليف ، ويثبت للدنيـا أن روحه أرخص ما لديه ، وأن أرضـه أغلى ما عنـده ، وأن العـرب ليسـوا سـادة الكلمـات والخطب ، وانمـا هم سـادة الحـرب اذا

ما تعلق الأمر بالحرية والكرامة ؛ فى الوقت الذى يرفعون فيه شعار السلام القائم على الحق والعدل ، ويحملون لواء البناء والتعمير ، لا حراب القتل ومعاول التدمير ٠

لقد اعترف الاستراتيجيون فى العالم كله بوزن المقاتل المصرى وحتمية وضعه فى الاعتبار فى أية حسابات تتعلق بالمنطقة العربية ومصيرها ٠

وكم من خبير عسكرى لم يستطع أن يخفى دهشته بعد أن ظن أن الاقتحام المصرى لخط بارليف لم يكن ليتم الا بسلاح (نووى) ، ذلك الخط الذى وصفوه فى اسرائيل بأنه « مقبرة الجيش المصرى ، والصخرة التى سوف تتحطم عليها عظام المصريين » ، ثم وصفوه بعد ٦ أكتوبر بأنه « قطعة من الجبن الكثير الثقوب » ٠

وكما أعادت هذه المعركة لقواتنا المسلحة ثقتها بنفسها ، أعادت للشعب ثقته فى قواته المسلحة ٠

لقد أعادت هذه المعركة احساس الشعب المفتقد بتلاحمه مع الجيش ، كما أعادت له ايمانه بأن قواته المسلحة هى (جيش الشعب) وليس لأحد أو لمجموعة من (مراكز القوى) ٠

لقد أكدت هذه الحرب أهمية التلاحم بين الشعب وقواته المسلحة ، كما تأكد أنه عندما يصارح الشعب بالحقائق كلها تصبح المعركة معركة الشعب كله ٠

لقد تمنى كل فرد من الشعب ـ خلال المعركة ـ أن يشارك فى انتصاراتها مع الجيش ، أو أن يفتدى بنفسه فردا من قواته المسلحة ٠

لقـد تأكـد للشعب أن شرف الخـدمة العسكرية لا يدانيـه شرف ، كما تأكـد للجيش أن الثقة التى وضعها الشعب فيه هى الوسام الذى لا يعلوه وسام ٠

ولقـد أكـدت هـذه الحرب النظرية القـديمة قـدم التاريخ الانسانى وهى أن النصر أولا وأخيرا يحققه الانسان الحـر ، المتمتع بروح معنوية عالية ، الممارس لحقه وواجبه ، المؤمن بوضوح هـدفه وعـدالة قضيته ٠

لقـد أكـدت هـذه الحـرب أهمية ثورة التصحيح وأهميـة اجراءاتها التى تمثلت فى اطلاق الحريات وتصفية المعتقلات والحراسات واقامة دولة المؤسسات على أسس من احترام الدسـتور وسـيادة القانون ، وتحويل الشرعية الثورية الى شرعية دستورية ، وتحرير ارادة الانسان من عقـد الخوف والقهر والتسلط والسلبية والانهزامية لتنبعث فيه دوافع البنـاء والقـوة الوطنية والعسكرية ٠

لقـد أكـدت أن النصر حليف المقاتل دفاعا عن قيم ومثل ، وليس دفاعا عن فـرد أو طغمة ٠

لقـد أكـدت الفرق بين ارادة ترسف فى السلاسل والأغلال ، وارادة تنهض على العـزة والكرامة ٠

لقـد أبرزت أثر الحـرية والديمقراطية على معنويات الشعوب واطلاق ملكاتها فى الحـرب والسلم على حـد سواء ٠

فلم ينتظر قائد العبـور أن يحقق نصرا مؤكـدا يسـترجع به شرف للوطن فى ٦ أكتوبر قبل أن يحقق ثورة تصحيحية يسترجع بها شرف المواطن فى ١٥ مايو ٠

ان ثورة التصحيح يمكن أن تكون نتيجة لاتخاذ قـرار الحرب قبلها ، وذلك لاعـداد الأرض الصلبة التى ستنطلق منها شرارة هـذه الحـرب الظافـرة ، ويؤيـد هـذا المعنى قول الرئيس الســادات **« فى اللحظة التى توليت فيها مسئولية الحكم قـررت أن أقوم بالهجوم وكان هـذا قـدرى »** •

ومع ذلك فان شهادة ميلاد نصر أكتوبر ، ستذكر أنه الابن الشرعى الطبيعى لثورة مايو ، التى قـدمت الى ساحة الفـداء جنودا يؤمنون بأن مصر مصرهم ، وأن الأرض أرضهم وعرضهم ، وأن شرف النصر سيعود عليهم ، وأن راية المجـد ستؤول اليهم ، وأنهم يحاربون تحت راية مصر •• وتحت شعار (الله أكبـر) •

ولقـد أثبت نصر ٦ أكتوبر أن هزيمة ٥ يونيو ماكانت الا نصرا رخيصا لاسرائيل تحقق تحت مظلة تيارات دولية هيأت لها فرصة نجاح عابر ، وأنها لا تعـدو أكثر من كونها ضربة غادرة قـد نبهت أنظارنا وأنظار العالم كله الى خطور دور اسرائيل فى منطقتنا العربية ، كما أسـقطت قنــاع الزيف الذى تخفى وراءه طبيعتهـا العـدوانية والتوسعية •

لقـد كانت حـرب الأيام الستة جولة سياسية أخـذت الشعب الاسرائيلى مع قادته فى رحلة بعيـدة عن الواقع ، وظن القــادة الاسرائيليون أنهم أصبحوا على عتبة (الامبراطورية الاسرائيلية) ، وليس أدل على ذلك من قول أريك شارون فى أعقاب هـذه الحـرب « اننا الآن نستطيع الاستيلاء على الدار البيضاء ، وكل ما سنحتاجه لذلك هو أن نعيـد تزويد مدرعاتنا بالوقود من الجـزائر » •

لقـد أثبتت حـرب أكتوبر لاسرائيـل أن سياستهـا كانت قـد انفصلت عن الواقع منــذ انتصارها العابر فى حـرب يونيو ، وأن واقعها فى المنطقة العربية ـ حقـا ـ هو واقع غريب •

كما كشــف نصر ٦ أكتوبر كــذب المبالغة فى ابراز هوة سحيقة تفصل بين ضعف العــرب وقــوة اسرائيل عقب هزيمة ٥ يونيو ، وأوقف النصر هــذه الصــورة قبــل أن تتحول ـ بالاذكاء الذاتى العــربى وبالتــدعيم الاعلامى الاسرائيلى ـ الى تصور قومى متكامل ، فالانهيار الحقيقى للأمة يحــدث حين تفقــد ثقتها فى كل قــدراتها وامكانياتها ، وتتصور نفسها أمة من الأقزام فى عالم من العمالقة •

لقــد كاد يستقر فى نفوسنا بعــد هزيمة ٥ يونيو أن اسرائيل قوة حربية لا تقهر وعبقرية سياسية لا تبارى ، وبعد نصر ٦ أكتوبر وما تبعه من نجاحات سياسية متوالية ، سقط القناع عن جوهــر اسرائيل وانكشفت على حقيقة أنها ليست فى الحــرب ولا فى السياسة كما كنــا نظن •

لقــد أسهمت هــذه الحــرب ـ بما تضمنته من أداء عســكرى وسياسى بارز ـ فى تحطيم الأساطير التى صاغتها ببراعة شــديدة كتابات المستشرقين الصهاينة حول عجز الشخصية العربية وعقمهــا وتخلفهــا اذا ما قورنت بالشخصية الغربيــة عامة ، وبالشخصية الاسرائيلية على وجه الخصوص •

لقــد اعتبرت اسرائيل العالم العــربى (الرجل المريض) الذى أعــدت له العــدة لدفنه ووراثته ، وليس أدل على تصورات اسرائيل هــذه من (وثيقة جاليلى) التى تبناها حــزب العمل الاسرائيلى قبيل أسابيع من حــرب أكتوبر ، والتى كانت تدعو الى ضــم الأراضى العربية المحتلة الى اسرائيل ، أو مطالبة اسرائيل لمصر بتقاسم عوائد المرور من قناة السويس لو فتحها المصريون فى ظل مدافع الاسرائيليين •

لقــد أثبتت هــذه الحرب حقيقة حجم اسرائيل وطبيعتها وغرابة وضعها وخطأ زرعها فى الجسم العــربى ، وأن اسرائيل بموقعهــا

وبنائها وفلسفتها لا مستقبل لها فى هـذه المنطقة ، وأنهـا كيـان محكوم عليه تاريخيا خصوصا اذا استطاع العرب حولها أن يدفعوا حركة التاريخ •

وأنه اذا كان الاسرائيليون يمثلون تحـديا تكنولوجيا فان العرب حولهم يمثلون تحـديا أيديولوجيا لا قبل للاسرائيليين ولغيرهم به •

وانه أيا كانت الهزائم التى تكبـدها العـرب فلن يهـزموا هزيمة فاصلة ، ولن تملك اسرائيل أن تكون المنتصرة فى نهـاية المطـاف •

وأن التاريخ قـد يسمح لاسرائيل بتفوق لبعض الوقت على بعض العـرب ، ولكن التاريخ لا يمكن أن يسمح بتفـوق لاسرائيـل طول الوقت على كل العـرب •

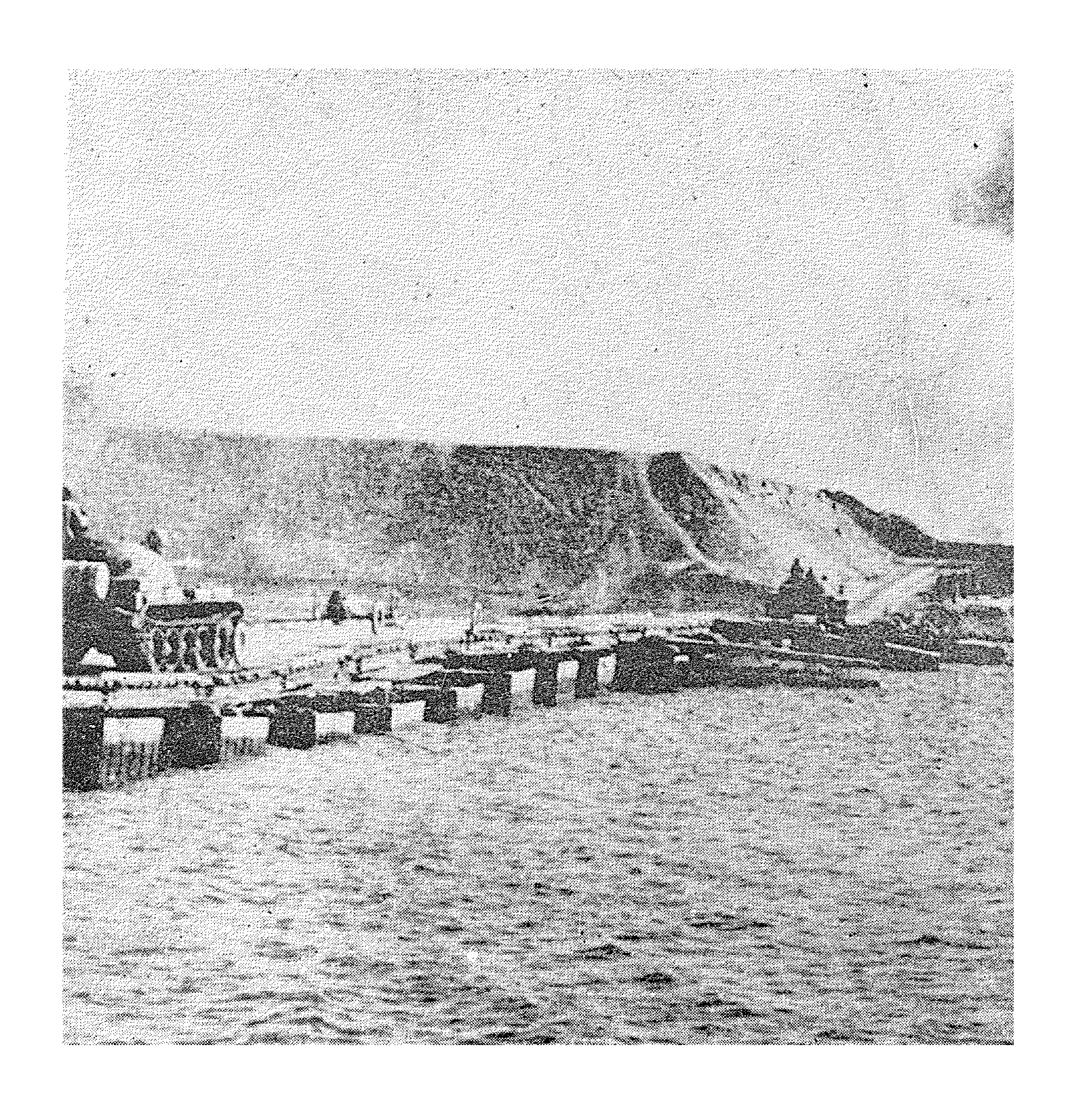
ولقـد تستطيع اسرائيل ـ فرضا ـ أن تقلب ميزان أكتوبر ، ولكن ، بأى ثمن يمكن أن تحقق ذلك ؟ وكم من الوقت سوف يدوم لها أى وضع جـديد ؟ •

وليس أدل على صـدق هـذه الحقائق من قول شـوآين لاى « ان اسرائيل دولة لم تصنعها أحكام الطبيعة ولكنها دولة صـنعتها حماقة الانسـان » •

يقـول جويدو جولدمان المعلق السـياسى اليهـودى الأمريكى « ان خسـائر اسرائيل البشرية فى حرب يوم الغفران تزيد فى نسبتها المئوية الى سكانها اليهود عن نسبة خسـائر الولايات المتحـدة فى حـرب فيتنام ، كما أن التكاليف المروعة لجولة حربية أخرى ستكون



لقـد كانت أولى نتائج حرب أكتوبر هى ازاحـة الكابوس الذى ظـل يجثم على صـــدورنا ...



لقد كان الجندى المصرى فى بؤرة اهتمام العالم وهو يعبر قناة السويس ويقتحم خط بارليف

ذات تأثير مدمر صاعق على اسرائيل حتى ولو انتصرت فى ميـدان القتـال » .

وتقول (وثيقة كرايسكى) التى وضعها وفـد من (الدوليـة الاشتراكية) برئاسة برونو كرايسكى مستشار النمسا لتقصى الحقائق فى المنطقة العربية بعـد نصر أكتوبر « **ان أية قوة عسكرية اسرائيلية مهما كانت قادرة على الضرب فلن تتمكن من تغيير الميزان بالكامل لصالح اسرائيل ، ولكنها ستزيد من احتمالات الخطر العام للحـرب ، وان الثمن الذى ستدفعه اسرائيل من دم أبنائها سـيكون فى ازدياد مستمر** » .

لقـد تحققت نبوءة الدبلوماسى البريطانى السير جيوفرى فيرلونج فى رسالة نشرتها صـحيفة التايمز عقب هزيمة يونيـو « **ان الاسرائيليين على الرغم من ذكائهم قـد حكمهم بصفة دائمـة أناس أغبياء بصورة غير عادية ، فقـد كان يجب على حكام اسرائيـل أن يدركوا أن ثلاثة ملايين اسرائيلى لا يمكن حتى لو ساندتهم مصادر يهود العالم أن يأملوا الى مالا نهاية فى مواجهة عسكرية مع أكثـر من مائة مليون عربى ، وأن استمرار بقاء دولتهم لابد أن يعتمـد فى النهاية على ضمان حـد أدنى من نوايا العـرب الطيبة** » .

بل تحققت نبوءة الباحث الاسرائيلى البروفيسور شاؤول لاندر فى كتابه ـ تأملات حول مستقبل اسرائيل ـ الذى أصـدره عقب هزيمة يونيو « **اننى أشـك فى أن يكون القصور العربى متأصـلا فى تكوين العـرب ، ويبـدو لى أن من شان تغيير المجتمع جـذريا القضاء على هـذا القصور ، ولا شك أن مثـل هـذا التغيير لا يقـع بين يوم وليلة ، ولكن اذا أمكن لاسرائيل أن تعتمـد على الأجل القصير**

والمتوسط ــ أى فى السنوات المقبلة ــ على نقاط الضعف العربية ، فانه من الخطر أن تعتمـد على ذلك لفترة أطول » •

فلقـد أدت حرب أكتوبر العظيم ــ تحقيقا لهذه النبوءة وغيرها ــ الى سقوط خرافة الجيش الاسرائيلى الذى لا يقهر ، وهى الأسطورة التى نسجتها الدعاية الصهيونية الخبيثة ، والتى وقع فى شراكها الكثير فى الخارج فضــلا عن البعض فى الداخل •

لقـد كانت وكالات الأنباء العالميــة تنقل أخبار المعــركة منــذ يومها الأول عن اذاعة اسرائيل ، ثم اكتشفت بعـد أيام قلائل أن اسرائيل تكـذب على العالم وتضلله ، فاتجهت الى مصر تنقل عن اذاعتها أخبــار المعركة ، وكنا قـد التزمنا الدقة والموضوعية ، فكسبنا فى حـرب أكتوبر مجالا كنا قـد فقـدناه فى حـرب يونيو : وهو احتــرام العالم لكلمتنا •

لقـد انكشفت أكـذوبة اسرائيل الأخطبوط الذى تمتـد أذرعه الطويلة الى أى مكان فى الوطن العــربى ، وأكـذوبة اسرائيل حاملة الطائرات الضخمة التى ترسو فى قلبه وتسيطر على أجوائه ، والتى يقع أحـد طرفيها على البحـر المتوسط والطرف الآخـر على خليج العقبة ، فضلا عن أكـذوبة (النزهة العسكرية) التى يمكن لموشى ديان أن يقوم بها بدباباته ما بين المحيط الأطلنطى غربا ، والمحيط الهنــدى جنوبا ، أو تلك الرحلة التى تحـدث عنها اريك شارون والتى تستطيع أن تصل الى الدار البيضاء فى المغرب بعـد أن يزود مدرعاته بالوقود من الجــزائر •

لقـد جعلت هـذه الحـرب اسرائيل تحس بأن عضلاتها قـد انكمشت ، وأن ما كانت تسميه (سياسة اليـد الطولى) قد تحـول الى (سياسة النظرة القصيرة) •

ان منظر الجنود الاسرائيليين وهم يفرون من ميـدان المعركة ، أو يقعون فى الأسر هو الصورة المعكوسة لما تعود عليه الاسرائيليون فى الحـروب السابقة ٠

ويكفى للـدلالة على ما حـدث فى اليوم الثالث للمعركة أن نتذكر ما قاله موشى ديان لرؤساء تحرير الصحف الذين فاجأهم بقـوله **« الآن فقط لم تعـد لدينا أية قوة لكى نلقى بالمصريين فى قنـاة السويس دون أن يكون فى ذلك انقضاء التام على قواتنا ، واذا فعلنا ذلك فسوف نفقـد جيشنا كله وتصـبح اسرائيـل بلا جيش ، أما فى جنـوب سيناء فالطريق كله مفتـوح تماما فى اتجاه أبو رديس وأشك كثيرا فى قـدرة قواتنا على سـد هـذه الهوة الواسعة ، ويمكننى أن أقول الآن اننا لم نعـد فى مثل قوة المصريين » ٠٠**

لقـد اختلفت نغمة موشى ديان الذى قال فى أعقاب حـرب يونيو « انها الحـرب التى أنهت كل الحـروب » والذى تنـدر ساخرا « اننى أجلس بجانب التليفون أنتظر مكالمة من القاهرة » ٠

ولم يبق أمام موشى ديان بعـد حـرب أكتوبر الا أن يحـاول تشويه وقائعها واخفاء أبعادها وتعليق أخطائه على شماعة غيره من جنرالات اسرائيل وأولهم الجنرال دافيـد اليعازر رئيس الأركـان وقت الحـرب ، والجنرال شلومو جونين الذى كان يتولى قيادة الجبهة الجنوبية ، والذى لتهم (لجنة اجرانات) التى شكلت فى اسرائيل لبحث أسباب هزيمة جيشها باخفاء الحقائق وتشويه الوقائع بايعاز من موشى ديان ، والذى ألقى عليه مسئولية وفاة الجنرال دافيـد اليعازر وأوضح أنه كان قـد وعـد خمسة جنرالات بمنصب رئيس الأركان اذا شهدوا خلال تحقيقات لجنة اجرانات ضـد دافيـد اليعازر ٠

كما اختلفت نغمة ايجال آلون الذى قال فى كتابه : ستار من الرمال « **سوف يبقى الجيش الاسرائيلى ونظرية الأمن العنصرين الأساسيين لتحقيق الشخصية الوطنية الجماعية ، وعندما نحاول أن ندرس ميزان القوى بين اسرائيل والعرب ، فان الشىء غير القابل للقياس هو نوعية المحارب الاسرائيلى ، الذى ينظر الى الحياة الوطنية والشخصية والموت والحرب نظرة واحدة ، ونوعية القائد الاسرائيلى ، الذى هو زعيم قتال بالغ الفطنة والذكاء ، وأن فى ذلك وحده ضمانا لكل قيم المستقبل ، ذلك فاننا نفضل السياسة التى تكفل لنا الحفاظ على هذا التفوق الاستراتيجى حتى ولو ترتب على ذلك ضمور فى تعاطف الرأى العام العالمى** » .

ويؤكد كتاب أعده حانوخ بارتوف عن قصة حياة الجنرال دافيد اليعازر رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلى خلال حرب أكتوبر أن رئيسة الوزراء جولدا مائير قد فكرت فى الانتحار بعد أن وصلتها تقارير سير المعارك فى اليوم الثانى للحرب عن طريق وزير دفاعها موشى ديان الذى اعترف بعد توقف المعارك بمسئوليته عن فشل اسرائيل واستقال من منصبه متحملا أخطاءه .

لقد تحققت النكسة لاسرائيل لأول مرة منذ خمسة وعشرين عاما وثلاث حروب أو (أشباه الحروب) ، وكادت هزيمتها تكون ساحقة لولا التدخل الايجابى من جانب الولايات المتحدة لانقاذ اسرائيل بجسر جوى لا مثيل له حتى فى الحرب العالمية الثانية ، ولولا التدخل السلبى من جانب الاتحاد السوفييتى بتخفيض السلاح (كما وكيفا) ثم قطعه عن مصر .

لقد اعترف ريتشارد نيكسون فى مذكراته بأن جسرهم الجوى كان يحمل لاسرائيل ألف طن من الأسلحة والمعدات يوميا أى أكثر مما كان يحمله لبرلين عام ١٩٤٨ ـ ١٩٤٩ .

كما صرح ريتشارد نيكسون للتليفزيون الفرنسى مؤخـرا بأنه لولا تدخل الولايات المتحـدة فى حرب أكتوبر لاحتلت القوات المصرية اسرائيـل .

لقـد ثبت أن التفوق العسـكرى للاسرائيليين كان ممنوحا لهم وليس نابعا منهم ، وأن ما قاله موشى ديان من أن الولايات المتحـدة تعطيهم السـلاح نهارا ليحاربوا به ليلا كان حقيقة مؤكـدة لا تقبل الجـدل .

ولقـد كانت خسائر اسرائيل فى الأرواح فادحة اذا ما قورن عـدد قتلاها بعـدد سكانها الذى يعتمـد على تشـجيع الهجـرة اليهـا والذى يسبب لهـا حساسية خاصة ، ولقـد شعرت كل البيوت الاسرائيلية بفـداحة هـذه الخسائر التى تحـولت الى شبح يثير رعب الاسرائيليين من أى حـرب قادمة .

لقـد اعترف الجنرال دافيـد اليعـازر رئيس أركان حرب الجيش الاسرائيلى خـلال الحـرب بأنهم كانوا يخفون العـدد الحقيقى لقتلاهم وذلك بدفنهم ليـلا وبدون طقوس دينية .

ولقـد أحدثت حرب أكتوبر العظيم تغييرا كبيرا فى استراتيجية اسرائيـل التى كانت تعتمـد منـذ نشأتهـا على الموقف الهجومى أكثر من الموقف الدفاعى ، والتى كانت تتجاهل نظـرية الدفـاع كنظرية واجبـة الاتبـاع ، فلم تكن المؤسسة العسـكرية الاسرائيليـة لتعبـأ كثيرا بالتفكير فى الوضـع الدفاعى ، اذ لم تكـن الاستراتيجية الدفاعية الثابتة لتستطيع أن تخـدم أحـلام الصهيونية التوسعية ، عـلاوة على سـيطرة الوهم الكبير بالجيش الاسرائيـلى الذى لا يقهر ، والجنـدى الاسرائيـلى الذى لا يتقهقـر .

كما أدت حرب أكتوبر العظيم الى سقوط نظرية الأمن الاسرائيلى أو نظرية (الحدود الآمنة) التى تعتمد على الدفاع عن الكيان الاسرائيلى فى العمق العربى ، والتى تتأسس على الردع والأرض : الردع الاسرائيلى الخاطف للعرب فى كل فرصة مواتية ، والتوسع فى المزيد من أرضهم وبناء الاستحكامات والتحصينات عليها ، بل وبناء المستعمرات والمستوطنات لاستيعابها ، ولقد سقطت هذه النظرية بعد اقتحامنا لقناة السويس واجتياحنا لخط بارليف فى ست ساعات فقط ؛ وسط ذهول العالم ودهشته ٠

ان مأساة الاسرائيليين هى أن الصفوة المؤثرة فى اتخاذ القرار الاسرائيلى قد أقنعت نفسها وأقنعت الرأى العام الاسرائيلى معها بعدة مسلمات لا تقبل الجدل ، وبعض هذه المسلمات كانت من عمق تغلغلها أو (عشعشتها) فى العقل الاسرائيلى بمثابة البوصلة التى يسيرون فى اتجاه مؤشرها الى كل شىء ٠٠ والى أى شىء ٠

ان مسلمة الأمن عند الاسرائيليين كانت قد ارتكزت على عضيدة أو (عقدة) أن العالم من حولهم يحاصرهم ويستعد دائما للانقضاض عليهم وتدميرهم ، وبالتالى فان هذا الأمن كان يتحقق (فقط) بالاتساع الأفقى فى أراضى (الأغيار = العرب) وتحصين كل ما يصلون اليه فى هذا الاتساع ، ثم التمسك به وعدم التراجع عنه ، كما كان يتحقق كذلك الاتساع الرأسى فى تكديس السلاح استعدادا لصراع دائم يفرضه عليهم أعداؤهم ٠

ونحن لم نستهدف من وراء حرب أكتوبر فى المقام الأول – وهى حرب محدودة فى المفهوم الاستراتيجى بهدف محدود – الا هدم نظرية الأمن الاسرائيلية ودحض حجة الاسرائيليين

التوسعيين التى تؤسس أمنهم على احتــلال المزيد من الأراضى العربية من حولهـم حتى أصبح الأمن الاسرائيــلى مرادفا للأرض العربية ٠

ولقــد ثبت أن اسرائيــل لم تهـزم هزيمة عسكرية حقيقيــة الا عنــدما كانت تتمسك بأكبر مســاحة من الأرض العربية قبل ٦ أكتــوبر ٠

ولم تستطع ذروة انتصــارات جيش اسرائيــل فى ٥ يونيــو أن تمنــح الشعب الاسرائيلى الأمان او تشــعره بطعم الاستقرار ، فلم تمض أكثر من ست سنوات حتى كان الجيش المصرى الــذى ظن الاسرائيليون أنه قــد قضى عليــه قضــاء لن تقــوم بعده قائمة ، قد طــرد الجيش الاسرائيلى من أقــوى الحصــون التى استحكم بها وظن أنهــا ستحقق لــه استقرارا مؤبدا ٠

لقــد حاربت اسرائيل فى (يونيو) من حـدود كانت ولا زالت تعتبرها غير آمنــة ، ومــع ذلك فقــد كسبت الحرب ، ثم حاربت فى (أكتوبر) من حــدود كانت تعتبرها غــاية فى الأمن والأمان ، ومــع ذلك فقــد خسرت الحــرب ٠

لقــد أسقطت حــرب أكتوبر ادعــاء مناحم بيجين أن حــــرب يونيو كانت حــربا دفاعية ، وأن أى شعب كان فى حــرب دفاعيــة له الحــق فى السعى لتغيير حــدود وطنــه كى يعيش آمنــا ، لقــد كان للجيش الاسرائيلى عشية حــرب أكتوبر يحتــل الضفة الشرقية لقنــاة السويس ، ومع ذلك فقــد هــزم هــذا الجيش هزيمة منكرة ٠

ان نظــرية الحــدود الآمنة التى يمكــن الدفاع عنها لم تعــد تتناسب مــع تطــور السلاح الذى أصبح قادرا على تعــرية الــدول

تمـاما من كـل أسوارها ، وعلى الوصـول رأسا الى عمـق أعماقها ، وحيث لم يعـد هنـاك ما يمكن الدفـاع عنه بالمعنى العسكرى ٠

لقـد كانت نظـرية الحـدود الآمنـة التى يمكن الدفاع عنهـا فى واقـع الأمر صياغة تغلف نزعـة التوسـع الاسرائيلى الكامنة فى صميم المشروع الصهيونى وأهـدافه على أرض فلسطين وما حولها ، كمـا كانت بنفس القـدر مصـدرا للتوتر والصراع الذى يريده مخططوا الصهيونية فى المنطقة العربية ٠

ولم تكـن نظـرية الحـدود الآمنـة هـدفا فى حـد ذاتهـا بقـدر ما كانت ذريعـة أو وسيلة متجـددة تتسـم بديناميكيـة الحركة لتوفير أسباب التمـدد والنمـو لجسم الدولة الصهيونية حتى تصـير (دولة لكل يهـود العـالم) ٠

لقـد سقطت هـذه النظرية العسكرية العـدوانية التى صاغتها اسرائيل كستار لحجب أهدافها التوسـعية ، ووسـيلة لتضليل الرأى العـام العـالمى ، وطريقة لخلق اقتنـاع لـدى الاسرائيليين لتقبـل المغامرات العسكرية المتتالية ، وثبت لاسرائيل أن أمنهـا لن يتحـقق الا بالتعاقد على السـلام القائم على العـدل والحق وأنه لا مناص لهـا من الالتزام بالشرعية الدولية وبقـرارات المجتمـع الـدولى ٠

لقـد شبه أحـد الكتاب الاسرائيليين نظـرية الأمن الاسرائيلى بأنهـا كانت تمثـل (العجل الذهبى) الجـديد الذى رقص حـوله بنو اسرائيل على سـبيل تقديسـه حتى صرفوا النظـر عن عبـادة الحق ، وحتى حـل عليهم غضب الرب (يهـوه) الذى تمثـل فى هزيمتهم فى يوم الغفـران ٠

ولقد ثبت خطأ اصرار اسرائيل على البقاء في شرم الشيخ كحد من هذه الحدود الآمنة التي تحمي سفنها في خليج العقبة ، اذ ثبت أن تمسكها بهذه الأرض المصرية ليس له أساس استراتيجي ، بعد استطاعة العرب اغلاق باب المندب في وجه الملاحة الاسرائيلية ، وفي وجه التطلعات الاسرائيلية نحو أفريقيا ، وهي التطلعات التي تحطمت منذ أكتوبر ١٩٧٣ ، والتي تهاوت في ظل التضامن العربي الافريقي •

وقد أدت هذه الحرب الى اجبار اسرائيل على الانسحاب من الحدود التي زعمت أنها أصبحت آمنة ، والارتداد ثلاث مرات عن أراض احتلتها في يونيو ١٩٦٧ ، فانسحبت منها تحت ضغط القوة العسكرية في أكتوبر ١٩٧٣ ثم انسحبت مرتين أخريين تحت ضغط القوة السياسية في يناير ١٩٧٤ ثم في سبتمبر ١٩٧٥ استثمارا لنتائج هذه الحرب التي هيأت للقوة السياسية أن تلعب دورها بمهارة لاستثمار نتائجها لتحرير الأراضي العربية المحتلة ، والتي أثبتت لاسرائيل أن احتفاظها بالأرض سوف يظل خطرا متجددا على أمنها لا حماية له ، وأكدت لها أنه لا يمكنها أن تحتفظ بالسلام والأرض معا •

وبنفس المنطق أدركت اسرائيل أن تجاهل الحق الفلسطيني سوف يظل دوما ـ اذا لم يسترد ـ خطرا دائما على تواجدها في كل جيل صاعد يدفعه الى ارتكاب المخاطر والأهوال من أجل حقه المغتصب •

لقد كان انحسار اسرائيل ثلاث مرات عن الأراضي العربية المحتلة ممزقا لشعار بن جوريون نبي اسرائيل المسلح « ان الأراضي الاسرائيلية هي كل أرض يقف عليها جندي اسرائيلي » ، كما كان

مثبطا لغلوائه فى دعوته التوسعية « ان كل ماتقع عليه عينك يجب أن يكون لك » ، كما كان محطما لصنم ديان الذى قال يتعبد « الأرض هى ربى الحقيقى » ·

وقد لا تفوتنا قسوة ما شكله هذا الانحسار المتوالى من انتكاسات لاتجاه تمدد اسرائيل دون ما توقف على شرائح أوسع من الأراضى العربية لاقامة أمنها على التوسع نتيجة استحالة اطمئنانها على اقامة أمنها على الثقة ·

لقد أدت هذه الحرب الى توتر الجهاز العصبى فى جسم القوات المسلحة الاسرائيلية فضلا عن جسم المجتمع الاسرائيلى من هول الصدمة ، وما أدى اليه من (حرب الجنرالات) واجراء التحقيقات والمحاكمات وكثرة الاقالات والاستقالات وتوزيع الاتهامات والانتقادات وانتشار الكتب والمقالات والأحاديث والرسوم والروايات التى تحمل طابع السخرية والتندر من القيادات الاسرائيلية ، العسكرية والسياسية ، وقيام المظاهرات التى تهتف بسقوط القادة الاسرائيليين ومعايرة المتظاهرين للقوات الاسرائيلية بالفرار أمام العرب ·

لقد ظهر بعض هذا التوتر فى تلك الأقوال الملتهبة والمحمومة والمجنونة لبعض جنرالاتهم الآملين فى الثأر « يجب أن نحطم رؤوسهم ، يجب أن نسحق عظامهم ، يجب أن نبيدهم حتى لا يرتفع لهم رأس ولا تتحرك لهم ذراع ولا تقوم لهم قومية ولا وطنية ··· » ·

ولم تكن المغامرة العسكرية (التليفزيونية) الاسرائيلية ، أو الجيب الاسرائيلى الذى فتحه الاسرائيليون فى الخطوط المصرية والذى عرف باسم (الثغرة) الا محاولة مسرحية لرفع الروح المعنوية

للاسرائيليين أمام أنفسهم وأمام غيرهم ، ولم تشكل لهم هذه التمثيلية الا ما سموه بأنفسهم (وادى الموت) الذى أنقذتهم منه (ديبلوماسية الكوك الأمريكية) ·

ان الاندفاع داخل خطوط الخصم والغوص فيها لا يشكل انتصارا ولا يشكل تهديدا للخصم بقدر ما يشكل انتحارا للقوات المندفعة فى باطنه والتى يمكن أن تبتلع بأكملها ، بل ويمكن أن تفتح لها الثغرات عن عمد كشراك لابتلاعها ، ولعل التاريخ يذكرنا بكيفية ونتيجة وصول نابليون الى أسوار موسكو أو وصول هتلر الى مشارف لينينجراد ·

لقد طلب الأمريكيون من اسرائيل ـ حسب رواية هنرى كيسنجر للرئيس السادات ـ الاسراع بتحسين موقفهم السياسى بأى عملية عسكرية على الضفة الغربية للقناة ، الشىء الذى دفع جولدا مائير بعد أن تسلمت هذا التحذير ـ حسب ما ورد فى مذكرات رئيس الأركان الاسرائيلى ـ الى أن تجمع القادة العسكريين الاسرائيليين لتقول لهم « لابد أن تفعلوا شيئا ، والا نحن فى طريقنا الى الحضيض » ·

ثم دفع الاسرائيليون الى هذه الثغرة أربعمائة دبابة وعشرة آلاف جندى كانوا لقمة سائغة فى متناول المصريين الذين أحكموا الحصار حولها لولا تحذير الولايات المتحدة بالتدخل الى جانب اسرائيل لو أقدمت مصر على تصفية هذه الثغرة ·

لقد حاول القادة الاسرائيليون وبمنطق العصابات أن يعيدوا الثقة المفقودة الى جيشهم وشعبهم بأعمال مسرحية أخرى على مسرح جنوب لبنان وفى مياه خليج السويس ، بل وبعمليات (خارقة)

مثل (غارة عنتيبى) معتقدين أن مثل هـذه (الأفلام السينمائية) ستنهى هـذا التوتر الذى أصاب الجيش والشعب من هول الصدمة ٠

لقـد كانت غارة عنتيبى ـ على حـد قول آرى لوفا الياف رئيس حزب شيللى الاسرائيلى ـ جرعة من الهيروين المخـدر بعـد صـدمة يوم الغفـران ٠

ولقـد أثبتت هـذه الحـرب امكانية تحقيق المفاجأة الكاملة للعـدو وللعالم ، واهتزاز الثقة فى المخابرات الاسرائيلية والأمريكيـة بالرغم مما تملكه الأخيرة من وسائل الاستطلاع الالكترونية الحديثة ، من الأقمار الصناعية الى أجهزة الاستشعار والتصنت والانذار المبكر ، وكشف زيف مسلمة كانت تتبناها العقلية الأمريكية مؤداها أن فى قـدرة الولايات المتحـدة أن تهيمن على حركة التاريخ من خـلال الاعتماد على تكنولوجيتها العسكرية والعلمية المتطورة ، الشىء الذى جعل هـذه العقلية فى بداية هـذه الحرب تعتقـد أن العـرب قـد قاموا بعمل لا عقلانى حينما شنوا حرب أكتـوبر ضـد اسرائيل ، بينما لم تدرك هـذه العقلية مدى الادارة القومية عنـد العرب ٠

يقول ريتشارد نيكسون فى مذكراته « **لقـد كان نبا الهجـوم على اسرائيل مفاجأة تامة لنا ، فحتى يوم أمس كانت تقارير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية تقول أن الحرب فى الشرق الأوسـط احتمال غير وارد ، وتصف تحركات القوات الواسعة النطاق وغير العادية التى كانت تجرى فى مصر بأنهـا مناورات سنوية ، كذلك فان هـذه التقارير وصفت الازدياد الدرامى فى النشاط العسكرى السورى بأنه اجراء وقائى نتيجة للحادث الذى وقع أخيرا واسـقطت فيـه الطائرات الاسرائيلية ثلاث طائرات سورية ، وقـد شـعرت بخيبة الأمل نتيجة لقصـور مخابراتنا ، لكنى أحسست بالذهـــول**

لفشل المخابرات الاسرائيلية ، فقد كانت من بين أفضل أجهزة المخابرات فى العالم ، ووقعت بدورها فى الفخ قبل أن تستعد ، كان ذلك يوم كيبور ـ يوم عيد الغفران ـ وهو أقدس يوم فى السنة اليهودية ، حيث يقضى معظم الاسرائيليين ، بما فيهم الكثيرون من رجال القوات المسلحة ، يومهم مع أسرهم أو فى المعابد للصلاة ، انه اليوم الوحيد فى السنة الذى تكون فيه اسرائيل فى أقل درجات استعدادها للدفاع عن نفسها » •

ولقد أثبتت هذه الحرب فشل فكرة (الاسترخاء العسكرى) وفرض حالة (اللاسلم واللاحرب) على منطقة الشرق الأوسط ، والتحول الى الاعتقاد ـ وخاصة عند خبراء السياسة الخارجية الأمريكية فيما يختص بلعبة الوفاق ـ فى قدرة أطراف النزاعات المحلية فى بعض مناطق العالم مثل منطقة الشرق الأوسط على شل قدرة الكبار تماما فى تشكيل الأحداث فى قوالب لا تتغير الا بارادتها ، بعد أن كانت هذه الحرب تحديا سافرا من جانب الارادة العربية لما أفرزه الوفاق الدولى من اتفاق على الاسترخاء العسكرى لخلق نوع من (التوتر المحكوم) فى المنطقة العربية •

لقد أدت هذه الحرب بسلاحيها العسكرى والبترولى الى الاحتفاظ بمشكلة الشرق الأوسط ساخنة بل وملتهبة بعد محاولة تبريدها وتجميدها فى (ثلاجة) الوفاق الدولى بين القوتين العظميين •

ولقد أدى هذا الانجاز العظيم الى تناول الدلالة التاريخية والأبعاد العسكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية لحرب السادس من أكتوبر بالدرس والتحليل لدى أشهر معاهد ومراكز للدراسات والبحوث السياسية والاستراتيجية فى العالم الغربى

بطريقة جديدة مجردة من المسلمات القديمة الزائفة عن عجز العرب الكامل وتفوق الاسرائيليين الشامل ·

لقد قلبت هذه الحرب بعض الموازين والنظريات العسكرية الاستراتيجية ، وغيرت من مقاييس الفن العسكرى وحساباته ، وتحدت عقائد عسكرية طال الايمان والعمل بها ، للشىء الذى أدى الى اعتكاف الأكاديميات العسكرية ومعاهد الأبحاث الاستراتيجية فى للدول للكبرى على دراسة وتحليل معركتنا ، والتفكير فى ايقاف انتاج بعض الأسلحة التى ثبت عدم جدوى الاستمرار فى انتاجها ، والتفكير فى التقليل من التكاليف الباهظة والخسائر الجسيمة للحروب المستقبلة ·

ان كلية أركان الحرب البريطانية ـ على حد قول الفريق أول الجمسى ـ ما زالت تدرس اقتحام قناة السويس بالصورة التى تمت بها من جانب القوات المصرية وفى مواجهة الاستحكامات الاسرائيلية على أنها (أنجح معركة) يمكن أن تتم بالأسلوب الذى تمت به ·

ان الحسابات الالكترونية التى جعلت الاسرائيليين يقولون أن القناة سوف تكون مقبرة للجيش المصرى قد أغفلت من تقديراتها طبيعة المقاتل المصرى الانسان ·

لقد كانت حسابات الأمريكيين تقوم على أن دولة أقل تسليحا لا تحارب خصما أكثر تسليحا وبالتالى فمصر لن تحارب اسرائيل ، ثم اكتشفوا أن قرار الحرب فى الأغلب هو قرار سياسى ، وليس بالقرار العسكرى الذى يتأسس على احصاء كم دبابة وكم طائرة هنا وهناك ·

ان خبراء الحرب فى العالم ما زالوا يدرسون حرب أكتوبر كنموذج للحرب الحديثة ذات (التعاون رفيع المستوى بين أفرع القوات المسلحة) ، ذلك أن حرب أكتوبر لم تكن فقط أول حرب الكترونية أو أعظم حرب صاروخية أو أكبر معركة دبابات فى التاريخ ، ولكنها كانت (حرب الأسلحة المشتركة النموذجية) وأول عمل عسكرى متكامل •

ولقد صدق قائد العبور حينما قال « ان التاريخ العسكرى سوف يتوقف طويلا بالفحص والدرس أمام عملية السادس من أكتوبر » •

ولقد أدت هذه الحرب الى بروز أهمية تنويع مصادر السلاح ، وضرورة اقامة قاعدة للصناعات الحربية العربية لتجنيب القوات المسلحة التعرض للاحتكارات والاختناقات والضغوط التى تفرضها الدول المصدرة للسلاح من نواحى للنوع والكم والتوقيت ، ولتجنب التكاليف الباهظة لنوعيات وكميات الأسلحة المستوردة التى تستهلكها الحروب المحلية فى العصر الحديث ، وللاحتفاظ بالقدرة على استمرار القتال حتى يتحقق الهدف من أى معركة مقبلة ، وللافلات من استخدام تصدير السلاح من جانب الدول الكبرى أداة لتصدير الأيديولوجية معه فى صفقة واحدة •

ولقد أثبتت هذه الحرب أهمية التخطيط العلمى وأهمية الحرب الألكترونية الحديثة والمتطورة فى أى معركة قادمة وأهمية عنصرى المبادأة والمفاجأة وأهمية الانذار المبكر والتمويه والمخابرات وأهمية التنسيق والتعاون بين مختلف الأسلحة وأهمية التدريب الجاد والاعداد الجيد للأفراد ولمسرح العمليات وأهمية الاعتماد على الفرد قبل السلاح لأنه سيد العدة وركيزة النصر •

لقـد كان السلاح السوفييتى فى أيدينا أقل تطورا من السلاح الأمريكى فى أيدى أعدائنا ، ومع ذلك فقـد عوضنا هـذا التخلف فى سلاحنا بالتركيز على الفـرد قبل السلاح •

بل لقـد كان السـلاح الذى حشـدناه لحـرب ٦٧ أكثر كثيرا من السـلاح الذى أعـددناه لحـرب ٧٣ ، ومـع ذلك فقـد عوضـنا هـذا النقص فى السلاح بالتركيز على حملة السلاح •

لقـد تأكـد للعـالم أن المصريين ـ كعادتهم ـ يحملون شـيئا آخـر غير السلاح يحاربون به ، هـذا الشىء هو الايمان باللـه والثقة بالنفس والثأر للكـرامة •

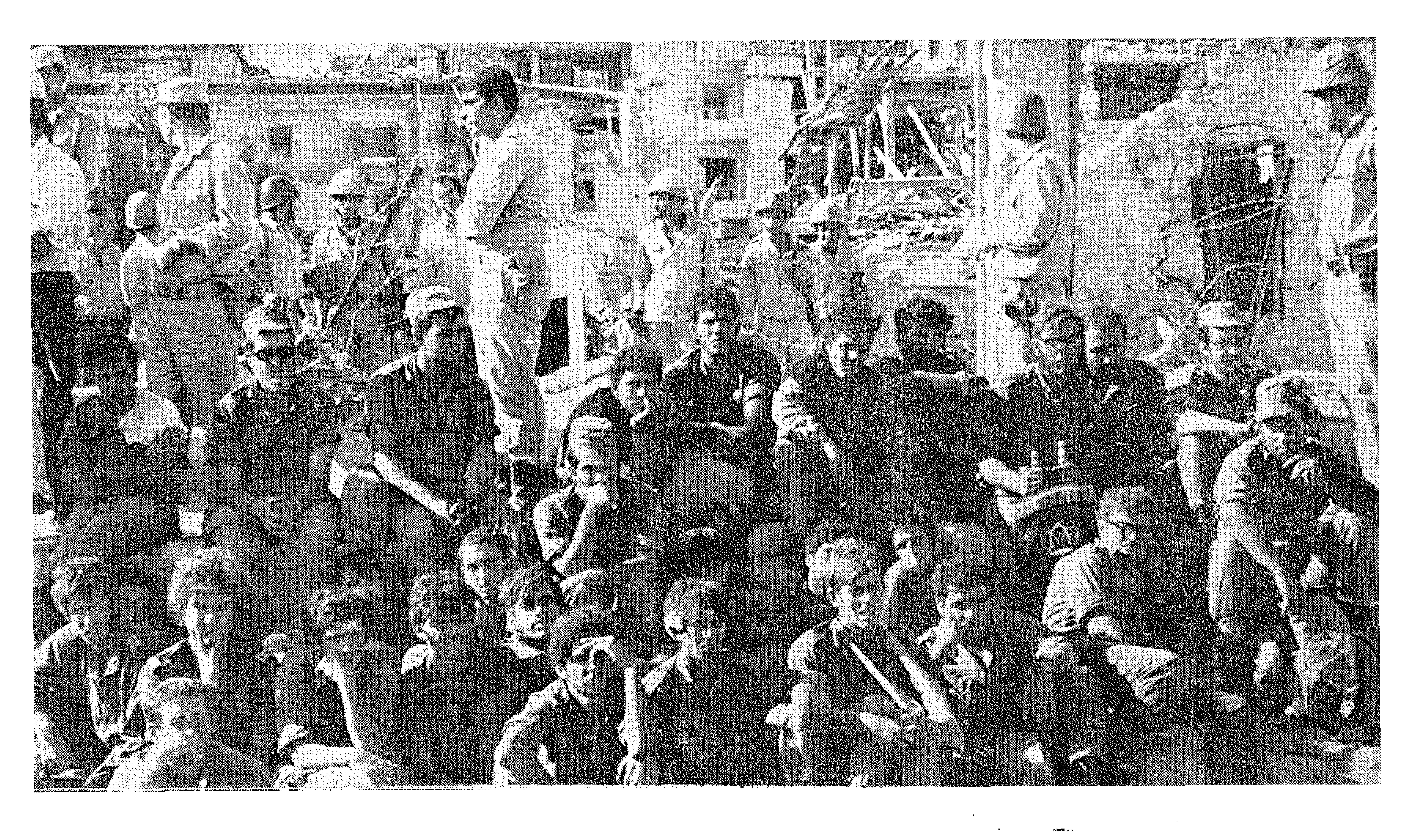
كمـا أعلنت هـذه الحرب نهاية الدور السياسى للقوات المسلحة المصرية فى بداية الاعداد لهـذه المعركة على لسـان المرحـوم المشير أحمـد اسماعيل حينما أعلن « ان دور القـوات المسلحة أن تؤمر فتقاتل » •

ويقول الفريق أول الجمسى : « اننا نملك جيشا محترفا يؤمن بأن السياسة للسياسيين ، وهو جيش متحضر وليس جيشا عقائديا » •

ثم هنـاك الدلالات الاجتماعية العميقة لهـذه المعارك الجبارة وهـذه الانتصارات الضخمة من حيث ربط قطاعات الشعب المختلفة بالقضية الوطنيـة والقومية ومساهمتهـا الفعالة فى طـريق التعمير والبنـاء والقـوة والرخـاء بعـد أن صار العبـور والاقتحام رمزا للبعث والانطـلاق •



الخط الذى وصفوه فى اسرائيل بأنه مقبرة الجيش المصرى ،
والصخرة التى سوف تتحطم عليها عظام المصريين ...



ان منظر الجنـود الاسرائيليين وهم يقعـون فى الأسر هـو الصـورة المقلوبة لما تعـود عليه الاسرائيليون فى الحروب السابقة ...

ان أعظم تقدير لأيام أكتوبر المجيدة ليس التغنى بهـــا ، ولكـن استلهـام معانيها لكى نحـرز فى مجـالات العمـل الوطنى والقـومى ما أحرزناه من نجاحات فى العمل العسكرى ، ولكى نحقق فى معـركة البناء ما حققته قواتنا المسـلحة فى معـركة للبقـاء ، ولكى نصـل بمصر الى « للعبـور للثانى » العظيم ٠٠ وهـو العبـور الى السـلام والرخـاء ٠

وفى هـذا المعنى يقول قائد العبور الرئيس المؤمن محمد أنـور السادات « **اننا ما دمنا قـد استطعنا فى ساحة القتال ، فانه يجب أن نستطيع بنفس المستوى فى كل مجـال** » ٠

لقـد أصبح قـرار حـرب أكتوبر نموذجا أمام المصريين والعرب لـما ينبغى أن يقوموا به قبـل اتخـاذ أى قـرار ، أو أثناء صـناعة هـذا القرار ، فى مجال تقليب كل وجهات النظر المتخصصة ، والحصول على كافة المعلومات والبيانات عن كل المتاح من القـدرات والامكانيات ، والمفاضلة بين المطروح من البـدائل والاختيارات ، والدراسـة الواقعية والفعلية والعملية والموضوعية والميدانية ، والتخطيط العلمى المحسوب ، وتقـدير المفاجآت والاحتمالات والتوقعات ، كما أصبح أداؤها الرائع نموذجا لـما يجب عليه الأداء الأمثـل فى جميـع مجالات حياتنـا السياسية والاقتصادية والاجتماعية من حيث وضوح الرؤية والوعى والشجاعة والتفانى والاخلاص والصبر والاصرار والنظام والتعاون والتنفيذ للجماعى لخطط المجتمع فى شكل فريق عمل متكامل وبما عرف عن (روح أكتوبر) ٠

ولقـد ادت هـذه الحرب الى تعزيز الوحـدة الوطنية المصرية التى تجلت فى الالتفاف حول القيادة السياسية بالحب والوفاء ،

والتى تسابقت فى الايثار والتضحية بالجهد والعرق والدم ، والمال والكساء والغذاء ، والتى لم تتأثر بضغوط الحرب ، بل وقفت خلف قواتها المسلحة فى مباراة بذل وسباق عطاء ؛ لهؤلاء الذين عبروا بمصر من اليأس الى الأمل ، ومن المذلة الى الكرامة ٠

ولقد أكدت هذه المعركة حقيقة جوهر المصريين وأخلاقياتهم ، وارادة الحياة الكامنة فى روحهم ، كما أكدت حقيقة الرؤية التاريخية القديمة القائلة بأن (مصر مقبرة الغزاة) ٠

كذلك أكدت هذه المعركة حقيقة جوهر شعارات (العلم والايمان) و (الاشتراكية الديمقراطية) و (الوحدة الوطنية) و (السلام الاجتماعى) و (القيم الروحية) و (العائلة المصرية) و (أخلاق القرية) ٠

لقد استرد الانسان المصرى نتيجة للنصر ثقته فى نفسه وفى جيشه وفى قيادته وفيمن حوله ، كما استرد ثقته فى قيمه وفى قيمته وفى قدراته وفى مستقبله ، وتلاشت رغبته فى التقوقع وميله للانطواء ليعود احساسه بالجماعة وشعوره بالانتماء ٠

وانتقل المجتمع العربى من مرحلة اتهام الذات والشعور بالنقص والاحساس بالدونية فى المواجهة الحضارية مع العدو الى مرحلة احترام النفس والشعور بالثقة والاحساس بالمسئولية لمعالجة قضايا الانسان العربى بعمق وجدية وموضوعية ٠

ولقد أكدت هذه الحرب ضرورة تحول صراعنا مع اسرائيل الى صراع حضارى متنوع الوسائل ، مختلف الأسلحة ، متعدد الجبهات ٠

ان من أخطر ما يمكن أن يعترض قدرتنا هو أن نتغلق على أزمتنا دون أن نقوم بحوار مستمر وشامل مع العالم يؤدى بنا الى الانفتاح على شتى التجارب مع مختلف الأزمات ، كما يؤدى بنا الى تحديد حركة القوى واتجاهاتها وتحديد العوامل المؤثرة التى تدفعها الى الحركة نحو هذه الاتجاهات ، ان الدراسة الميدانية للمواقع التى يجرى فيها هذا التحرك ، والمناقشة المباشرة مع صانعى ملامحه من شأنها أن تؤدى الى تكثيف خبرتنا وتغذية قدرتنا وتقويم تصوراتنا وترشيد خططنا ، كما تؤدى الى تقييم مستنير للظروف المتاحة أمامنا للتحرك واستثمار حقائق العصر لصالحنا بدلا من أن تستبد بنا بيئة الأزمة المباشرة وحدها .

لقد آن الأوان على العرب بعد طول تجربتهم ومعاناتهم أن يضعوا المتغيرات الدولية دائما فى حسابهم عند رسم سياستهم ، وأن يراقبوا تغير ميزان القوى العالمية قبل المضى فى خططهم ، فان الرابح فى هذا العالم هو من يضع المتغيرات الدولية فى حسابه ، والخاسر هو من يغمض عينيه جهلا أو تجاهلا ، واستكبارا وتعاليا وعنادا عن المتغيرات التى تحيط به ، وكما تفعل الآن اسرائيل .

ولقد أدت هذه الحرب الى نجاح الاعلام العربى فى تخليص نفسه من عقدة الشعور بالنقص بعد كسر حاجز التفوق الاسرائيلى ، لقد ترك العرب الصراخ لأن الأقوياء لا يصرخون ، واستطاعوا أن يتحدثوا بهدوء هادىء مقتنع عن السلام من موقع القوة ، كما استطاعوا أن يتحركوا دبلوماسيا بين عواصم العالم باقتدار نال اعجاب الأعداء قبل الأصدقاء فيما عرف بحملة السلام العربية ، وأن يدفعوا ساسة العالم الى الحركة نحو عواصمهم ، وأن يستردوا زمام المبادرة فى أيديهم .. ومن أيدى

من كانوا ينوبون عنهم أو يتكلمون باسمهم ، وذلك بعـد أن انفتح طريقهم ·· ووضح هـدفهم ·

لقـد صـدق الفـريد أثرتون مسـاعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط حينئـذ عنـدما قال « لقـد أسست هـذه الحـرب بصـورة مختلفة مرحلة جـديدة فى ديبلوماسـية الشرق الأوسط ، وذلك باحـداث تغيير جوهـرى فى ديناميكيات المشكلة » ·

لقـد تغيرت الأفكار النمطية والمفاهيم البالية التى بدت لنـا كبـديهيات أساسية غير قابلة للنقاش والتى كانت تتعلق بالشكل أكثر من تعلقها بالمضمون ، لقـد سقطت اللاءات الثلاثة المشـهورة (لا صلح ولا اعتراف ولا مفاوضـة مع اسرائيل) ، لقـد تحطمت قيـود الفكر الجاهلى وصـار لنا عقل عربى جـديد ·· أكثر علمانية وأكثر جسـارة وأكثر تحضرا بعـد أن أدركنا حجم اسرائيل الحقيقى على وهج أكتوبر العظيم ·

وفى المقابل أدت هـذه الحـرب الى انتكاس قواعـد الاعلام الاسرائيلى وانهيار أسس الدعاية وتناقض وتنافر موادها وانتشار البلبلة وانتفاء الاحساس بالأمن وسط عوامل التعرية ورياح التغيير التى أطلقتها هـذه المعركة ·

كما أدت هـذه الحـرب الى اعادة تصـدير أزمة الثقة والشك والتمزق والضياع من المجتمع العـربى الى المجتمع الاسرائيـلى ، وخلق فجوة تصـديق بينه وبين زعمائه التقليديين ـ بقايا الحرس القـديم ـ الذين شاركوا فى خلق هـذا المسخ الصهيونى المسمى باسرائيل ، والذين صوروا له قـدرته على الوقوف أمام الحـق والواقع والتـاريخ ·

ولعل من أبرز ما أفرزه نصر أكتوبر ما كان من هزة عنيفة خلخلت أعماق الضمير الاسرائيلى حين أدرك وهم الأمن الذى كان يعيش فيه ، والذى ادعاه على افتراض خاطىء من ضعف العرب وتفوق لسرائيل فضلا عن العمق الاستراتيجى الذى كفله احتلالها للأراضى العربية ٠

لقد أدت هذه الحرب الى اختلال التوازن فى الشخصية الاسرائيلية التى اجتاحها وهزها وباء (الشيزوفرينيا) فتأرجحت بين مركب النقص ومركب الزيادة ، واكتسبت أبعادا جديدة مفاجئة : كالخوف من المستقبل ، وبداية النهاية ، والموت البطىء ، وهبطت الى الاحساس بالذبول والتقلص والانكماش ، وسيطرت عليها العقلية الدفاعية ففقدت زمام المبادرة واكتسبت ضمور الأعصاب ، واستسلمت لرياح التغيير بأقل قدر من المواجهة ، وسلمت بالواقع بأقصر نفس فى الهروب منه ، بعد أن كانت صاحبة نظرية (الأمر الواقع) ٠

ولعل اختيار (كتلة ليكود) اليمينية المتطرفة وزعيمها الارهابى القديم مناحم بيجين (بطل) مذبحة دير ياسين لرأس الحكومة الاسرائيلية خلفا لحزب العمل الذى كانت الهزيمة على يديه ، كان أحد مظاهر هذا التمزق والتخبط واختلال الشخصية والاستسلام لردود الفعل العصبية وسوء التقدير والتدبير ٠

لقد اختار الاسرائيليون حزب ليكود ليس حبا فيه ولكن كرها فى حزب العمل ، وليس أدل على ذلك من خروج الاسرائيليين فى مظاهرات تطالب بتنحية مناحم بيجين بعد انتخابه بشهور قلائل ٠

كما أدت هذه الحرب الى تفجير كل متناقضات المجتمع الاسرائيلي وسقوط الأقنعة عن كل سلبياته ، واكتساح النزعات الاستهلاكية والفردية والمادية للنزعة الروحية ، وتعدد جرائم الهروب من التجنيد الاجباري ، وانتشار الأسلحة بين أيدى المدنيين ومهاجمة رجال الشرطة وازدياد جرائم القتل والخطف والاغتصاب والدعارة وتجارة المخدرات وتعاطيها وظهور (المافيا) الاسرائيلية وانتشار (الجريمة المنظمة) التى يسيطر عليها بعض الجنرالات ورجال الأعمال والشبان المحنكين فى عالم الجريمة (العالم السفلى) ، وتزايد معدل الجرائم بين اليهود الشرقيين عنه بين اليهود الغربيين .

كذلك أدت هذه الحرب الى تزايد تأثير الاتجاهات الراديكالية فى جيل الشباب اليهودى ، وتزايد ضعف شعورهم بالارتباط باسرائيل كدولة ليهود العالم ، وقوة استنكارهم لاصرارها على الاحتفاظ بالأراضى العربية التى احتلتها عام ١٩٦٧ ، وبنائها لمستعمرات جديدة عليها ، وتطبيقها للقوانين الاسرائيلية على سكانها العرب ، واستخفافها بالقرارات المعبرة عن ارادة المجتمع الدولى .

هذا فضلا عن تزايد نشاط الحركات اليسارية ، التى تضم اليهود والعرب داخل اسرائيل ، والتى تخين الأساس الأيديولوجى التى قامت عليه الدولة اليهودية ، وذلك رغم ظهور حركات يمينية جديدة عبرت عن متناقضات المجتمع الاسرائيلى ، مثل حركة (اسرائيلنا) التى قامت كتعبير عن الاحتجاج على تهاون الحزب الحاكم فى الاستعداد للحرب .

ولقد برزت مشكلة جديدة لاسرائيل بسبب وضع النصف مليون عربى الذين يعيشون داخل اسرائيل كمواطنين من الدرجة

الثانية أو الثالثة بعد تزايد احساس هؤلاء العرب بعروبتهم ، وتزايد تضامنهم وانضوائهم تحت لواء منظمة التحرير الفلسطينية ، التى كانوا يتعاطفون معها منذ اندلاع الثورة الفلسطينية داخل الأراضى العربية المحتلة فى الضفة الغربية وقطاع غزة ٠

ولقد أدت حرب أكتوبر الى أفول الدعاوى الاسرائيلية فى تفوق المجتمع الاسرائيلى أو انتمائه الى الحضارة الغربية ، وتكشف خداع المقارنة الظالمة التى ظلت اسرائيل تزعمها بين الكم العربى والكيف الاسرائيلى ، والتى ظل البعض يصدقها ويروجها لها ٠

لقد كانت اسرائيل تقدم نفسها للعالم طوال السنوات التى سبقت حرب أكتوبر على أنها جزء من حضارة الرجل الأوربى الأبيض ، وأنها أنموذج الغرب و (واحة الحضارة) فى صحراء المنطقة ، وأن العرب شعوب متخلفة تحتاج لوصايتها الحضارية ، وأنهم سوف يظلون أسرى من يوجههم ، وكانت قد نجحت الى حد كبير فى ربط الرأى العام العالمى بها عن طريق هذا الادعاء ٠

لقد كانت اسرائيل توهم نفسها بعد انتصارها الزائف فى حرب الايام الستة بأنها (دولة اسرائيل العظمى) ، وراحت صحفها تعلن (أن على الدول العظمى نفسها أن تدخل ذلك فى اعتبارها) ٠

لقد اعترف مؤخرا ، ناحوم جولدمان ، رئيس المؤتمر اليهودى العالمى السابق ، بأن قادة اسرائيل لم يكونوا مؤهلين لأن يعرفوا شيئا عن العرب سوى أنهم فقط مجموعة من البدو المتفرقين فى صحارى الشرق الأوسط وسهوله ، وكانوا يتصورون أنهم سيجلبون للعرب بقيام الدولة الاسرائيلية التكنولوجيا الحديثة ، وسيزرعون فى المنطقة كيانا أوربيا عصريا وسط ركام متخلف ، وسيحيلون هذه

السهول والصحارى الى جنـان وارفة ، لقـد أجهـدوا أنفسـهم فى اقنـاع العالم بهـذه القضايا ولكنهم لم يجهـدوا أنفسهم بالقـدر الكافى لكى يتعرفوا على حقيقة الشخصية العربية ، ليـدركوا أن العـرب أمة لها وجـدانها التاريخى الطويل ، يكمن فى داخلهـم احسـاس قوى بالمصير المشترك ، ويستقر فى أعماقهم ادراك عظيم لدورهم فى حضـارة الانسـان •

لقـد أدت حرب أكتوبر الى اهتزاز عقـدة الاستعلاء والسيطرة والتفوق ، والتراجع عن مزاعم التشهير ومطالب التحقير مثل مطلب المفاوضات الثنائية المباشرة مع العـرب وأرضهم محتلة بهـدف الوصول الى السلام الاسرائيلى أو بالأحـرى الى الاستسلام العـربى ، وتهاوى سياسة الأمر الواقع وسقوط شعار بن جوريون أسد صهيون ونبيها المسلح « لا يهم ما تقوله الأمم ، المهم ما يفعله اليهود » •

واذا كان الصلف الاسرائيلى المعهود لا يزال يتصـاعد فى شكل أقوال أو أفعـال ترمى الى تعقيـد الجهود المبـذولة فى طريق السلام الدائم والعـادل ، وتسعى الى تخريب الفرص المواتية لاحلاله فى المنطقة ، فان هـذه علامات فى السلوك الاسرائيلى بعـد الهزيمة تكشف عن الاضطراب أكثر مما تنبىء بالثقة ، وتبرهن على الاهتزاز والتخبط أكثر مما تدل على الثبات والتعقل ، وهى العلامات التى دعت جورج بول مساعد وزير الخارجية الأمريكية السابق الى أن يسأل فى احـدى مقالاته « كيف يمكن أن ننقـذ اسرائيل رغم أنفها ؟ » •

ان هـذا الصلف الاسرائيلى لن يثمر أكثر من الاعلان عن افلاس الفهم الاسرائيلى لمعنى السلام ومقتضياته ، وأمام هـذا الصلف الاسرائيلى لن يكون لهؤلاء الذين أنفقوا وما زالوا ينفقون مليـارات الدولارات وعشرات الأعوام دفاعا عن حق اسرائيل فى الوجود عـذر

أخلاقى أو انسانى يسمح بمداومة الانفاق على اسرائيل ومواصلة دعم صلفها .

لقد وصل الصلف الاسرائيلى الى حد اعلان أحد جنرالات الجيش الاسرائيلى أن هدف اسرائيل فى الحرب القادمة هو (حقول البترول العربية) ، ولأن البترول كما قال جنرال اسرائيلى آخر هو أحد مشكلات اسرائيل الكبرى .

كما وصل الصلف الاسرائيلى ، على الوجه المقابل ، الى حد تحذير ناحرم جولدمان من « المخاطر التى تنتظر الشعب اليهودى بسبب تغيير نظرة العالم اليه » .

لقد أدت هزيمة اسرائيل الى نمو احساسها باحتقار العالم لها وبتزايد احكام العزلة حولها وبأن الزمن يجرى فى غير صالحها ، وتفكك العلاقات بينها وبين المجتمعات الأوربية والجاليات اليهودية فيها ، وتزايد ادراكها بأن الولايات المتحدة سوف تبيعها ان عاجلا أو آجلا كما حدث فى فرموزا وكمبوديا وفيتنام وغيرها ، وأنها سوف تتخلى عنها بعد أن أصبحت عبئا عليها ، خصوصا بعد أثبتت هذه الحرب أن اسرائيل هى أسوأ استثمار للغرب فى المنطقة وأن (المشروع الصهيونى) هو مشروع استثمارى خاسر ، ولعل هذا المعنى يتضح فى قول جورج بول مساعد وزير الخارجية الأمريكية السابق « ان المساعدات الأمريكية لاسرائيل هى مسألة اختيارية لا تفرضها أى معاهدة بين البلدين ، وانه لا يمكن لاسرائيل أن تستمر كقلعة مسلحة اعتمادا على هذه المساعدات ، وأن الشعب الأمريكى لن يستمر فى الانفاق على وضع يتسم بعدم الاستقرار ، وقد يؤدى استمراره الى كارثة على الولايات المتحدة وعلى العالم الحر وعلى اسرائيل نفسها فى المدى البعيد » .

لقد ارتفعت احتجاجات (دافع الضرائب) الأمريكى الذى تذهب أمواله — على حد قول مارك بروزنسكى الكاتب الأمريكى اليهودى المعتدل — لمساعدة اسرائيل على الاحتفاظ بأراض عربية بدون وجه حق ، والذى يتوقع أن يحمل السلاح يوما ما للدفاع عن أطماع اسرائيل التوسعية ، والذى تلعب اسرائيل والمنظمات الصهيونية بزعمائه وتضحك عليهم ، والذى تطالبه اسرائيل دوما بأن يدفع فاتورة ما جرى لليهود على يد هتلر ، والذى يرى نيويورك مفلسة بينما يقوم عمدتها بجمع تبرعات لاسرائيل بدلا من جمعها لنيويورك ، والذى تعب من رؤية اسرائيل تضع يدها طول الوقت فى محفظته .

ويقول آرى لوفا اليـاف رئيس حزب شيللى الاسرائيـلى « ان احدى نتائج الموقف الاسرائيلى المتشدد هو أن اليهود الأمريكيين يواجهون لأول مرة منذ مائة عام خطر حدوث صدام بينهم وبين الضمير الوطنى الأمريكى ، حيث قد يكتشف الأمريكيون أن الحكومة الاسرائيلية وكذلك اليهود الأمريكيين يأخذون منهم لكى يخدموا أهدافا غير طيبة » .

لقد انقسم اليهود الأمريكيون بالفعل على أنفسهم ، وتنكر بعضهم للدولة اليهودية بعد أن اهتزت صورة (اسرائيـل الفاضلة المثالية) فى ذهنهم ، ولعل هـذا المعنى يتضح فى قول رئيس المؤتمر اليهودى الأمريكى « ان الوضع قد تغير تماما بعد حرب يوم الغفران ، ولم يعد فى مقدور يهود الولايات المتحدة ويهـود بلاد (الدياسبورا) بأسرها أن تتكفل بسد العجز الاقتصادى لاسرائيـل وتقديم الدعم السياسى المطلوب لها ، فليس هنـاك ما يبرر القول بوجود قوة سياسية ومالية غير محدودة ليهود الولايات المتحدة » .

ويقول جويدو جولدمان المعلق السياسى اليهودى الأمريكى وابن ناحوم جولدمان أن اسرائيل هى أكبر متلقية للمعونات الأمريكية فى

العالم بالنسبة لعدد سكانها ، ولكن هل ستقدم الولايات المتحدة كل ما يطلب منها ؟ ان الكثير فى الاجابة على هذا السؤال يعتمد على ما اذا كانت دعاوى اسرائيل مقنعة أم لا ، وهناك فارق بين ضمان أمن اسرائيل ضد تهديدات خارجية واضحة مدمرة وبين أن تضمن الولايات المتحدة لاسرائيل التفوق فى السلاح والقروض لتكون السياسة الاسرائيلية عقبة فى طريق السلام ومؤذية للمصالح الأمريكية .

ولقد أدت هذه الحرب الى قلب أسرة الأحلام الامبراطورية فى دولة (من النيل الى الفرات) ، ونمو الاتجاه الى الكفر بالعقيدة الصهيونية التى أصبحت ـ وبصوت عال لكثير من القطاعات ـ موضع تساؤل ومراجعة ، خصوصا بعد قرار الأمم المتحدة اعتبار الصهيونية شكلا من أشكال العنصرية ، وهو القرار الذى انطلق موجها بالدرجة الأولى ضد الدولة العنصرية اليهودية ، والذى يدين السياسة التى أقيمت على أساسها اسرائيل ، والذى أسهم بنفس الدرجة فى تعرية اسرائيل وتجريدها من معنى وجودها الحضارى المزعوم ، ناهيك عن أسطورة (شعب الله المختار) أو أكذوبة (شعب بلا أرض على أرض بلا شعب) .

لقد صدق أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق حينما قال مؤخرا « ان فكرة اسرائيل كظاهرة عصرية فى التاريخ أصبحت الآن أضحوكة » .

لقد عبر ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى السابق عن هذا المعنى فى خطاب الوداع الأخير الذى ألقاه على مسامع المؤتمر قبل اعتزاله عندما قال « لم يعد لنا من أصدقاء فى العالم ، لم نعد ذلك المثل الرائد ؛ الذى كان يخلب لب للشباب اليهودى عبر

العالم كله فى الأربعينات والخمسينات ، لم يعد يربطنا بالمستقبل والحرية أية وشائج ، فقط أصبحنا مع جنوب افريقيا العنصرية سجناء العزلة والكراهية » ٠

ويقول ناحوم جولدمان فى موضع آخر « اننى أعتقد أن يهود العالم يتباعدون تدريجيا عن الصهيونية ، لأن اسرائيل لم تتمكن خلال ثلاثين عاما من الشروع فى بناء وطن يهودى مأمون يصبح المركز الروحى لليهود » ٠

ولقد تحول الأدب الاسرائيلى ـ الذى أطلق عليه (أدب ما بعد أكتوبر) ـ الى (أدب المناحات) على الأمل الضائع فى أرض أمست تميد بشعب الله المختار الموغل فى السرمدية والعدمية والقلق المترقب للزلزال الآتى لا محالة ، وظهرت الأعمال الأدبية التى تغلفها سحب اليأس والمرارة والتى تخيم عليها غيوم العزلة وعتمة الضياع ، والتى تجسد مخاوف الهزيمة وتجسم ذلة الانكسار ٠

ولقد أدت حرب أكتوبر الى تناقص هجرة اليهود الى اسرائيل ، وتزايد معدل نزوحهم منها ، وتزايد تساقط المهاجرين قبل الوصول اليها ، وتزايد معدل النزوح بعد الوصول بفترة ، بل وتزايد نزوح يهود (الصابرا) المولودين فى اسرائيل بعد أن أصبحت بيئة حياتية طاردة ٠

لقد شكل العمود الفقرى فى عملية نزوح الاسرائيليين جيل المسرحين من الخدمة العسكرية الذين ذاقوا نار الحرب وعرفوا ويلاتها ورأوا تشوهاتها ٠

ولقد صدق جون جريج الذى كتب فى الأوبزرفر البريطانية ينـدب حظ اسرائيل « من سخريات القـدر أن اسرائيل هى أخطـر مكان يمكن أن يلوذ به اليهودى الآن » ٠

ان انخفاض معـدل الهجرة الى اسرائيل مع ارتفاع معـدل الهجرة المضادة لليهود ورؤوس الأموال من اسرائيل ، صار يهـدد كيان الدولة اليهودية على أساس أنها حاضر باهت بلا مستقبل ٠

ان عودة نسبة كبيرة من اليهـود الغربيـين من الأوربيـين والأمريكيين الى بلادهم ، بل واصطحاب هـؤلاء العـائدين لعشرات الألوف من الاسرائيليين أنفسهم ممن ولدوا فى اسرائيل جعل الصحف الاسرائيلية تتحـدث عما أسمته (الجالية الاسرائيلية فى الولايات المتحـدة) ٠

ان عشرات الألوف غيرهم يقيمون الآن بصفة غير رسـمية فى الولايات المتحدة بعد أن دخلوا البلاد بتأشيرات دخول سياحية ذات فترة محددة ، ثم اختفوا عن أنظار السلطات الأمريكية داخل البلاد ٠

ثم ان قرارات الدول العربية المتتالية بعـد حرب أكتوبر باعطاء اليهود العرب الذين غادروا البلاد العربية الى اسرائيل بعـد قيامها حق العودة اليها حسب رغبتهم ، وضمانها تمتعهم بجميع الحقوق الدستورية الكاملة للمواطنين العـرب بما فى ذلك المسـاواة والعيش الآمن دون تمييز ؛ لدليـل ينهض على ما وصـل اليـه حال اليهـود فى اسرائيل فضـلا على دلالة عنصرية الدولة الصهيونية وعلمانية القومية العربية ٠

ويعترف ناحوم جولدمان فى كتابه الأخير ـ المـأزق الصهيونى ـ بأن الفكرة الصهيونية لم تستطع ان تجعل من اسرائيل المثل الأعلى

ونقطة الجـذب لكل يهود العالم ، وبأن القيم التى تعيشها اسرائيل الآن لا تكفى لاشباع حاجات أجيالها الحديثة التى ولدت فى اسرائيل ، ومع ذلك تنفر منها الآن الى الخارج ، لتؤكـد ليهود أوربا وأمريكا ضرورة اندماجهم فى المجتمعات التى يعيشون فيها ٠

وهـذا افرايم سيفيلا اليهودى السـوفييتى الذى هاجـر الى اسرائيل قبل حـرب أكتوبر ، ثم نزح منها بعـد أن شـارك فى هـذه الحـرب الى الولايات المتحـدة ، يصف اسرائيل فى كتـابه ـ وداعا يا اسرائيل ـ بأنها دولة فاسـدة من القـاع الى القمة ، وبأنها دولة متسولة تعيش على الهبات ، وبأنها دولة منهكة تمزقها الخلافات العنصرية ، ويتنبأ لاسرائيل بالانهيار من انفجار داخلى ، ويصف الاسرائيليين من أصل سوفييتى بأنهم (زنوج اسرائيل) ٠

ولقـد أدت حـرب أكتوبر ١٩٧٣ الى اجهـاض مسيرة التنمية الاقتصادية التى سلكتها اسرائيل فى أعقاب حرب يونيـو ١٩٦٧ والايذان بنهاية السنوات السبع السمان وبداية السنوات العجـاف بتزايد نفقات الحـرب وميزانيات الدفاع وتزايد العجز فى ميزان المدفوعات والتجارة وزيادة الضرائب وفرض أنواع جـديدة منهـا ـ حتى أصبح المواطن الاسرائيلى أكثر دافع للضرائب فى العالم ـ وصرامة اجراءات التقشف وضغط جميع أوجه الانفاق وتوالى ارتفاع الأسعار وقطع الدعم عن السلع الغـذائية الرئيسية وتوالى تخفيضات قيمة العملة وخفض مستوى المعيشة وحـدة التضخم وانتشـار البطالة وظاهرة فصـل العمال والموظفين واضرابهم وتوالى تهـديدات اتحاد النقابات العمالية (الهستدروت) بوقف تعاونه مع الحكومة بشـأن التحكم فى الأجور ومقاطعة العمال العرب للعمل وزيادة الديون وتزايد الحاجة الى الاعتماد على المسـاعدات الخارجية وانتشار الهـوس الاستهلاكى وانخفاض معـدل النمـو الاقتصادى فى اسرائيـل التى

تولت هـذه الحـرب تنبيهها الى حجمها الاقتصادى فضلا عن حجمها العسكرى ، ولفت نظرها الى أن أى حرب قادمة سوف تكون باهظـة التكاليف ٠

وفى المقـابل أدت هـذه الحـرب الى ارتفاع معـدل النمـــو الاقتصادى فى مصر بعـد دعم شقيقاتها العربيات لها أثناء المعـركة وبعـدها واضافة موارد قناة السويس بعـد فتحها عقب فك الاشتباك، الأول ، وعوائد حقول بترول سيناء بعـد اخلائها عقب فك الاشتباك الثانى ، ودخول مصر فى عصر الانفتاح الاقتصادى والتعامل مع العالم الخارجى من خلال اطلاق الحوافز الاقتصادية الطبيعية وتحرير الاقتصاد الوطنى من القيود العـديدة وتوفير الفرص للقطاع الخاص وتشجيعه على الانطلاق ليأخـذ دوره الكامل الى جانب القطاع العام فى تحقيق أهـداف التنميـة ٠

ولقـد تم ظهور البترول فى الجزء الشرقى من خليج السويس الذى تم تحـريره ، علاوة على توقيع اتفاقيات البحث عنـه فى المناطق التى تم تحريرها فى صحراء سيناء ٠

لقـد استطعنا تصحيح مسار اقتصادنا الذى كان قـد اقترب من (نقطة الصفر) عشية الحرب ، وخرجنا به من (عنق الزجاجة) وتجاوزنا معه دائرة الاختناق الكامل الى دائرة الانفتاح الشامل ، وعبرت المنظمات الاقتصادية العالمية والخبراء الاقتصاديون العالميون عن ثقتهم فى سلامة مسار الاقتصاد المصرى واضطراد نموه ٠

لقـد وقف العالم مع مصر بالمـال والخبرات وبكل ما تحتاجه من عون لمشروعات التنمية والانطلاق الى مجتمع الرخاء ، وليسـت

المجموعة الاستشارية الدولية وهيئة الخليج لتنمية مصر الا أمثلة لهذا التعاون الدولى والعربى مع مصر بعد انتصارها فى أكتوبر العظيم ٠

ولقد برهنت هذه الحرب على نجاح تجربة (تسييس البترول) الذى أصبح سلاحا سياسيا حاسما لعب دوره المنشود فى الحرب الى جانب سلاح القتال بعد أن كان ذلك من المستبعد بل الميئوس منه تماما وذلك بعد أن شهرت السعودية ومن ورائها العرب جميعا سيف البترول لموازنة الضغوط الصهيونية على القرارات الغربية ؛ وبذلك اتحد البترول والدم فى المعركة ٠

لقد ثبتت فعالية سلاح البترول فى المعركة كسلاح متصل التأثير لتحريك الأزمة ، متعاظم الفعالية لتوفير عنصر الضغط على العدو والزامه بقبول السلام القائم على العدل ٠

لقد انتهى زبيجنيو بريجنسكى مستشار الرئيس الأمريكى كارتر لشئون الأمن القومى فى احدى دراساته ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ الى أنه بدون الاسراع لايجاد مخرج لمشكلة الشرق الأوسط فان استقرار العالم لن يتحقق أبدا ، والى أن حل هذه المشكلة (ضرورة تاريخية محتمة) ٠

كما أعلن سيروس فانس وزير الخارجية الأمريكى فى أحد تصريحاته أن سلام الشرق الأوسط له الأولوية رقم « ١ » فى السياسة الخارجية الأمريكية ، وأنه من الجوهرى للولايات المتحدة كمستهلك أساسى للبترول أن تهتم بهذه المنطقة من العالم ٠

لقد أدت هذه الحرب الى بداية سيطرة العرب على بترولهم بقرارات - زيادة سعره وخفض انتاجه وحظر شحنه - كانت من جانبهم وحدهم لأول مرة فى التاريخ .

ولم يكن (رد الفعل) ازاء هذه القرارات الشجاعة أكثر من انشاء (وكالة الطاقة الدولية) لوضع السياسات العامة للدول الصناعية ازاء مشكلة الطاقة ورسم الخطط الخاصة باقتسام مصادرها فى حالات الطوارئ .

لقد أدت هذه الحرب الى ارتفاع دخل البترول ارتفاعا كبيرا ومستمرا أدى بدوره الى التفكير فى تنظيم انتاجه للتقليل من استنزاف مخزونه وللموازنة بين عرضه وطلبه وللمحافظة على تصاعد سعره وللحفاظ على قوة الدفع للجهود اللازمة لتحقيق تسوية الصراع العربى الاسرائيلى ، وتوجيه بعض هذا الدخل لاستثماره داخل المنطقة العربية والقارة الافريقية ، ونقل بعض الأرصدة العربية تدريجيا من بعض البنوك الأجنبية .

ثم هناك الآثار بعيدة المدى فى سوق البترول التى لم تقف عند حد رفع معدلات سعره وتحديد كميات انتاجه بل وتحديد وجهات شحنه ، بل شملت كذلك (مبدأ المشاركة) الذى بمقتضاه رفعت دول البترول العربى أنصبتها فى ملكية الشركات اتجاها لامتلاكها الكامل واختصارا لعمر الامتيازات الأجنبية للشركات العملاقة صاحبة السيطرة الكاملة على صناعة البترول (من البئر الى المستهلك) ، وليصير التعامل علنا وفى النور بين دول الانتاج ودول الاستهلاك .

ثم هناك كذلك اتجاه الدول النامية - الذى تبلور بعد حرب أكتوبر - الى تكوين اتحادات مشابهة لمنظمة الدول المصدرة للبترول

(الأوبك) لترشيد استثمار خاماتها الأخرى فى اتجاه تحسين أسعارها وتنظيم انتاجها وتسويقها وفى مواجهة استنزافها من جانب الدول الصناعية الكبرى ، ودفع هذه الدول الى الحوار معها بدلا من المواجهة ، لحل مشكلات العالم فى مجالات الطاقة والخامات والنقد والتمويل والتنمية فيما عرف بمؤتمر التعاون الاقتصادى الدولى للحوار بين شمال العالم وجنوبه ·

لقد صدقت نبوءة بيير مسمير رئيس وزراء فرنسا غداة الحرب عندما قال أن العالم ـ نتيجة لحرب أكتوبر ـ قد دخل مرحلة اقتصادية جديدة ، ولن تعود أحوال العالم الى سابق عهدها قبل هذه الحرب ·

لقد كان تطبيق الأسعار الجديدة للبترول نقطة تحول تاريخية ، كما كان بمثابة هزة عنيفة للاقتصاد الغربى فى مجموعه ، فلأول مرة فى التاريخ الحديث يصدر قرار يؤثر فى الاقتصاد العالمى تأثيرا كبيرا من خارج الدول المتقدمة ، وقد نقل القرار المبادرة الاقتصادية الى أيدى الدول النامية وهو ما يعنى أن هذه الدول المنتجة للمواد الأولية ـ ولا سيما الاستراتيجية منها ـ ليس ثمة ما يحول بينها وبين محاكاة هذا المثل الناجح مجردة من عقدة الخوف أو الاخفاق ·

لقد خرقت الدول النامية المصدرة للبترول بقرارات رفع الأسعار نواميس العلاقات التقليدية ، وهى النواميس التى أضفى عليها كهنة الدول المتقدمة طابعا مقدسا ، ولم تكن حرب أكتوبر الا بداية للنهاية لهذه العلاقات الجائرة ومن ثم لم يكن مستغربا أن يلقى موقف الدول النامية المصدرة للبترول تأييدا ومساندة من الدول النامية غير المنتجة للبترول تجاوزت حدود المجاملة التقليدية

الى اتخاذ مواقف التضامن الفعلى بين شركاء المصير الواحد ، فبينما تبنت الدول المتقدمة الدعوة الى تكتل الدول المستهلكة للبترول فى وكالة الطاقة الدولية ، رفضت جميع الدول النامية المستوردة للبترول الانضمام الى هذه الوكالة وكان رد فعل الدول المصدرة للبترول هو رفض المواجهة بين المنتجين والمستهلكين والدعوة الى مناقشة أعم تشمل أسعار المواد الأولية وقضايا التنمية ٠

ولقد تجاوز الأمر قضية الأسعار الى قضية الانتاج وضرورة تحويل الثروة البترولية الى ثروة انتاجية فعلية بتنويع الهيكل الاقتصادى والدخول فى سوق صناعة البتروكيماويات وخلق مصادر جديدة للدخل غير معرضة للنضوب والحد من الاستثمار عن طريق الودائع المصرفية التى تفقد قيمتها ٠

ولقد ترجمت الدول النامية المصدرة للبترول هذا الاتجاه الأخير الى واقع ملموس فى توجيه جانب من فوائضها البترولية نحو مساعدة الدول النامية غير المنتجة للبترول سواء فى شكل قروض ميسرة أو فى شكل استثمارات مباشرة أو معونات غير مباشرة ٠

ان البترول العربى والمال العربى الذى تضاعف بعد حرب أكتوبر المجيدة ، هما مفتاح خريطة جديدة تتحدد ملامحها فى المنطقة العربية ، وتفرض نفسها على العالم الخارجى بقوة ضغط اقتصادى وسياسى فى مواجهة الدول الأقوى والأكبر ، ولصالح الدول النامية والمتخلفة ٠

ثم ان البترول العربى لم يفقد بعد امكانية اعادة استخدامه كسلاح فى أى معركة قادمة لأنه لم يفقد دوره التقليدى فى بناء

اقتصـاد العالم ، فلم تنقص حاجة العالم للبترول ، ولم يستطع البحث العلمى حتى الآن ولسنوات قادمة أن يضع يده على بديل له ، ونصيب البترول العـربى فى حجم التجارة العالمية لا يزال هو نفس الحجم المؤثر الذى كان يملكه رغم محاولة المستهلكين خفض استهلاك البترول لتقليل قيمة ما يدفعونه ثمنا له بعـد الزيادة الكبيرة فى سعره ، وقبضـة البترول العربى على الحاجة الأمريكية له تزداد قوة ، والدول المصـدرة قـد انتهت من فرض سيطرتها الكاملة على بترولها ، واستطاعت أن تقاوم كل عواصف الفرقة بينها ، وأصبحت فى وضع مادى أفضل كثيرا مما كانت عليه بعـد انتهاء هـذه المعركة .

ان أرقام الواردات البترولية الأمريكية فى احصائيات وكالة الطاقة الفيـدرالية بعـد حرب أكتوبر ، مقـدر لها أن تصل الى رقم له تأثيره على الميزان التجارى الأمريكى وبالتالى على الدولار وضعف مركزه العالمى .

ولأول مرة فى تاريخ الولايات المتحدة ـ كمـا قال اقتصـادى أمريكى كبير ـ يصبح أحـد أهم عناصر تحـديد الأسعار فى الولايات المتحدة موجـودا خارجها : فى البلاد المنتجة للبترول ، ولعـل هـذا يعنى فيما يعنى أن حياة المواطن الأمريكى تزداد التصاقا بكل نقطـة بترول تخرج من جـوف الأرض العربية .

بل لقـد أعلن هارولد براون وزير الدفاع الأمريكى أن النفقات الهـائلة التى تنفقها الولايات المتحدة على قـواتها المسلحة لا قيمة لهـا أمام خطر وقف امدادات البترول القادمة من الخارج ، وأن كل سـبل الدفاع التى تبنيها الولايات المتحدة لن تتجاوز أكثر من بناء (خط ماجينو أمريكى جـديد عـديم الفائدة) .

لقــد دفــع التخوف من تزايد الاعتماد على البترول العربى حكومة الولايات المتحدة الى تخصيص الأموال الطائلة لبحوث الطاقــة البديلة (الذرية والشمسية وغيرها) بهــدف خفض اعتماد الولايات المتحدة على استيراد للبترول ، وفى كلمة ألقــاها الرئيس كارتر أثناء الاحتفال (بيــوم الشمس) فى معهد بحــوث الطاقــة قال للشعب الأمريكى مشجعا « انه باستخدام الطاقــة الشمسية سنحقق استقلال البــلاد اقتصاديا ، ذلك لأنه لا أحــد يستطيع اجراء حظر على ضــــوء الشمس » ٠

وكما ثبت أنه يمكن (تسييس) للبترول العــربى ، واستخدامه كسلاح سياسى ، يجب أن يدخــل المــال العربى ـ الذى يستثمره العرب فى الخارج ، والذى لا يمكن أن نستوعبه الآن فى الداخــل ـ كسلاح سياسى آخر من أجــل الدفاع عن قضايانا ومصالحنا القومية ، ففى الوقت الذى يمر فيه العالم المتقــدم بأزمات مالية ونقــدية يجب أن تسارع (جماعات الضغط العربية) الى استخدام المــال العــربى المستثمر فى الخارج ، بمهارة وحكمة ، استخداما اقتصاديا وسياسيا معـــا ٠

وقــد لا ننسى أن عــودة الملاحــة فى قنــاة السويس فى ٥ يونيو ١٩٧٥ بعــد أن ظلت أسيرة ما يدور على ضفتيها ، وازدهار التجارة العالمية وبعث الحياة كاملة فى موانى البحرين المتوسط والأحمر بمــا فيها الموانى العربية والمصرية علاوة على منطقة القنــاة ، كانت ثمرة حيــة لقرار العبــور التاريخى فى ٦ أكتوبر ١٩٧٣ ، كما كانت مؤشرا على رغبة مصر فى سلام العــالم ورفاهيته ، ممــا أعطى له صورة عن الجانب الحضارى للعقلية المصرية ٠

ولقــد كان ٥ يونيو من الأيام التى عبست فى حيــاة الشعب المصرى وتركت له ما يفكر فيه ويتأمله ٠

لقـد تحول ٥ يونيو ـ بعـودة الملاحـة ـ من يوم كانت العيون تهرب منه الى عيد صارت مصر تحتفل فيه ٠

ان اعادة فتح قنـاة السويس فى ٥ يونيو قـد حول هـذا اليوم الحزين الى عيد مصرى وعربى وعالمى زاد من تعميق انتصارات حرب ٦ أكتـوبر ٠

ولقـد دخلت المقاطعة العربية لاسرائيل مرحلة جـديدة من مراحل العمل العربى المشترك ، فبعـد أن كانت بمفهومها القـديم عملية ادراج للشركات الأجنبية التى تتعامل مـع اسرائيل فى (القائمة السوداء) الى أن تثوب الى رشـدها ، أصبحت بمفهومها الجـديد عملية جـذب اقتصادى لدول العـالم نحو المنطقة العربية ، وأداة من أدوات المعركة السياسبة التى يخـوضها العرب ، وعملا ذا هـدف سياسى ومسلك اقتصادى يساند كل منهما الآخر ٠

ولقـد نجحت حرب أكتوبر فى احـداث صـدمة كهربائية فى وعى وادراك المثقفين الغربيين ـ ومنهم اليهود ـ ازاء الأمة العربية ، وذلك بمـا تضمنته هـذه الحرب من أداء عسكرى واقتصادى وسياسى بارز ، وبعـد أن استطاعت اسرائيل ـ خصوصا عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧ ـ تقـديم صورة ايجابية لهـا فى مقابل تشويه الشخصية العربية معتمدة فى ذلك على سـوء الأداء العربى على كافة المستويات بالاضافة الى التحيز الكامن فى الدوائر الثقافية الغربية ضـد العرب ، الشىء الذى جعل هذه الدوائر تشتغل بعملية (اعادة اكتشاف العرب) ، فتكتشف أن الحس التاريخى المرهف لديهم بالاضافة الى كبريائهم القومى المتوارث لا يمكن أن يؤدى بهم الى الاستكانة أمام الاحتـلال الأجنبى أيا كان مصدره ، وتقتنع بالحقائق التى دأبت اسرائيل على اخفائها السنين الطوال ، ومنها دعـوة منظمة التحرير الفلسطينية الى

دولة علمانية فى الوقت الذى تبرز فيه علامات استفهام كبيرة حول مدى مثالية كيان اسرائيل ، ومنها دعوة مصر الصادقة الى السلام العادل فى الوقت الذى تعانى فيه اسرائيل من مأزق العجز عن قبول السلام نظرا لعـوامل متعددة تتعلق بأوضاعها الداخلية وسياستها الخارجية التى تمليها عليها عقيدتها الصهيونية العنصرية ٠

لقـد دعا جـورج بول مساعد وزير الخارجية الأمريكية السابق ـ على سبيل المثال ـ الرئيس الأمريكى كارتر الى (اعادة تثقيف) أعضاء الكونجرس والشعب الأمريكى أيضا ، لانقـاذ المصالح الأمريكية فى أكثر مناطق العالم خطورة على هـذه المصالح ، والى اتخـاذ قرار عاجـل فيما هـو (عادل) ٠

لقـد غيرت هـذه الحرب صورة العرب التى كانت قـد ارتسمت فى ذهن صناع السياسة الدولية ثم فوجئـوا بأن الصورة لم تكن حقيقية ، ومن هنا بدأت المواقف تأخـذ الوضع الذى يرى الحقـائق التى غابت لسنوات طـوال ٠

لقـد أدت هـذه الحرب الى تحريك أزمة الشرق الأوسط من جمودها الذى كانت تقبع فيه فى حالة يائسة وبائسة من اللاسلم واللاحرب ، ووضـع دول العـالم ومنظماته الدولية أمام مسئولياتها ، حتى أصبح الرأى العام العالمى شرقا وغربا يتساءل لأول مرة عن حقـوق شعب فلسطين ٠

لقـد توالت موجات قرارات الادانة من المنظمات الدولية المختلفة ضـد الدولة الاسرائيلية والحركة الصهيونية خصوصاً فيما عرف بعام التأييد الدولى للقضية العربية وللشعب الفلسطينى (١٩٧٥) ٠

ان قرار الأمم المتحدة بادانه الصهيونية بصفتها شكلا من أشكال العنصرية ؛ هو أول قرار فى تاريخ المنظمة الدولية يدين السياسة التى أقيمت على أساسها اسرائيل ، كما أنه يعد نصرا للقضية الفلسطينية وتأييدا للشعب الفلسطينى فى كفاحه المسلح •

لقد كان نصر أكتوبر بداية حقيقية لمطاردة الحركة الصهيونية فى معاقلها لفضح أساليبها ومخططاتها ، ولتمزيق ارتباطاتها وتحالفاتها •

لقد أدان (مؤتمر الأمم المتحدة لمكافحة التمييز والعزل العنصريين ــ الذى عقد بمقر الأمم المتحدة فى جنيف) عنصرية الدولة الصهيونية فى اسرائيل ، كما أدان علاقاتها المتزايدة فى المجالين العسكرى والاقتصادى ــ بوجه خاص ــ مع النظام العنصرى فى جنوب أفريقيا ، واعتبر التعاون بينهما عملا عدائيا موجها ضد الشعوب المقهورة فى فلسطين وجنوب القارة الأفريقية ، وأكد تأييد الشعب الفلسطينى وشعوب أفريقيا الخاضعة للتمييز العنصرى فى نضالها ضد النظم العنصرية •

ثم ان قرار الأمم المتحدة ببطلان الاجراءات الاسرائيلية التى تستهدف تغيير الوضع القانونى والطبيعة الجغرافية والتركيب السكانى للأراضى العربية المحتلة بما فيها مدينة القدس ، وهو القرار الذى لم تعترض عليه الا اسرائيل وحدها ، لهو استنكار دولى شامل لسياسة اسرائيل العدوانية والتوسعية •

لقد نجحت هذه الحرب فى تغيير النظرة الدولية حيال المواجهة العربية الاسرائيلية والحقوق المشروعة لشعب فلسطين ، والأخذ بالبعد الفلسطينى وحركة المقاومة فى الاعتبار ، والتسليم بأن المشكلة الفلسطينية هى قلب وجوهر ولب الصراع العربى الاسرائيلى حيث

لا سلام بدون فلسطين ، وبضرورة الاستماع الى الصوت الفلسطينى ممثلا فى منظمة التحرير الفلسطينية الممثل الشرعى والوحيد لشعب فلسطين ، والتى أشارت (وثيقة سوندرز) الى أنها منظمة سياسية جادة ، وبضرورة دعوتها للاشتراك فى جميع الجهود والمناقشات والمؤتمرات الخاصة بالشرق الأوسط ، التى تعقد فى اطار المنظمة الدولية ، وعلى قدم المساواة مع الأطراف الأخرى ، مما يعتبر اعترافا دوليا صريحا بها ، الشىء الذى أدى الى تمتعها بأوضاع قانونية وسياسية فى الأمم المتحدة بكافة مجالسها ومنظماتها ووكالاتها ، والى قبول فتح مكاتب لها فى عواصم العالم شرقه وغربه ، والى تصحيح وتطوير وضعها فى جامعة الدول العربية الى عضو كامل العضوية وعلى قدم المساواة مع باقى الدول الأعضاء فيها بكل ما يترتب عليه من حقوق ومسئوليات .

لقد نجحت هذه الحرب فى بلورة الهوية الفلسطينية وتوالى الاعترافات الدولية بوجود شعب فلسطين وبطبيعة قضيته السياسية قبل الانسانية وبحقه فى تقرير مصيره وتحديد مستقبله واسترجاع حقه فى اقامة وطن قومى يجسد طموحه فى العودة ، ويضع نهاية لشتاته ، كما يضع بدايه لاستئنافه المشاركة فى صنع الحضارة .

لقد نجحت هذه الحرب فى تحول هدف (عودة الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى) الى مسئولية أخلاقية لا تستطيع أى دولة أن تتهرب من تحمل المشاركة فى تحقيقها ، وذلك بعد أن كان أغلب المجتمع الدولى متواطئا مع المشروع الصهيونى ؛ من خلال وعد بلفور ، والاحتلال البريطانى لفلسطين ، والانتداب البريطانى على فلسطين ، ومشروع التقسيم ، والاعتراف الدولى باسرائيل ، وقبول اسرائيل فى الأمم المتحدة .

وازاء هـذه المسئولية الأخلاقيـة الدولية يؤكد المتحـدث باسم السوق الأوروبية المشتركة « ان قضية الشرق الأوسط والشعب الفلسطينى لم تعـد قضية العرب وحـدهم ، وانما هى قضية عالمية يتوقف على نتائجها مصير السلام العالمى » ٠

كما يؤكد « ان حـل هـذه القضية حتمى ، وان عـودة الشـعب الفلسطينى الى أرضـه وحقـه فى تقرير مصيره لا يحتاجان الى نقـاش » ٠

كما يشير فى تصريح قريب له « انه من المؤسف أن يصبح سلام العـالم مرهـونا بأيدى حفنة فى اسرائيل تحاول نثر بذور الحرب فى العـالم وتتعمد عرقلة جهود السلام » ٠

لقـد وضع نصر أكتوبر ، وحملة السلام العربية التى تلته ، الاستراتيجية الاسرائيلية فى مأزق تاريخى أمام العـالم أجمـع بصورة بدأ معها أن (عنصر الزمن) الذى كانت اسرائيل تلعب عليه قـد فقدته الى الأبد ، فقـد ازداد الحـق العربى وضوحا ، وضم الى جانبـه الرأى العام العالمى فى الشرق والغرب ، وتنامى حجم الشعب الفلسطينى ، وتأكدت حقـوقه الوطنية المشروعة والثابتة فى كل ساحة ومحفل ، وتأكد للعـالم كله أن أعظم جنرالات اسرائيل قـد قتل بعـد ست ساعات فقط من بداية هـذه الحرب ، وهـو على حـد قول قادة اسرائيل أنفسهم (جنرال اسمه الزمن) ٠

يقول ناحـوم جـولدمان « لقـد ذهبت جـولدا مائير شـوطا بعيدا حينما أنكرت وجـود الشعب الفلسطينى ، ولم يكن هناك فى الحقيقة أى مدلول أو معنى لكلماتها ، ان انكار الوجـود الفلسطينى تزوير للتاريخ غير قابل للتصـديق من أحـد ، هناك مشكلة فلسطينية

ولا حـل للصراع العـربى الاسرائيلى بدون حلها ، وهناك شـعب فلسطينى ، شـعب له هـويته الخاصة وهـو من أكثر الشعوب العربية قـدرة وذكاء بل وربمـا تفـوق نسبة المثقفين والمتعلمين داخله نسبتهم داخل أى شعب عربى آخر ، ومن حـق الفلسطينيين أن يقرروا لأنفسهم ما يريدون ، اذا كانوا يريدون أن تكون منظمة التحرير هى الممثـل الشرعى لهم فان على اسرائيل أن تقبل الحـوار مـع المنظمة ، واذا كانوا يريدون دولة فلسطينية فلا ينبغى أن يكون هناك ما يحول دون قيام الدولة ، ويمكن لهـذه الدولة أن تكون على ارتبـاط سياسى مـع الاردن ويمكن أن تكون مستقلة تماما ويمكن فى ظـل السلام والعلاقات الجـديدة أن تكون لهـا علاقاتها الاقتصادية مـع اسرائيل ، تلك أمور يقـررها الفلسطينيون لأنفسهم » .

ولقـد أدت هـذه الحرب الى احـداث تغييرات هامة فى سياسات بعض الدول العربية مثل قرار موريتانيا والصومال تأكيد واقعهما العربى بانضمامهما الى جامعة الدول العربية ، وتفجر الصراع الاجتماعى فى لبنـان منذرا بتغييرات فى الصيغة السياسية للحكم ، وبتأكيدات لوجـه لبنـان العربى .

ان الدور الذى لعبته الدبلوماسية الموريتانية والصومالية خلال حرب أكتوبر وقبلها ؛ كان دورا رائعـا حيث تملك الدولتـان علاقات متينة راسـخة مـع دول القـارة الأفريقية .

ولقـد كانت الحرب الأهلية اللبنانية ـ على بشاعتها ـ بمثابة فرصـة ذهبية لاصلاح الخطـأ فى الصيغة اللبنانية ؛ وذلك بالغـاء الطائفية السياسية ووضـع لبنان على الطريق العلمانى ، وافراز ميثاق وطنى جـديد يحقق ولادة لبنان جـديد من تحت أنقـاض هـذه الحـرب .

ان الميثاق الوطنى اللبنانى كان مبنيا على التعاقد المشبع بروح التنازل ، الشىء الذى تمخض عن تركيبة طائفية لابد وأن تضطرب مع تطور المجتمع الوطنى والقومى على الساحة العربية كما حدث بعد نصر أكتوبر العظيم ، لقد كان هذا الميثاق يشكل تعايش نخبة حاكمة مع قاعدة محكومة ، كما كان يشكل كبتا لمثل هذا التطور الذى يولد معه المزيد من عوامل الانفجار •

ولقد أصبح واجبا على كل اللبنانيين أن يعترفوا بخطأ نظرية التوازن الطائفى بعد فشل تجربتها ومعاناة سلبياتها ، ولما ترمز اليه من التخلف واللاعصرية فى عالم اليوم ، وألا يقفزوا من فوق الحقائق التى أبرزتها الأزمة اللبنانية الى المجهول بظلامه الدامس دون اقتحام حقيقى لجوهر المشكلة ، وأن يقفوا وقفة شجاعة يعيدون فيها النظر فى نظام المؤسسات اللبنانية ، وأن يتبنوا خطا وطنيا تقدميا وموضوعيا للاصلاح الديمقراطى للنظام النيابى ، وأن يقدموا على الغاء مبدأ الطائفية فى الميثاق الوطنى وفى النصوص الدستورية والقوانين والتنظيمات وعلى مستوى الحقيقة الاجتماعية والسياسية من أجل التوصل الى علمانية كاملة للنظام السياسى ومن أجل خلق مجتمع الحرية والديمقراطية والعدل والسلام الاجتماعى فى لبنان الشقيق •

ثم هناك التغييرات الهامة فى سياسات بعض الدول الاسلامية مثل تسوية النزاع على الحدود بين ايران والعراق مما أدى الى انتهاء الحرب العراقية الكردية •

ان انهاء النزاع على الحدود بين العراق وايران ـ أكبر دولتين فى منطقة الخليج ـ قد وضع حدا للتوتر الذى طال بينهما والذى عرقل خطط التنمية فيهما ، كما أرسى قاعدة للتعاون العربى الفارسى

فى هـذه المنطقة التى تسبح فـوق أكبر مخزن للبترول فى العـالم ، ودعم جبهة الدول المصدرة له ، كما وضع حـدا لعلاقات الاستقطاب والتنافس على كسب مناطق النفـوذ بين القطبين الكبيرين السوفييتى والأمريكى بدعـوى مساندة أطراف النزاع •

ان انهاء النزاع أعطى العراق فرصة تسوية المشكلة الكردية التى استنزفت الكثير من طاقاته البشرية والمـادية وعرضته لاحتمالات الصـدام مـع ايران أثناء العمليات العسكرية فى الشمال ، وسمح له بمشاركة أكبر فى واجباته القومية علاوة على كسب آيران نفسها الى صف القضية العربية بشكل أكثر فاعلية •

ثم هناك التغييرات الهـامة فى سياسات بعض الدول الأوروبية مثـل تسليم أسبانيا بحـق المغـرب وموريتانيا فيمـا كانت تسميه بالصحراء الأسبانية ، وتسليم فرنسا بمبدأ استقلال ما كانت تسميه بالصومال الفرنسى (جيبوتى) ، وذلك تأكيدا لرغبة الدولتين الأوربيتين الصـديقتين فى تصفية صـــورتهما الاستعمارية القــديمة استجابة لمبادىء الأمم المتحدة ومنظمة الوحـدة الأفريقية وجامعة الدول العربية •

ان قيـام دولة عربية جـديدة فى جيبوتى التى تطـل على الشاطىء الأفريقى الاستراتيجى الحاكم لمضيق باب المندب هـو ضمان اضافى لحمـاية الأمن العربى عند المدخـل الجنوبى للبحر الأحمر •

ان البحر الأحمر يجب أن يصبح أداة تكامل وترابط بين الدول العربية المطلة على شواطئه ، كما يجب أن يصبح برنامجا لعمل سياسى واقتصادى وعسكرى مشترك ، وذلك بعـد أن افتتحت حرب أكتوبر تحـولا جـديدا ومتزايدا الى الاهتمام بهـذا الممر الحيوى •

ان اسرائيل تسعى الى اثارة العـالم حـول باب المندب بسبب ما وقـع لهـا هناك فى أكتوبر ، تحاول اثارة مخاوف الجميع من وجود المضيق وجزره فى اطار السيطرة العربية ، أملها البعيد أن تروج لفكرة بريطانية قـديمة لتدويل المضيق ، وسعيها القريب أن تثير مخاوف اثيوبيا لتصل معها الى نوع من التواطؤ لتحصل فيها أو فى بعض جزرها على موطىء قـدم كنقطة وثوب استراتيجية تقابل تحكم العرب فى سواحل هـذا البحر وفى مدخله ٠

ان تنمية القـدرة العربية فى البحر الأحمر يزيد من أهميتهـا امتداد السواحل العربية على معظم شاطئيه ، ثم تزايد أهمية هـذا الشريان الحيوى فى نقـل البترول العربى ، علاوة على احتـدام الصراع بين القـوتين العظميين على شواطىء المحيط الهندى وفى جزره الأفريقية والآسيوية تنافسا على مناطق الارتكاز والنفـوذ والتسهيلات ، خاصة وأن قناة السويس بعـد اعادة فتحها تخفض الآن من نفقات التواجـد فى المحيط الهندى عبر البحر الأحمر ، فضلا عن موقف اثيوبيا التى لا تجـد اسرائيل غيرها متنفسا على البحر ، مستغلة خلافاتها مـع الصومال والسودان ، لتحاول معها التواطـؤ ضـد العرب ٠

ان كل الشواهـد تؤيد أن اثيوبيا ما زالت حريصة على طموحها التقليدى فى الوصول الى البحر الأحمر على حساب أراضى الآخرين كما كانت فى عصرها الامبراطـورى ، وهى ما زالت فى عهدها الجـديد تحتل جزءا كبيرا من أراضى الصومال الغربية فى اقليم أوجادين الذى نشط أهله العرب الأفارقة بعـد حرب أكتوبر فى مقاومة الاحتلال الاثيوبى ، لولا تدخـل الاتحاد السوفييتى وعملائه من الدول التى تدور فى فلكه وتقوم لحسابه مقام (حصان طروادة) ٠

وكانت اثيوبيا قـد احتلت ، بمعاونة ايطاليا ، مدينة هـــرر عاصمة الاقليم الغربى للصومال ، واتخـذت منها رأس جسر لتوسع

أكبر داخل الصومال الغربى الذى لم يحدث عبر التاريخ أن كان خاضعا لاثيوبيا بل كان احدى المقاطعات الخمس التى تشكل الصومال الكبير ·

ان النظرة الأمهرية العنصرية لحكام اثيوبيا الجدد ، لا تكاد تختلف عن نظرة الامبراطور للثورة الاريترية العربية التى نشطت هى الأخرى بعد نصر أكتوبر العظيم ولما طرحته من قضايا الأمن فى البحر الأحمر ، كان الامبراطور يحاول أن يحبس ثورة اريتريا عن سمع العالم ويصورها مجرد نوع من (الشفتا) أو قطاع الطرق ، وحكام اثيوبيا الجدد يصورونها مجرد عنف مصدر من بعض الدول العربية المجاورة للقضاء على الدولة الاثيوبية ، ولتحقيق حلم وردى يصبح البحر الأحمر بعده بحيرة عربية ·

ان مغزى استقلال اريتريا ، المطلة على مضيق باب المندب والمتحكمة فى أرخبيل جزر دهلك فى المدخل الجنوبى للبحر الأحمر ، يكمن فى زوال الوجود الاسرائيلى فى هذه المنطقة الاستراتيجية ، ويعنى احكام حزام الأمن العربى فى البحر الأحمر ، وبدون استقلال اريتريا ستظل ثغرة الموت مفتوحة فى هذا الحزام ، وعليه فنظرة العرب الى مسألة اريتريا ليست نظرة نرجسية تحلم بمجرد تحويل البحر الأحمر الى بحيرة عربية بكل شطآنها كما يدعون ·

ان مساندة العرب لثورة تحرير اريتريا يحتمها الواجب القومى ازاء شعبها العربى ، كما يحتمها الحرص على أن يظل البحر الأحمر كما كان فى واقعه التاريخى ـ بحيرة عربية كاملة ، كما يحتمها ضمان الأمن العربى بتعقب الجيوب الاسرائيلية التى زرعت فى شرق أفريقيا ، كما يحتمها الحرص على عدم وقوع الثورة الاريترية فى شراك الحرب الباردة بين القوتين العظميين ، خصوصا بعد أن غير الاتحاد

السوفييتى موقفه ازاء هـذه الثورة العربية من النقيض الى النقيض ؛ فتحول من مساندتها بشكل مستتر الى معاداتها بشكل سافر فى زحمة مساندته لحكام اثيوبيا الجـدد فى نزاعهم مـع الصومال على اقليم أوجـادين ٠

وليس من المستساغ أن تحشر الثورة الاريترية العربية على الاستعمار الاثيوبى الأمهرى ضمن الحركات الانفصالية الأفريقية كتلك التى وقعت فى جنوب زائير لاقامة دولة كاتنجا وقبلها فى جنوب نيجيريا لاقامة دولة بيـــافرا ، لأن اريتريا لم تكن قبـل غـــزوها من جانب الامبراطـورية الاثيوبية الا جزءا من الوطن العربى ، وقـد ظلت كذلك حتى فترة السيطرة العثمانية ومن بعـدها الاستعمار الايطالى ، فضلا عن أن ثورة اريتريا العربية ستضع حـدا للتسلل الاسرائيلى الى موقعها الاستراتيجى من خـلال التحالف غير المقـدس الذى كان يجمع بين (أسـد يهـوذا) وبين اسرائيل ، والذى استمر يجمع بينها وبين حكام اثيوبيا الجـدد ؛ الذين رفعوا نفس شعار الامبراطـور (اريتريا ولو بدون الاريتريين) ٠

ان الايمان بالفكر الوحـدوى لا يجب أن يدفعنا كعرب الى الابقاء على اريتريا أسيرة لدى اثيوبيا ، والى التضحية بالشعب الاريترى وبعروبته وبأرضـه التى تكمل عروبة البحر الأحمر ، والتى يمكن أن تستغل ضـد الأمة العربية فى ظـل التحالف الاثيوبى الاسرائيلى ٠

لقـد حـذر الأدميرال ابراهام بوتزر القـائد العام السابق للقوات البحرية الاسرائيلية بلاده قائلا « اذا نالت اريتريا استقلالها فان كل البحر الأحمر سيصبح بحيرة عربية ، ولن تستطيع السفن الاسرائيلية المتجهة الى ايلات أن ترسـو فى أى ميناء على طول الممر البحرى ، لأنه سيكون ميناء معاديا » ٠

ان قضية اريتريا هى قضية عربية ، وان شـعب اريتريا هـو شـعب عربى منذ تزاوجت على أرضها العروبة والأفريقية فى القرن الأول الهجرى تمـاما كما حـدث فى الصومال ، وهـو شـعب تشده الى أمته العربية روابط تاريخية وجغرافية واستراتيجية وثقافيـة وروحيـة ٠

ولقـد ارتبط الصراع العربى الاسرائيلى دائمـا بقضايا البحـر المتوسط ، وصراع القوى العظمى فيه ، الا أن حرب أكتوبر دشنت تحولا جـديدا الى اهتمام دول منطقتنا بقضايا المحيط الهندى ، وصراع القوى العظمى فيه ، وخاصة بعـد بروز قضايا الطاقـة وقضايا تأمين طرق الملاحـة الدولية ومنها أمن البحر الأحمر وأمن الخليج ٠

لقـد صار واجبا على العرب أن يشتركوا بايجابية أكثر فى الجهود المبذولة مـع بعض الدول الأفريقية والآسيوية لجعل المحيط الهندى منطقة أمن وسلام ، وفى دعـوة الدول الكبرى الى الامتناع عن اقامة القواعـد العسكرية على شواطئه أو فى جزره ، وفى العمل على أن يتحول الى منطقة منزوعة السلاح النووى ، وأن يخرجـوا بهـذه الدعـوة عن دائرة الشعارات والتمنيات ، لأن المحيط الهندى قبل كل شىء هـو محيط أفريقى آسيوى ، وهناك دول عربية أفريقية وآسيوية كثيرة تطـل على البحر الأحمر والخليج وهما امتدادان أو مخرجان الى المحيط الهندى والاثنان جزء لا يتجزأ منه ، وهـذا يقتضى من الدول العربية وبقية الدول الأفريقية والآسيوية أن تجعـل من المحيط عنصرا من عناصر ترابطها ، ولأن المحيط الهندى هـو خط الدفاع الأول للدول الأفريقية والآسيوية المطلة على شواطئه ، فعن طريق هـذا المحيط تغلغل الاستعمار القـديم فى القرون المـاضية ، وعن طريق هـذا المحيط أيضا سوف يتغلغل الاستعمار الجـديد مالم تتكتل دول المحيط الهندى لمواجهته ٠

ولقد كانت حرب أكتوبر بمثابة صدمة لحلف الأطلنطى عندما اتخذت الدول الأوربية موقفا مستقلا خلال المعارك بين العرب واسرائيل ، بينما أرادت الولايات المتحدة من حلفائها الأوربيين أن يقدموا لطائراتها تسهيلات الهبوط فى مطاراتهم لتمكينها من اقامة الجسر الجوى الطويل لنقل الامدادات العسكرية من الولايات المتحدة الى اسرائيل •

لقد شعرت الدول الأوربية بالغضب الشديد من موقف الولايات المتحدة المتسلط تجاهها والذى تجاهل رغبتها فى موقف محايد بين العرب واسرائيل ، كما شعرت الولايات المتحدة بالغضب من موقف حلفائها الذين ينعمون بالحماية تحت مظلتها النووية والذين لا يذعنون لرغباتها كما هو الحال بين الاتحاد السوفييتى وحلفائه فى حلف وارسو •

ان نقل الولايات المتحدة لكميات من العتاد الحربى من مخزون حلف الأطلنطى فى أوربا وارسالها سرا الى اسرائيل دون أن تكلف نفسها بواجب ابلاغ الدول التى كان هذا المخزون موجودا فى أراضيها كما كانت تفعله ، قد أثار العديد من الأسئلة حول جدوى الحلف واذا ما كان الهدف منه يأتى من حيث الأهمية فى المرتبة الثانية بعد المصالح الثنائية الأمريكية الاسرائيلية ، وأذا كان الأمر كذلك فماذا يمكن أن يحدث لو شنت دول حلف وارسو هجوما على دول حلف الأطلنطى حينذاك ؟ •

كما أن اعلان الولايات المتحدة حالة (التأهب النووى) فى قواعدها الأوربية دون استشارة حلفائها الأوربيين قد أثار استياء هؤلاء الحلفاء الذين فوجئوا بهذا الاعلان المنفرد ، والذى اعتبروه اهانة وتهديدا لهم ، وبسبب انحياز حليفتهم الكبرى الى اسرائيل أكثر من انحيازها اليهم ، الأمر الذى أدى الى زيادة التعاطف بين الأوربيين والعرب •

ولقـد تسببت نتائج حرب أكتوبر ـ فى جانب مؤسف منها ـ فى محاولة سلب استقلال قبرص والغـاء عـدم انحيازها وضمها الى اليـونان عندما كانت تحكمها الطغمة العسكرية ، وذلك تمهيدا لاقامة القواعـد العسكرية فيها ، وخاصة أنها تقـع فى الطرف الجنوبى الشرقى لحلف الأطلنطى الذى أدرك فشل اسرائيل كقـوة ضاربة تحمى مصالحه فى منطقتنا العربية •

لقـد كان استقلال قبرص وسياستها القائمة على عـدم الانحياز ضمانة قـوية لعـدم استخدام الجزيرة قاعـدة للتدخل ضـد العرب أو للعـدوان عليهم كما حـدث عام ١٩٥٦ •

لقـد كان استقلال قبرص ضحية انتصار العرب فى أكتوبر العظيم ؛ فقـد حاولت قـوى التآمر التى تستهدف خـدمة المصالح الاستعمارية والصهيونية تحويل الجزيرة الى قاعـدة لحلف الأطلنطى لقربها من بؤرة الصراع فى الشرق الأوسط ، ولقربها من دول المواجهة الرئيسية مـع العـدو الصهيونى ، ولقربها من قنـاة السويس التى تؤدى الى منابع البترول العربى ، ولعلنـا نذكر الصيحات التى انطلقت من بعض العواصم الغربية تهـدد باحتلال هـذه المنابع فى ذلك الحين ، وفى فترة ارتفعت فيها حمى مصادقة العرب وتهـديدهم بالحرب فى وقت واحـد ، فتحركت هـذه القوى لاغتيال الأسقف مكاريوس صديق العرب ، ولتصفية قيادته الوطنية الديمقراطية اللامنحازة بالانقـلاب العسكرى الذى خططت له الحكومة العسكرية الدكتاتورية فى اليونان بعـد تسعة أشهر فقط من حرب أكتوبر المجيدة ، وذلك بالتواطـؤ مـع العناصر القبرصية اليونانية المتطرفة المتمثلة فى منظمة (أيوكا) السرية الداعية الى (اينوسيس) أو ضم قبرص الى اليـونان بالقوة ، ولقـد فشلت هـذه المحاولة بعـد غزو تركيا لشمال الجزيرة وسـقوط الطغمة العسكرية فى اليونان وعـودة الديمقراطية اليها اذ كان فشل

المؤامرة على استقلال قبرص وعدم انحيازها على يد الغزو التركى لشمال الجزيرة مقدمة لاستعادة اليونان لديمقراطيتها ، ثم عودة الحوار بين الأتراك واليونانيين حول مستقبل الجزيرة ٠

ولقد أكدت حرب أكتوبر سياسة عدم الانحياز التى ننتهجها ، والتى كنا أحد دعاتها ومؤسسيها ، وأصبحت علاقاتنا مع الدولتين العظميين (علاقات طبيعية) ولم يعد لنا باحدى هاتين الدولتين (علاقات خاصة) ٠

ولقد حققت هذه الحرب كسبا كبيرا لشعوب دول العالم الثالث ، التى رأت فى الشرق الأوسط نموذجا حيا لما تستطيع أن تحققه لو أنها تضامنت فى خطة عمل موحد تعتمد على عمل وعلم وايمان أبنائها ، حتى أننا سمعنا عن تعاون (دول المواجهة) حول روديسيا وجنوب أفريقيا ٠

لقد كانت حرب أكتوبر تشريفا لأنباء أفريقيا وانتصارا لثوار القارة فى كفاحهم ضد الاستعمار الاستيطانى والعنصرية البغيضة والاستعمار الجديد ٠

ولقد أدى وقوف دولة جنوب أفريقيا العنصرية الى جانب الدولة الصهيونية بشكل سافر فى الحرب الى سقوط القناع عن وجه اسرائيل القبيح ككيان عنصرى استعمارى استيطانى يجد أحد مبررات وجوده فى خدمة المصالح الامبريالية ، بعد أن كانت تقدم الصهيونية لدول العالم الثالث ـ ومنها الدول الأفريقية ـ كجزء من حركة التحرر الوطنى ٠

لقد عبر عن هذا المعنى أخيرا ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العالمى السابق عندما أعلن على المؤتمر قبل اعتزاله « لقد

أصبح وجـه الاسرائيليين عبر العـالم كله أكثر قبحا ، اننا نخاصم السلام ونخاصم التقـدم ونخاصم كل حركات المستقبل ، ولا نجـد حليفا سوى العنصرية البغيضة فى جنوب أفريقيا » •

ولعل جـون فورستر رئيس وزراء حكومة الاستعمار الاستيطانى العنصرى السابق فى جنوب افريقيا قـد فضح العلاقات الوطيدة والمصير المشترك لاسرائيل وجنوب أفريقيا عندما قال خلال الحرب « ان هزيمة اسرائيل تعرض جنوب أفريقيا لنتائج خطيرة » •

لقـد كانت حرب أكتوبر حلقـة جـديدة فى سلسلة الكفاح المشترك للشعوب العربية والأفريقية ضـد القلاع العنصرية البغيضة والكيانات الاستيطانية الغريبة والجيوب الاستعمارية المستغلة فى الساحتين العربية والأفريقية ، حيث دعمت هـذه الحرب التضامن المشترك والتعاون المتبادل بين العرب والأفارقة •

ان هـذه الحرب العظيمة وما أسفرت عنه من نتائج كانت فرصة مواتية جمعت الأفارقة والعرب فى كتله واحـدة قالت كلها كلمة واحـدة ضـد العنصرية والصهيونية والاستعمار •

لقـد أدت هـذه الحرب الى تصاعد عـدد الدول الأفريقية التى قطعت علاقاتها باسرائيل منذ أن بدأته أوغندا فى مارس ١٩٧٢ وتسابقت عليه غيرها فى أسابيع الحرب ، الشىء الذى أدى الى تعزيز المقاطعة العربية لاسرائيل من ناحية أفريقيا •

ثم قطعت منظمة الوحـدة الأفريقية علاقاتها مـع اسرائيل بعـد أن قطعت أغلب الدول الأفريقية علاقاتها معها تضامنا مـع الحـق العربى واثر اكتشافها للدور التخريبى الذى تمارسه اسرائيل فى القارة

وتغلغلهـــا فى سياسات واقتصاديات وجيــوش ومخــابرات الدول الأفريقيه ، وبعــد ربطها عنصرية جنوب أفريقيا وروديسيا بعنصرية اسرائيل الصهيونية الاستعمارية الاستيطانية .

ان الوقفة الرائعة التى وقفتها أفريقيا ضــد أسرائيل لفتت أنظار الدنيا كلها الى ما يملكه النضال الأفريقى العربى من أسلحة قادرة على تحقيق النصر .

لقــد أدرك الأفارقة ضرورة العمل مــع العرب ضــد نظــامين عنصريين غريبين ومتشابهين ومتعاونين فى اسرائيل وجنوب أفريقيا داخــل حلف غير مقــدس ، فكلاهما نظام متعجرف متغطرس يدعى نقاء الجنس والتفــوق كما يدعى تمثيل حضارة الرجل الغربى الأبيض ، وكلاهما يمارس بالعنف الدموى التفرقة العنصرية ويستعير من الآخر أساليب الاســـتيلاء على الأرض وطرد أصـــحابها الشرعيين واقامة المستعمرات المسلحة كما يتعاون معــه فى محاربة منظمات التحــرير وتخريب الدول العربية والأفريقية من الداخــل علاوة على غزوها ، وكلاهما غير مرغــوب فيه من الدول المجاورة له ومستبعد من منظماتها الاقليميـــة ، وكلاهما ينتهك قرارات الأمم المتحدة ويقـــابل بالرفض والاستنكار من المجتمع الدولى .

لقــد ساعدت هــذه الحرب على دفــع الحوار العربى الأفريقى ، وتعــدد اللقــاءات العربية الأفريقية (ومنها مؤتمر القمة العربى الأفريقى الأول الذى وافق على انشاء اللجنة الدائمة للتعاون العربى الأفريقى) ، وظهور المجموعات والمؤسسات الاقتصادية المشتركة تحقيقا للتكامل الاقتصادى بين المــال العربى والخام الأفريقى ، واعلان ميثاق التعاون العربى الأفريقى اعترافا بوحــدة النضال ووحــدة الهــدف ، وتكذيبــا لمقولة التناقض بين الشعوب العربية والأفريقية .

لقــد أدرك الأفارقة والعرب أن القــارة الأفريقية والمنطقة العربية تواجهان مصيرا واحــدا ، وأن اللقــاء الأفريقى العربى يرتكز على أسس يستحيل التجاوز عن أهميتها لأنها تشكل قاعــدة أساسية استراتيجية تقــوم على مقومات طبيعية وحضارية يتفاعل معها النضال الأفريقى العــربى المشترك ٠

وأخيرا فان الاهتمام بتوثيق العلاقات السياسية والاقتصادية والثقافية بين العرب والأفارقة عن طريق التعاون الثنائى بين جامعــة الدول العربية ومنظمة الوحــدة الأفريقية هــو ركن هام من أركان الاستراتيجية التى ترتكز عليها سياستنا الخارجية العربية بعــد نصر أكتوبر العظيم ٠

ولقــد نجحت هــذه الحرب فى دفــع الأطراف الدولية المختلفة ، والتى لهــا مصالح فى اقرار السلام الدائم والعادل فى الشرق الأوسط ، الى الاسهام بجهدها وضغطها من أجــل دفــع عملية السلام ٠

لقــد تخلت مجموعة الدول الأوروبية الغربية بصورة أكثر جــدية عن دور المتفرج ازاء أزمة الشرق الأوسط ، وأصبحت تسعى الى تحــديد موقفها بصورة أوضح ، والى اثبــات كيانها وقــدرتها على التأثير ، بعــدما أدركت أن نشوب حرب جــديدة ــ مــع ما يترتب عليه من حظر بترولى جــديد ــ سيكون بمثابة كارثة لها بعــد ما دفعت ثمنــا باهظا خلال حرب أكتوبر ، وأنها قــد تدفــع ثمنــا أفــدح ان هى تخلفت عن ركب السلام ٠

وهــذه مجموعة (الدولية الاشتراكية) بعــد أن ظلت منطقــة نفــوذ يجول ويصول فيها حزب العمل الاسرائيلى ، وبعــد أن كانت احــدى الركائز التى تعتمد عليها اسرائيل كحليف لا شروط له ، قــرر

مؤتمرها ـ الذى انعقد فى لنــدن عقب نصر أكتوبر مباشرة ـ ارسال وفــد برئاسة برونو كرايسكى مستشار النمسا لتقصى الحقائق فى المنطقة العربية ، ومن وقتها بدأ عبور العمل المصرى والعربى داخــل قلعــة الدولية الاشتراكية بفضل ما فجره نصر أكتوبر من متغيرات دولية ، وبفضل النظرة الموضوعية المستقلة لقائد الدولية الاشتراكية برونو كرايسكى الذى وضــع (ورقــة عمــل) عكفت أحزاب أوربا الاشتراكية على دراستها حتى تستمد موقفها ازاء الصراع العربى الاسرائيلى من الحقائق التى تضمنتها ٠

ولقــد تطور الأمر الى كسب هــذه الأطراف الدولية الى جانب الحــق العربى ، فهذه مجموعة دول السوق الأوربية المشتركة ، وفرنسا دولة رائدة فيها ، والتى استطعنا تحييدها تماما قبل الحرب ، اتخــذت موقفا متطورا ينمو مــع الأيام ، وصــل الى حــد المشاركة فى قيــام صناعة انتاج السلاح فى مصر ، بعــد أن كانت منذ فترة زمنية قصيرة موردا رئيسيا لاسرائيل ٠

لقــد تغير الحال وأتى اليوم الذى صرح فيه الرئيس السادات بقــوله « اننا نعتمد على السلاح الفرنسى بشكل أساسى لأنه لا يمكننا الاعتماد على الولايات المتحدة كمورد رئيسى للسلاح » ٠

لقــد نجحت حرب أكتوبر فى اعطاء دفعــة قــوية للحوار العربى الأوربى على نحو يرتضيه العرب ، فتوالت القرارات السياسية الأوربية التى تؤيد الحقوق العربية والفلسطينية ، والتى تزيد من عزلة اسرائيل عن المجتمع الدولى ، والتى تنأى بالمشكلة عن احتمال استقطابها بين شقاق أو وفاق الدولتين العظميين ٠

وتقــــول (وثيقــة كرايسكى) التى وضــــعها وفــد (الدولية الاشتراكية) لتقصى الحقائق فى المنطقة العربية بعــد نصر أكتوبر

« ان النظم الحالية للدولية الاشتراكية تسمح الآن بنظرة جديده للتعاون مع الأطراف العربية ، واننا بحاجة داخل الدولية الاشتراكية الى أن ننظر للأمور نظرة موضوعية ، ان العالم العربى سوف يكون طرفا طبيعيا فى التعاون مع أوربا ، وان عودة السلام بين العرب واسرائيل هو عنصر أساسى فى تدعيم هذا التعاون ، كما أن مساعدات العالم العربى لتنمية أفريقيا هو موضوع يهم أوربا أيضا » .

لقد أدت هذه الحرب الى ترسيخ الايمان بأن سلام الشرق الأوسط يؤثر على سلام البحر المتوسط بل ويؤثر على سلام العالم ؛ وسلامة اقتصادياته ومعدلات تنميته .

لقد تبلورت حقيقة أن أمن للبحر المتوسط أصبح مرادفا لأمن الشرق الأوسط ، لأن الدول المطلة على هذا البحر ، والتى ليست طرفا أصليا فى النزاع العربى الاسرائيلى ، قد أصبحت أطرافا غير مباشرة فى هذا النزاع بحكم ارتباطاتها أو الأحلاف المنتمية اليها ، شرقية كانت أم غربية .

لقد تبلورت حقيقة أن الأمن الأوربى لن يتحقق مالم تخف حدة المواجهة بين الأساطيل الأمريكية والسوفييتية فى البحر المتوسط ، وأن الأزمات عندما تنفجر على أرض الوطن العربى لابد وأن تنتثر شظاياها على أرض القارة الأوربية ، وأن الاستقرار فى الشرق الأوسط من شأنه أن يدعم الاستقرار السياسى والاقتصادى فى أوربا .

لقد أدت هذه الحرب الى تزايد وعى شعوب البحر المتوسط بالطبيعة التكاملية لمصالحها السياسية والاقتصادية والثقافية .

أن التعاون والتكامل بين شاطئى البحر المتوسط بشماله الأوربى ، وجنوبه مع شرقه العربى ، يفتحان أمامنا الطريق الأولى

والأقرب نحو الانفتاح الدولى ، ويجسمان حقيقة وضع اسرائيل الشاذ على الشاطىء العربى ، ويساعدان على تحرير مياه هذا البحر المشترك من القوى الغريبة عنه ، ويدفعان الخطى نحو الوحدة الأوربية المرتقبة ، والوحدة العربية المرجوة ٠

ان (اعلان القاهرة) للصداقة والتعاون بين كل من مصر ـ مدخل المنطقة العربية ومخزن فكرها ـ وفرنسا ـ مدخل القارة الأوربية ومخزن فكرها ـ هو تأكيد لدورهما فى حوض البحر المتوسط ، كما هو تأكيد لاستعادة دور البحر المتوسط كهمزة وصل بين شعوبه ، وسعى الى تصحيح وتطوير علاقات التعاون والتكامل بين مجموعة الدول المطلة عليه ، كما هو سعى الى التعجيل بتحقيق آمال الوحدة العربية ، والوحدة الأوربية ، والتضامن العربى الأوربى ٠

ولقد نجحت حرب أكتوبر فى اصابة وتعطيب أكبر سلاح استخدمته اسرائيل ضدنا منذ نشأتها وهو انحياز الولايات المتحدة بالكامل لها وذلك بعد كسر اقتناعها بأن اسرائيل قوة لا تقهر ، وتحويل انحيازها ـ على الأقل ـ من انحياز (أعمى) الى انحياز (مفتوح العينين) على مصالحها الاستراتيجية فى منطقتنا العربية ٠

لقد نجحنا فى تفجير التناقض بين الولايات المتحدة واسرائيل التى تحولت بعد حرب أكتوبر الى خطر داهم على المصالح الأمريكية البترولية وغير البترولية فى المنطقة العربية ، بعد أن كانت الحارسة عليها والحامية لها والمدافعة عنها على مدى الربع الثالث من هذا القرن العشرين ، كما نجحنا فى اسقاط نظرية الحارس الاسرائيلى للمصالح الأمريكية فى المنطقة العربية ، واقتنع الأمريكيون أخيرا بأن مصالحهم فى المنطقة العربية لا يحميها الا التفاهم مع العرب ٠

وفى المقابل نجحنا فى مـد جسور التفاهم بين المنطقة العـربية والولايات المتحدة ، وهى جسور قابلة للاتساع اذا أحسن بنـاؤها وهو ما يتم حتى الآن ، ان نار حرب أكتوبر العسكرية والبترولية قـد جعلت (الحـديد الأمريكى) ساخنا للطرق ، وذلك لأول مرة فى تاريخ الصراع العربى الاسرائيلى ، ولقـد شرع العرب فى طرق الحـديد الأمريكى حتى أحـدث وما زال يحـدث تغييرا له وزنه فيما يتصل بالعلاقات الأمريكية الاسرائيلية فى اتجاه (فـك الارتباط) من ناحية ، والعلاقات الأمريكية العربية فى اتجاه (فـك الاشتباك) من ناحية أخرى .

ان اتجاه الدول العربية الى صـداقة الولايات المتحدة هو اتجاه الى سحق رأس الأفعى (اسرائيل) بدلا من الاكتفاء بضرب ذيلها ، فطالمـا أن هـذه الأفعى تعيش وتتنفس وتنمو وتنهش بقـوة الخبز والسلاح الأمريكى ، فليس من المعقول ولا من المقـدور عليه فى هـذه المرحلة أن نترك الولايات المتحدة ميدانا ترتع وترمح فيه اسرائيل باعلامها ودبيلوماسيتها لتكسب وحـدها خبزها وسلاحها وصداقتها وتأييـدها ، والى حـد يقترب من اعتبار اسرائيل احـدى الولايات الأمريكية .

ان السياسة الأمريكية تجاه العرب بعـد حرب أكتوبر المجيدة قـد أخـذت اتجاها مغايرا لمـا ألفناه قبلها بالقـدر الذى جعل الحكومة الأمريكية تعترف بالمصالح العربية ، وبأن العرب قـد أصبحوا قـوة لا يمكن تجاهلها أو تحـديها .

لقـد تبين للأمريكيين خطـأ تصـورهم أن اسرائيل تستطيع أن تنتصر على العرب فى أى معركة وفى أى وقت ، بل لولا التدخل الأمريكى المباشر لمساعدة اسرائيل فى أكتوبر لتغير الوضـع فى المنطقة بشـكل كبير ، وهـذا هـو السر فى الحملة التى قادتها اسرائيل على الرئيس

الأمريكى الأسبق ريتشارد نيكسون ووزير خارجيته هنرى كيسنجر ، اللذين لمسا الوضع على حقيقته واختبرا عمليـا كذب الوهم الذى نجحت اسرائيل فى أن تجعل الأمريكيين يعيشونه بعـد حرب يونيو ١٩٦٧ ، هـذا فضلا عن تعاظم قوة سلاح البترول الذى أصبح يشكل للأمريكيين شبحا يقلقهم ويفرض عليهم أن يفكروا مرتين قبـل أن يقـدموا على أى خطـوة تضر بمصالح العرب ٠

لقـد كان هناك حلف اسرائيلى بريطانى به قامت اسرائيل وأصبح فى ذمة التاريخ ، ثم تبعـه حلف اسرائيلى فرنسى آخر به شحذت اسرائيل آلة حربها وأصبح فى ذمة التاريخ أيضـا ، والآن يفقـد التطابق الآلى بين الموقف الاسرائيلى والموقف الأمريكى كثيرا من مبرراته المصطنعة ؛ ليصير يوما قرب أم بعـد فى ذمة التاريخ كذلك ٠

ولسوف يذكر التاريخ العربى المعاصر تصريح الرئيس الأمريكى جيمى كارتر بضرورة انشاء وطن قـومى للفلسطينيين فى فلسطين باعتباره (تصريح بلفـور جـديد) ٠

لقـد وصف الفريد آثرتون مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط يومئذ تصريح الرئيس الأمريكى بأنه « خطـوة ضخمة للأمام نحـو الاعتراف بحقائق الأمور فى منطقة الشرق الأوسـط » ٠

وقـد لا يفـوتنا أن هناك رأى اقتصادى يقـوم على أن الولايات المتحدة قـد أفادت من الحرب البترولية العربية فى جانب معقـد منها رغم أنها الدولة المقصودة من جانب العرب فى المقـام الأول بهـذه الحرب ، ويتعلل هـذا الرأى بسبب زيادة اقبـال الدول المستهلكة للبترول على الدولار الأمريكى لتسديد ثمن البترول الذى تضاعف ،

وذلك بعـد أن بدأ العـالم يتحـدث منذ نهاية الستينات عن طرد الدولار الأمريكي من موقعه المتميز كعملة أساسية ، وبسبب تباطـؤ حركة النمـو الاقتصادى فى أوربا الغربية واليـابان نتيجة زيادة تكلفة البترول المستورد بعد أن كانت هذه الحركة فى بعض هذه الدول مثل ألمـانيا واليابان تسبق حركة النمو الاقتصادى فى الولايات المتحدة بل وتهـدده ، ولكن هـذا الرأى وان صح وقتئذ لا يقلل من شـأن الاعتراف بالحاجـة الأمريكية المتزايدة للبترول العربى فى المـدى المنظـور ٠

ولقـد وضع نصر أكتوبر قيودا حـدت من قـدرة اليهـود الأمريكيين على الضغط عن طريق قواعـدهم فى الكونجرس ووسائل الاعلام ودوائر المـال ودوائر الحكومة لتحـديد مسار الخط السياسى الأمريكى لصالح سياسة اسرائيل العـدوانية التوسعية ، بعـد أن خلق هـذا النصر حقائق عسكرية وسياسية واقتصادية هزت أسس السياسة الأمريكية المستقرة على نمط معين فى الشرق الأوسط ، وبعـد أن أثبت لأول مرة تناقض المصالح الأمريكية مع السياسة الاسرائيلية ٠

لقـد أصبح هناك تيار يتنامى بين اليهود الأمريكيين المهتمين بالصراع العربى الاسرائيلى والحريصين دون شـك على (مستقبل) اسرائيل من منظور (غير تقليـدى) ، أصبحوا يعتقدون منذ حرب أكتوبر وما اقترن بهـا من دخول البترول العربى وأمواله سـلاحا فى الصراع ، بأن أولويات السياسة الاسرائيلية وأسسها ينبغى أن تتغير على ضـوء تغير أولويات السياسة الأمريكية ذاتها ٠

لقـد أضعفت هـذه الحرب من حـدة الضغط الذى تمارسـه (مجموعات الضغط اليهودية) الأمريكية على صانعى القرار الأمريكى ، بعـد أن كان هـذا الضغط مسألة طبيعية لا تواجهها أية صعاب لتطابق

السياسة الاسرائيلية مع المصالح الأمريكية ، ولأن ما كان يفعله اليهودى الأمريكى لحساب اسرائيل لا يختلف عما هو مطلوب من أى مواطن أمريكى آخر ، بل لقد تم تحييد بعض هذه المجموعات الضاغطة وتحويل بعضها الآخر الى قوة ضاغطة على اسرائيل نفسها ، كما سمح التقليل من حدة الضغط اليهودى بنشأة نواة أو خلق متنفس لضغط عربى مقابل •

لقد كان نصر أكتوبر فرصة مواتية للولايات المتحدة لكى تتخلص من التأثير الصهيونى على القرار الأمريكى ولكى تعيد بناء جسور المودة مع العرب •

لقد نصح السيناتور الأمريكى السابق ويليام فولبرايت الرئيس الأمريكى السابق جيرالد فورد قائلا « هذه فرصة أمريكا وفرصتك لكى تخلصها من النفوذ الصهيونى ولكى تعيد علاقتها بالعرب ، وعليك أن تتخذ القرار لتدخل به التاريخ كأول رئيس يؤكد استقلالية القرار الأمريكى » •

ولقد أدت حرب أكتوبر الى ازاحة الستار تماما عن نوايا الاتحاد السوفييتى فى منطقتنا العربية ، وثبت بالدليل الملموس وبالبرهان المحسوس أن (حركة الشيوعية الدولية) جنبا الى جنب مع (حركة الصهيونية العالمية) ـ وان تختلفان فى أهدافهما ـ تتفقان فى ضرب (حركة القومية العربية) التى كانت حرب أكتوبر أعظم مناسبة لتأكيدها •

لقد طالب الاتحاد السوفييتى فى بيان مشترك مع الولايات المتحدة فى العام السابق للحرب بالاسترخاء العسكرى لفرض حالة

دائمة من اللاسلم واللاحرب فى منطقتنا العربية أفشلناها وتحـديناها باقـدامنا على الحرب كما أسلفنا ٠

ثم رفض الاتحـاد السوفييتى بعـد نصر أكتوبر امداد مصر بصفقات الأسلحة المتعاقد عليها قبل الحرب أو تعويضها عن السلاح الذى فقـدته خلال الحرب أو امدادها بقطع الغيار اللازمة للأسـلحة المتبقية بعـد الحرب ٠

لقـد بعثت القـاهرة خلال الشهور الستة التى أعقبت حرب أكتوبر بأربع طلبات رسمية الى موسكو من أجـل معدات حربية كان الرد الوحيد عليها (ان الطلب قيد البحث) ٠

لقـد أوعز الاتحاد السوفيتى الى الهند بألا تستجيب لطلب مصر امدادها بقطع الغيار المتوفرة لديها ، ممـا دعى الصين الى المبـادرة بمساعدتنا بتقـديم المحركات ، ثم ساعدتنا الولايات المتحدة وبريطانيا باجراء العمرة للطائرات ، الشىء الذى دعا الرئيس السادات الى أن يقول « ان السوفييت قـد كشفوا لنـا ـ عن غير قصـد ـ عن أصـدقاء جـدد فى الشرق والغرب » ٠

لقـد كف الاتحـاد السوفييتى عن ترديد شماتته « ان طائرات مصر نائمـة على الأرض لا تطير كأنها طيور قصت أجنحتها فتحولت من نسور الى دواجن » ٠

لقـد لمس الرئيس الجزائرى هوارى أبو مدين أثناء زيارته السرية للاتحـاد السوفييتى خلال أيام الحرب لشراء الأسـلحة لمصر وسوريا (نقـدا ومقـدما وبالدولار) مدى حقـد القـادة السوفييت على الانتصارات المصرية التى أرادوا لهـا أن تتوقف منذ اليـوم الأول

مما دعاه الى أن يصرح لأعضاء مجلس قيادة الثورة الجزائرية بعد عودته بقوله « أريد أن أصارحكم بشيء عجيب : اذا كانت اسرائيل والولايات المتحدة تريدان القضاء على للسادات مرة ، فان الاتحاد السوفييتى يريد القضاء عليه ألف مرة » ٠

لقد أمسك الاتحاد السوفييتى السلاح عن مصر بينما أغدق وأغرق به بعض الدول (بل أقول بعض الأنظمة) العربية الأخرى بلاحساب والى الحد الذى يفوق طاقاتها على استيعابه لأنه يعلم أن مصر هى القادرة على الحرب والنصر ، وأن مصر هى التى تملك مفتاح الحرب والسلام ، وأن السلاح مهما تراكمفى ترسانات بعض الأنظمة العربية الأخرى ـ كما ونوعا ـ فهو حديد جامد بارد لا حراك فيه ولا حياة ، وهو اذا تحرك فلن يتحرك ضد الاسرائيليين ، وانما يمكن أن يتحرك ضد العرب فى لبنان والسودان والمغرب وموريتانيا وعمان ومصر ، أو يساهم مع أسلحة اسرائيل فى اثيوبيا ضد عرب اريتريا والصومال ٠

لقد رفض الاتحاد السوفييتى اعادة جدولة ديوننا المستحقة له ثمنا لأسلحته مراعاة لظروفنا الاقتصادية عقب حرب أكتوبر ، بينما كان قد استباح لنفسه أن يمتنع عن دفع ديونه المستحقة للولايات المتحدة ثمنا لأسلحتها التى قدمتها له خلال الحرب العالمية الثانية طبقا لاتفاقية (الاعارة والتأجير) ٠

ان الاتحاد السوفييتى لا يستطيع أن يدرك فى هذه الآونة أن سياسته فى منطقتنا العربية محكوم عليها ، وأنه لن يستطيع ـ كما فشل غيره ـ أن يقف ضد ارادة الشعوب ٠٠ أو ضد حركة التاريخ ٠

ان الارتباطات الأيديولوجية فى المنطقة العربية لا تزيد فى الواقـع عن كونها قرارات قيادية تنجم غالبا عن تورطات سياسية ، وهى لا ترقى الى درجـة العقيدة والكوادر ، بل شعارات بلا مضمون وفرقاء بلا تنظيم ٠

ان هـذه القيادات المؤقتة مستعدة فى أى وقت لخلع هـوياتها العقائدية ؛ فيما عـدا الانتماء المقـدس الى تراب الوطن العربى ٠

تقـول (وثيقـة كرايسكى) التى وضعها وفـد (الدوليـة الاشتراكية) لتقصى الحقائق فى المنطقة العربية بعـد نصر أكتوبر « ان الاتحـاد السوفييتى ليس لديه نفـوذ عقائدى هام فى العـالم العربى ، وان نفـوذ الاتحـاد السوفييتى يكون هاما ــ فقط ــ فى حالة الحرب واحتياج الدول العربية للتعاون العسكرى معه » ٠

ولقـد أدت حرب أكتوبر الى ارتفـاع العرب الى ذروة الوعى بالمصير الواحـد ، فانطلقت جيوشهم الى لهيب المعركة عازمة على تخطى الخلافات وتجـاوز الحساسيات التى كان يعـانى منها الجسد العربى ، وسادت روح الأسرة فى ساعة العسرة ، وتحقق حـلم (قـومية المعـركة) ٠

لقـد كانت هـذه الحرب أروع انجـاز للعمل العربى الجمـاعى فى تاريخ العرب الحـديث ٠

لقـد ظهر العرب على المسرح الدولى بحجمهم الحقيقى كقـــوة قادرة على النضال بقـوة السلاح لاسترداد حقهم المشروع ، وأحس العـالم بوزنهم وبثقلهم كقـوة قـادرة على التأثير ــ بالمنع والمنح ــ فى الواقـع العالمى المعاصر ٠

لقــد حرر العرب قبل الأرض ارادتهم فى القتال من أجـل حياة كريمة ، وحرروا صورتهم العربية الحقيقة من كل ما لحـق بهـا من زيف وتشويه وسخرية ، وأظهروا أن الأفكار الاسرائيلية المسبقة حول العرب قـد ثبت افلاسها ، وغيروا بوحـدتهم الخريطة السياسية للشرق الأوسـط ٠

لقـد كانت حرب أكتوبر درسا عمليا أثبت القـدرة العربية عسكريا واقتصاديا وسياسيا وحضاريا ؛ حين يتم الحشد وتتحقق التعبئة على أرضية متينة من التنسيق العربى ٠

وحين أثمـو نصر أكتوبر أعظم ثمراته وهـو التضامن العربى ، كان ذلك اكتشافا بالنسبة للعرب وبالنسبة لخصومهم على السواء ٠

وأثبتت هـذه الحرب أن أى تحرك مستقبلى ناجح فى هـذه المنطقة لا يمكن الا أن يكون تحركا عربيا جماعيا ٠

ان أهم درس قـدمته حرب أكتوبر للعالم أجمع هـو ذلك الدرس العظيم الذى أثبت أن الأمة العربية قـد عرفت طريقها الصحيح نحـو تحقيق أمانيها ومطالبها المشروعة ، فاذا كان الرأى العام العالمى قـد تحـول مؤيدا ومساندا وداعما للحـق العربى والفلسطينى فانما قـد تحـول الى هـذا الاتجاه بعـد ذلك الأداء العظيم الذى قـدمه جنـود مصر وسوريا على رمال سيناء والجـولان ٠

لقـد وضع نصر ٦ أكتوبر عنصر المبادأة فى أيدى العرب ، بمعنى أن أصبحت القرارات الدولية الخاصـة بنا هى رد الفعل للتحركات العـربية ٠

ولقد طرحت الحرب قضية الوحدة العربية والعمل العربى الموحد بأسلوب جديد ، وتوارى هدف تحقيق للوحدة من خلال الثورة ، وحلت محله مفاهيم التعايش السياسى والتعاون الاقتصادى ، ونبتت فكرة (اتحاد الدول العربية) مع اختلاف أنظمتها الحاكمة ، وسقط من القاموس العربى والمصرى الى الأبد ، وبعد التجربة ، تصنيف البلاد العربية الشقيقة الى ملكية وجمهورية أو الى رجعية وتقدمية ، وسقطت معه سياسة التدخل والوصاية والاعتماد على الشعارات فى اختيار المواقف ، وانهارت سياسة التعامل مع الشعوب وتجاهل الحكومات ، ووضعت حرب (الزعامة لمن ؟) أوزارها ، وصارت للعبرة كل العبرة بالممارسة : بالعون وقت الضيق والنجدة ساعة الشدة والوفاء للمصلحة العربية العليا وفاء مترجما الى عمل ، وليس قاصرا على القول الأجوف ·

ولقد كان التضامن العربى ضروريا بعد اتخاذ قرار الحرب وقبل قيامها ، وذلك لاعداد الأرض الصلبة التى ستنطلق منها شرارة هذه الحرب الظافرة ، ويؤيد هذا المعنى قول الرئيس السادات « ··· وضد هذا اليأس فى مصر وفى ألعالم العربى ، كان من واجبى أن أضم الصفوف فى مصر ، وأن أضم القلوب خارج مصر ، وأن أجمع الأصدقاء الى الأشقاء ، وأن نواجه الدنيا كلها فى اصرار وشجاعة ، فنحن أمة عريقة وعظيمة ، واذا خسرنا معركة فليس معنى ذلك أننا خسرنا الحرب ، ولا يعنى ذلك أنه وداع الى غير لقاء ·· مع الحياة والأمل حتى النصر » ·

ولقد أصبح الاخوة السودانيون مهيئين اليوم أكثر من أى وقت مضى لخوض تجربة التكامل معنا الى نهاية الشوط ؛ بعد نجاحهم فى ايجاد صيغة وطنية لوحدة التراب السودانى ، وبعد نجاحنا فى أكتوبر العظيم ·

ان منهاج العمل السياسى والتكامل الاقتصادى والعسكرى بين السودان ومصر جاء لتحقيق المصالح المشتركة من منطلق السعى لتحقيق للوحـدة المنشودة ٠

ان التكامل السودانى المصرى بمقـوماته وامكانياته يمكن أن يحقق تجربة رائدة فى التكامل الاقليمى والقـومى تكون نمـوذجا أمام للدول العربية والأفريقية ٠

ان تجربة التكامل السودانى المصرى هى تجربة وحـدوية تنضج على نار هادئة ، تحاول الاستفادة من دروس تجارب الوحـدة العربية السابقة ، تلك التجارب التى احترقت على لهيب الحماس المتقـد ، فى غياب العمل المخطط والمدروس ٠

ان تجربة التكامل السودانى المصرى هى تجربة وحـدوية تسير فيها حركة القيادات فى البلدين الى جـوار حركة الجماهير ٠

ولقـد أثبت أكتوبر ١٩٧٣ أن انفصام الوحـدة بين الأشقاء السوريين والمصريين فى نوفمبر ١٩٦١ كان أول الطريق الى هزيمـة العرب أمام اسرائيل فى يونيو ١٩٦٧ ، وأنه لو كان قـد كتب للبقـاء لهـذه التجربة الوحـدوية لتغير وجـه التاريخ فى المنطقة العربية كلها تغييرا كبيرا ٠

ان المناخ الذى تولد بعـد ٦ أكتوبر ١٩٧٣ قـد خلق فرصـة مواتية ، ولأول مرة فى التاريخ الحديث ، لاقامة صرح للوحدة العربية ، وان بداية بنـاء هـذا الصرح يجب أن يصاحب بداية سقوط الدور غير الطبيعى الذى حاولت اسرائيل القيام به فى المنطقة العربية ، والذى كانت قمته فى ٥ يونيو ١٩٦٧ ٠

ان المنــاخ الذى تولــد بعــد ٦ أكتوبر العظيم قــد هيأ الأرض العربية لظهور قــوة عظمى جــديدة لديها من الطاقــة الاقتصادية والقــوة العسكرية ما يؤهلها لأن تشارك بنصيب ايجابى وخــلاق فى توجيه أمور دنياها ، كما هيأ السماء العربية لاستشراقة شمس طال غيابها وانحسر شعاعها ، وخبــا نورها وانقطع دفئها ، ان الأمة العربية التى حققت وحــدتها أمام الموت يجب ألا تفقــد وحــدتها أمام للحيــاة .

لقــد دعا نصر أكتوبر جيزلر فرزنج الكاتب الألمــانى الغربى الى أن يقول فى كتابه ـ الانهيار الذى يمكن تجنبه ـ « رغم كل الخلافات التى قــد تبدو بين العواصم العربية فى الممارسات السياسية اليومية ، الا أن العواصم العربية كافة لا تستطيع التخلى عن التيارات الأساسية المشتركة ، ومن يلاحظ ذلك بدقــة يستطيع فقط ممارسة سياسة ناجحة مــع البلدان العربية » .

ويقول « ان عــودة العرب الى المسرح العالمى وقيام دولة اليهود فى الوقت نفسه ، تحمل فى أحشائها ولعشرات السنين أخطار قيــام تفجرات لا يمكن السيطرة عليها ، ومع تزايد الخطر تنشأ فى الوقت نفسه ضرورة التعاون بين القــوتين العظميين للمحافظة على السلام ، وهــذا الواقــع يجعل من الشرق الأوسط منطقة لأكبر أخطار السياسة الدوليــة » .

ثم يقول « لقــد ولدت دولة اسرائيل بصورة غير طبيعية تجاهلها البعض لمــدة طويلة الا أنها نمت وترعرعت كمــا ينمو ويترعرع الورم السرطانى ، ان اسرائيل لم تتأسس فى منطقة خالية منعزلة وانمــا فى المنطقــة القــديمة للشعب الفلسطينى الذى لم يبق منه فى الداخل الا للجزء اليسير والذى يعامل معاملة المواطن من الدرجة الثانية أو الثالثة ،

فقـد فرت الأغلبية وعاشت فى مخيمات أو انتشرت فى كافـة زوايا الوطن العربى ، ان هـؤلاء العرب من الفلسطينيين قـد تكاثروا وبلغ عـددهم فى أواسـط السبعينات أكثر من ثلاثة ملايين نسمة أى ما يعـادل عـدد سكان اسرائيل ، ولقـد شاهد القرن العشرون الكثير من حـوادث التهجير والطرد وشاهد العـديد من جماهير المهاجرين الذين تم دمجهم فى مناطق أخرى ، وظن الاسرائيليون أن ذلك يمكن أن يحـدث أيضا للفلسطينيين ، خاصة وأن المناطق العربية المجـاورة كسوريا والاردن ولبنان تملك أراضى شاسعة ، الا أن هـذا التصور كان الخطـأ بعينه ، فقـد استمر الفلسطينيون يطالبون بحقهم فى أرضهم ووطنهم وحصلوا بذلك على دعم كل العرب ، أما اسرائيل وأصـدقاؤها فأخطأوا تقـدير الديناميكية العربية الجـديدة التى انطلقت من عقالها فى هـذا القرن ، وهى البعـد الثالث للمشكلة الفلسطينية ، ولم يعـد بد من التسليم بأثر التيارات العاطفية فى التقـديرات السياسية تمـاما كما

هـو الحال بالنسبة للتقـديرات العقلانية ، ان عـدم اعطاء القيمـة للعواطف العربية وتجاهلها اثر نكساتهم الثلاث كان من الأخطاء الفادحة الكبرى التى وقعت فيها اسرائيل وهى فى أوج نشوتها ، وهـو نفس الخطـأ الذى ارتكبه الأوربيون تجاه الصين ، ومن الملامح التراجيديه لأزمة الشرق الأوسط عـدم استغلال اسرائيل للسنوات التى أعقبت

حرب الأيام الستة وموقف القـوة الذى كانت تملكه للتوصـل الى تسوية مقبولة مـع العرب ، وعجزهم عن التفكير بجـدية فى الجـوهر الأساسى للقضية : وهـو مصير الفلسطينيين ، ان هـذه الملايين الثلاثة من أبناء الشعب الفلسطينى ستبقى باستمرار العامل الملهب لأزمة الشرق الأوسط ، ثم أضاف احتلال اسرائيل لمدينة القـدس للمشكلة

مشكلة أخرى كبيرة : فالقدس ليست المدينة المقدسة لليهود وللمسيحيين فقط وانما هى مدينة المسجد الأقصى وقبـة الصخرة المجاورة لحائط المبكى ، وهى ـ الى جانب مكة والمدينة ـ ثالث المراكز المقـدسة للاسلام ، لذا فانها لم تكن مجرد كلمات فارغة عندما صرح الملك فيصل ـ

عاهل العربية السعودية الراحل ـ أن رغبته الكبرى هى دخـول المناطق المقـدسة فى القـدس للصلاة دون المرور عبر أراض غريبة ، ان العرب لا يريدون فقط حـل المشاكل الاقتصادية والاجتماعية وانمـا اعـــادة الشرف الذى أهـدر الى مكانه » ٠

وان كان ٦ أكتوبر سيظل الى أمد بعيد فى التاريخ أروع أيام الأمة العربية على طول ما حفل به تاريخها من أيام مجيدة ، لأنه اليوم الذى سقطت فيه كل الحـواجز لتبرز للعالم كله لأول مرة فى التاريخ الحـديث حقيقة الوحـدة العربية التى أبرزها التضامن العربى وارتفع بهـا فـوق حزازات الحـدود والعقائد والعقد الصغيرة ٠

فان ٦ أكتوبر سيبقى لمصر شهادة ميلاد جـديدة ، تعرف الانسان المصرى فيها برغم ركام النكسة ومتاهاتها على حقيقة ذاته بعـد أن عصف بيقينه هوان الهزيمة ، فأن يصنع المصريون بعبورهم واقتحامهم فى ٦ أكتوبر تلك القطعة الفـذة من السلوك الانسانى شىء يعنى ببساطة أن المصريين قادرون على المستقبل وقادرون على التاريخ ٠

ولكن ، رغم كل هـذه النتائج الباهرة ، ورغم سقوط كل هـذه الدعـاوى والأكاذيب والخرافات والأساطير ، المهم ألا يرهبنا داعى هذه الأساطير ، وألا يخدعنا تداعى هذه الأساطير ، فأصحاب الأساطير لا يتركون لعبتهم بالنار والموت حتى يحرقون مستقبلهم فى الوجـود والحيـاة ٠

ان حرب اكتوبر المجيدة قد علمتنا أن قوتنا الذاتية هى المولد والشرارة التى حركت الموقف كله ، وغيرت صورة الواقع الذىكان مفروضا علينا مصريين أو عربا ، وجعلت من المتاح اليوم ما كان مستحيلا بالامس، وستظلقوتنا الذاتية هى القاعدة الصلبةلحركتنا الوطنية والركيزة القوية لدورنا القومى ٠

ان معركة أكتوبر قــد وحدت صفوف الشعب المصرى على مستوى لم يسبق له مثيل فى تاريخه الحـديث ، وعلينا أنَ نستخدم هــذه التعبئة الشاملة لكل القــوى الوطنية لنخوض حربا فاصلة ضــد بقايا التخلف ، ولنبدأ معها مرحلة الانطلاق ، وأن نتفق على أنه لا مكان فى مجتمعنا لحقــد أو كراهية أو تعصب •

وصــدق رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما قال لبعض صحابته « **اذا فتح الله عليكم مصر ، فاتخـذوا من أهلها جندا ، فانهم خير أجنــاد الأرض ، وانهم فى رباط الى يوم القيامة** » •

مبــادرة الســلام

كاحــدى نتــائج حرب أكتوبر

بسم الله الرحمن الرحيم

«وان جنحـوا للسلم فاجنـح لهـا»

صـدق الله العظيم

اهــــداء

الى الذين يرفضون (مبادرة السلام المصرية) من العرب أو من غير العــرب •

الى الذين يرفضــون أن يتحــدث السادات باسم العرب ، وكأنهم يرفضون أن ينتصر السادات لكل العرب •

الى الجهلاء أو العملاء أو المزايدين أو الحاقــدين •• الذين فى قلب قلوبهم مرض ، أو فى نفس يعقــوبهم غرض •

الى الذين يتهمون المبادرة بالفشل حين ولادتها ، أو يصفونها بالجمود خــلال نمــوها ، ويتعامون عن ايجابياتها ويتغافلون عن معطياتهــا •

الى الذين يبتغون اجراء عملية تعــويم داخــل الرؤية العربية ، فيعمدون الى الخلط بين الثوابت والمتغيرات •

الى الذين يركنون الى الشعارات الجــوفاء ، والى الزبد الذى يذهب جفــاء •

الى الذين لا يفصلون بين الصالح والطالح ، ولا يميزون بين الخبيث والطيب •

الى الذين ينضوون تحت الصيغ السطحية التى تبــدو ككلمات حــق يراد بها باطــل •

الى الذين يدمنون زخرف للقــول الذى يسكر العقول ، والعبارات الرنانة التى تخلب الألبــاب ، والتى لا تقــدم (بل تؤخر) أى عطاء للقضــية ٠

الى الذين يقفــون حيث يجنح العقــل ، وينحرف المنطق ، وتتوه الحقيقــة ٠

الى الذين يصــدرون (لغطــا) ويعتبرونه (جــدلا) ٠

الى كل هــؤلاء وهــؤلاء ٠٠٠

أقــدم هــذه الكلمات الهادئة : مبادرة السلام ـ كاحــدى نتائج حــرب أكتوبر ٠

المؤلف

تمهيـــد

لا شـك أن مصر كانت ولا تزال تتحمل قيادة العمل القومى العربى فى شتى دروب الحياة ، وتتصدى لمتطلبات هـذا الدور التاريخى دون أدنى تردد ، وذلك بسبب امتلاكها الشرطين الأساسيين لذلك وهما : القـدوة والقـدرة .

واذا كانت الحضارة هى احـدى المقـومات الأساسية لمجتمع القـدوة ، فان رصيد مصر منها ما يؤهلها للقيام بهـذا الدور بلا منازع ، وقـد يكون من أهم ما خلفه هـذا الرصيد الحضارى لمصر هـو الابتعاد كلية عن الغرور والخيلاء ، لأن المجتمع المتحضر لا يمكن أن يقـع فريسة لهـذه النقائص التى لا تظهر الا فى مجتمع ضحل الجـذور ، متهالك البنيـان .

لقـد تحملت مصر بحجمها ووزنها ، بامكانياتهـا البشرية ومواردها الطبيعية ، عبء الموقـع الجغرافى تاريخيا وفى القلب بين الشرق والغرب والشمال والجنوب وفى حـومة الصراع بين أقطاب هذا العالم ومتناقضاته ، وهى لا تزال تتحمله آنيـا ومستقبلا ، لقـد تحملت وتتحمل وسوف تتحمل عن أمتها العربية وهـذا هـو قـدرها عن استيعاب للتاريخ واتجاهاته ، وعن استعداد للواقـع ومتغيراته ، وعن تأمل فى المستقبل ومقتضياته ، وهى تثبت يوما بعـد يوم أن الآمال التى تعلقها الأمة العربية عليها دائما هى آمال لا تخيب .

قـدر مصر أن تعمل وتقـود ، تواصل وتتحمل ، تعى مسئولياتها وتعرف التزاماتها تجاه الذين يعرفون والذين لا يعرفون ، وتجاه الذين يجحـدون والذين يزايدون ، ويخطىء الذين يزعمون أن مصر سوف

تعـدل عن مسيرتها وتحيد عن الطريق ، ويخطىء الذين يتصورون أن فى امكانهم اجهاض دور مصر الطليعى والطبيعى فى هـذه المنطقة من العـالم ٠

واذا كانت مصر قـد ضحت ولا تزال تضحى بالأنفس والأموال فى سبيل القضـية العربية عامة والقضـية الفلسطينية خاصة فلم يكن أمامها خيار آخر كما لم يكن حولها بديل يجنبها التضحية ، اذ كانت مصر هى المستهدفة بالدرجـة الأولى والمقصودة أصلا من خلق الكيان الصهيونى ، وهى لا تزال أمامه فى موقف للدفاع عن نفسها ٠

لقـد كانت مصر منذ ما قبل التاريخ الحـديث ولا تزال هى المطلوب عزلها وانطواؤها وقوقعتها واضعافها وتضييق الخناق عليها وتطـويق أهميتها للعرب ، ومحاصرة خطورتها على أعـداء العرب ٠

وان أول أهـداف للسياسة الخارجية لمصر على طول تاريخها هـو حماية الأمن الوطنى المصرى والأمن القومى العربى حيث أنهمـا متصلان لا فرق بينهما سوى أن أمن مصر يمثل أمن للقلب فى وسط جسد الأمة العربية ٠

ثم ان الارتباط بين مصر وفلسطين تاريخى متصل الزمان فضلا عن المكان ، كان ذلك فى عهدى رمسيس وتحتمس ، مثلما كان فى عهدى صلاح الدين ومحمد على ، ولهـذا لم يكن عجبا أن توجـه الصهيونية حملاتها السياسية وهجماتها العسكرية الى مصر أولا قبل سائر الدول العربية ، وأن تردد دائمـا أن مصر هى مفتاح الحرب والسلام فى المنطقة ، على أمل أنه لو أمكن اخضاع ثلث الأمة العربية فى مكان واحـد ، فمن اليسير اخضاع الثلثين الموزعين فى أكثر من عشرين مكانا ٠

وقد لا ننسى أن مصر هى التى أعطت فلسطين حق بقاء اسمها حتى الآن ، وضحت بأعز أبنائها لتدفع عن هذا البقاء شبح الفناء ، وحقنت بدماء شهدائها شرايين هذا الوجود ليبقى حيا ماثلا فى الوجدان العالمى ٠

ولقد نجحت الدبلوماسية العربية الهادئة بعد نصر أكتوبر ومبادرة نوفمبر ؛ فى عزل اسرائيل وفضحها ووضعها فى قبضة المجتمع الدولى ، ولا يصح قوميا ولا مصيريا أن نسمح لها بالافلات لأنه فى غمرة الحماس يطرح بعض العرب أفكارا تجعل العالم يقسم رفضه بين السلوك الاسرائيلى وبين ما يمكن تصويره بالتطرف العربى ، وليس ذلك بخفى على اسرائيل التى تحاول جهدها للخروج من هذا المأزق لمعرفتها بالثمن الذى يتعين عليها دفعه اذا استمرت فيه ، ان اسرائيل بالفعل فى قبضة المجتمع الدولى ، وهى تحاول أن تفلت ، لكن الكارثة أن يتحقق لها ذلك بفضلنا نحن العرب ، فيكون تطرفنا شعارا لتفريطنا ٠

ان الواقع الفلسطينى الراهن انما هو جزء من تركة مثقلة تحملها شعب فلسطين عبر عشرات السنين من ضياع الأرض وفقدان الوطن ، وهو نتيجة صراع عربى مارسته وتمارسه العديد من الأنظمة العربية داخل الساحة الفلسطينية ٠

ان بعض الأنظمة العربية قد لعبت (ورقة فلسطين) نتيجة لسبب أو لآخر ؛ قد يكون تجارة محرمة ، أو تواطؤا مع قوى أجنبية ، أو تطلعات زعامة مفقودة ، أو مصلحة ذاتية فردية زائلة ، أو أطماعا حزبية أو اقليمية ضيقة ، أو ارتباطات أيديولوجية مرفوضة ، أو محاولة نظام للهاء شعبه عن التفكير فى قضاياه الداخلية بحجة التفرغ كلية لخدمة (معركة وهمية) وتحت شعار (لا صوت يعلو على صوت المعركة) ٠

ان بعض الأنظمة العربية قـد استقرت مصالحها مع استمرار حالة الاعداد للحرب ، وبذلك تضمن بقاء سلطانها ، وتتاجر بمعاناة شـعوبها ، وتلتقي مـع أهـداف اسرائيل فى المنطقة ٠

ان تطورات قضية فلسطين هى أكبر دليـل على أن الخـلافات العربية قـد دأبت على أن تضيع (الممكن) طمعـا فى (المستحيل) ، ثم تعـود الى (الممكن) فلا تجـده ٠

بينما كان واجبا علينا نحن العرب منذ بدأ الصراع أن نفرق بين الممكن والمستحيل ، ونخاطب العالم بلغته ، ونذهب معه للى المدى الذى يستطيع أن يصـل اليه ، لا أن نطلق الأهـداف أمنيات بلا امكانيات ، وننصرف الى اثارة قضايا نعلم مقـدما أن المنـاخ العالمى ليس ممهـدا لهـا بل انها قضايا تعطى لاسرائيل حججا جـديدة لاقنـاع قطاعات من الرأى العام العالمى بأن العرب طـوال تاريخ الصراع لم يفكروا الا فى تدمير اسرائيل والقائها فى للبحر ، ولتلتمس منها العـذر عند القـاء الفلسطينيين فى للصحراء ٠

ان شعار (كل شىء أو لا شىء) هـو شعار ديماجوجى تخريبى يهدف الى هدم منطق (أى شىء) فى سبيل الوصول للى (لا شىء) ٠

ان الاختلاف فى الرأى ظاهرة حضارية صحية ، ومدعاة للتقارب وللتكامل وليس مدعاة لأن يفسد للود قضية ، أما الاختلاف لمجرد الخلاف فهو ظاهرة جاهلية غير حضارية ترتبط ارتباطا وثيقـا بالأوضـاع القبلية التى كانت وما زالت سائدة فى وطننا العربى ٠

ان قضية فلسطين ليست قضية مساحة من الأرض أو عـدد من السكان ، ان فلسطين بالنشأة الصهيونية فـوقها تمثل تحـديا

للأمة العربية بأكملها ، انها تحديد لمستقبل الوطن العربى كله .

ان قضية فلسطين لا تحل بقوة الصراخ والصياح أو عن طريق الانفعالات والتشنجات أو باسلوب المزايدات والمبارزات وحرب الاذاعات والميكروفونات وترديد الشعارات والمهاترات واطلاق الشتائم والبذاءات وتلفيق الافتراءات والتشكيك فى المنجزات واستعراض الأمراض والعقد والكشف عن مركبات الزيادة والنقص والتطلع الى الزعامة والوصاية واثارة البسطاء وبث الضغائن وزرع الأحقاد واستئجار الأقلام وتمويل المؤامرات واستباح الدماء والمطالبة بالرؤوس وتوزيع الاتهامات بالخيانة والعمالة شرقا وغربا والدخول فى معارك جانبية هامشية مكتوبة ومسموعة ومنظورة لا تسفر الا عن اصابة العلاقات والمصالح العربية بأضرار بالغة .

ان قضية فلسطين لا تحل بتدبير المظاهرات المعادية وحرق السفارات ومكاتب العلاقات المصرية وضربها بصواريخ الكاتيوشا أو بقنابل المولوتوف ، وتدبير (جريمة نيقوسيا) التى أدت الى (مذبحة لارناكا) .

ان مصائر الأمم لا تتقرر بالكلام ولا يحققها الهتاف ولا ينسقها الخلاف .

لقد كان واجبا علينا كعرب أصحاب حضارة عريقة اذا اختلفنا فى الرأى أن نراعى آداب الحوار الحقيقى والموضوعى والمتأمل والمتجدد والحافظ على الود بيننا ، فلا يجوز أن تتحول الساحة العربية حولنا الى (عكاظ) من المبارزات الكلامية التى تتدهور الى حملات الاتهام وتنحدر الى محاولات التشكيك وتهبط الى مستوى للتجريح وتكون على حساب

موضوع الحـوار ، والتى لا تقرب بين مواقف الأطراف وانمـا تزيدها بعـدا وتزيدهم نفـورا ، فتقطع المودات وتذهب المروءات ، وتتـوه معها القضايا الأساسية وسـط زحام من الجـدل العقيم ٠

ان توزيع الاتهامات جزافا هـو سلاح العاجز عن الاقناع والقاعد عن العمل ، ان الاتهام هـو أسهل وسائل النضـال ، انه نوع من اللجوء الى حمـاية الكلمة والاحساس بالانتصار بالقـول بدلا من اللجـوء الى العمل الفعلى المحسوس وممارسة الانتصار العملى الملموس ٠

ان الذين يتكلمون كثيرا يستنفدون طاقاتهم بالكلام ولا يستبقون للعمل شيئا ، ان الفصاحة الوحيدة المطلوبة والمسموح بهـا هى فصاحة الحـق العربى والمصلحة العربية ، ثم ان تسميم الآبار على طول الساحة العربية وعرضها لن يؤدى بالعرب الى أن ينهلوا أكسير الحياة ٠

لقـد حرصت السياسة البريطانية التى زرعت اسرائيل فى قلب الوطن العربى على أن تنمى فينا رغبـة للكلام ولو فى معارضة السياسة البريطانية ذاتها ما دام الكلام مصحوبا بعجز مريح لا يعطل مخططاتها المرسـومة ، والمثل الانجليزى يقول : ان الكلام لا يكسر عظاما ٠

لقـد كان واجبا علينا كعرب أصحاب حضارة عريقـة أن نتخلص من بقـايا عصر كان القـول فيه يغنى عن الفعل ، وكانت البلاغـة فيه تغنى عن العمل ، وكان الوهم بالحركة فيـه يمكن أن يكون بديلا عن الحركة ذاتهـا ٠

اننا حينما كنا قبـل حرب أكتوبر نبـالغ فى تأكيد أهـدافنا بالأقـوال فان ذلك كان يسير بالتوازى مـع مقدار عجزنا عن انجـاز أهـدافنا بالأفعال ، وبالقـدر الذى استرد به العرب بعـد نصر أكتوبر

شعورهم بالنجاح ابتعدت أهدافهم عن الخيال وعن مجرد مخاطبة الذات واشهار سلاح الانفعال ·

ان هناك فرقا بين العرب عندما يفكرون فى صمت ويتكاشفون فى جد ، وبينهم عندما يطيعون اغراء الحماسة والخطابة والبلاغة ، فيتكلفون ما لا يطيقون ، ويتحملون ما لا يستطيعون ، ويضيفون الى ما يقيدهم من الأغلال قيودا جديدة ·

ان هناك قلة من الأنظمة العربية البعيدة عن مرمى الدمار وويلات الحرب ، قلة لا تحارب ولا تهادن ، يحلو لها التشدق دائما بامتشاق الحسام وهو دائما فى غمده لم ينزع منه أبدا ، ولا تعرف من صفات المقاتلين الا صيحات القتال والتهديد والوعيد بالويل والثبور وعظائم الأمور ، ولا تتقن الا اصابة التضامن العربى بالتمزق اذا لم يتفق هذا التضامن مع أهوائها ·

ان مبادرة الرئيس السادات بالسلام تهدف الى تحقيق ما كانت تسعى اليه القوات المسلحة بالحرب ، وليس من الحكمة أن تسعى دولة الى أن تحقق بالحرب ما ترى أنها تستطيع تحقيقه بالسلام ، ان الحرب ليست هدفا فى حد ذاته ، فالحرب ليست للحرب ، وهى ليست ترفا يقدر عليه أحد فى عالم اليوم ، ان الهدف من أى حرب هو انتزاع السلام واحلاله بالقوة ، وخير سلام هو ما يحل بالسلام ، فالسلام هو مطلب الانسان والانسانية ، وأداته هى المفاوضات ·· والمفاوضات المباشرة ·

ان من حق الرئيس السادات وواجبه أن يعلن بشجاعة المقاتل المنتصر أنه سيذهب الى آخر العالم من أجل ألا يجرح جندى من أبنائه وأنه لن يلجأ الى الحرب مرة أخرى الا بعد أن توصد أمامه كل الأبواب التى يطرقها من أجل السلام ·

أن (جهة الرفض) التى أعلنت شعار (الصمود والتصـدى) ما لبثت أن أثبتت فى أزمة جنوب لبنان أنه شعار أجـوف لا ينم الا عن المراهقة السياسية والمبـارزة الكلاميـة ، ثم ما لبث عناتيرها وأشاوسها ومغاويرها أن انقلبوا على أنفسهم كل (يرفض) الآخر ٠

ان التعاون على الخطـأ وعلى خلق المحاور والجبهات وعلى سياسة المزايدات والمبارزات ليس من التضامن العربى فى شىء ، انمـا هـو التآمر بعينه أو التعاون على الاثم والعـدوان ٠

ان الغموض السياسى للقيادة الفلسطينية لابد وأن يستمر طالمـا استمر الشقاق العربى ، وفى اللحظة التى يعود الوفاق ويسود الاتفـاق فى الساحة العربية ، يعـود الوضوح السياسى للقيادة الفلسطينية ٠

ان الخلافات العربية لابد وأن تمتد تأثيراتها الى الوحـدة الفكرية بين المثقفين العرب ، ولابد أن تنتقل من كتابهم الى قرائهم ومن متكلميهم الى سامعيهم ، والى حيث يجنح العقل وينحرف المنطق وتتوه الحقيقة بين روعـة الكلمات والعبارات والشعارات ؛ التى تدير العقول وتخلب الألبـاب ، والتى تبـدو ككلمات حـق يراد بها باطـل ، والتى لا تقـدم (بل تؤخر) أى عطاء للقضية ٠

ان الأمة العربية أمة معاناة يشهد على ذلك تاريخها ، وبالتـالى فهى محصنة من المشاكل المفروضة عليها من الخارج ، أما الخطر الأكبر فيأتى من داخلها من جراء عملية تعـويم داخـل الرؤية العربية ، تعتمد على الخلط بين الثوابت والمتغيرات ٠

وليس من حق العرب قـوميا أو مصيريا أن يخلطوا بين الأهـداف والوسائل ولكن من حقهم أن يختلفوا على هـذه الوسائل ، وأن يرى

البعض وسيلة أنجح من وسيلة يراها البعض الآخر ، فالواقـع المحلى فى كل دولة عربية هـو الذى يحـدد البدائل المختلفة والاختيارات المتنوعة ، ولكن الاختلاف على الوسائل يجب أن يكون فى حجمـه فلا يرقى الى الخلاف ولا يصل الى التخـوين أو المجابهة أو القطيعة ٠

ان أهم الأعمـــدة التى قامت عليهـــا دولة اسرائيل هى ادراك الاسرائيليين للطبيعة العربية أو المزاج العربى ، فهم يعرفـــون أن العرب بتكوينهم لا يتفقون كثيرا واذا اتفقوا اليوم فلكى يختلفوا غـدا ٠

لقـد كان أكبر عـوامل نجاح اعلام اسرائيل لدى الغرب والشرق على حـد سـواء يعتمد أساسا على ما يمكن أن يقـدمه العرب لهـا على طبق من الذهب فى شكل خلافات وصراعات ومعارك تحقق فيما تحقق سقوط هيبة العرب ، كما تؤكد الزعم بأنه لا سلام مـع العرب لأنه لا سـلام بينهم ٠

ان اسرائيل ــ خصوصا بعـد حرب أكتوبر ومبادرة السلام ــ تعـانى ضغوطا داخليـة وخارجية عنيفة ، ومنفـذ اسرائيل من هـذه الضغوط دائمـا هـو الشقوق التى تظهر فى الجـدار العربى ٠

ان الحـدود الآمنة التى تقول بها اسرائيل ليست خيرا من تفكك العرب حولها ، وتحولهم الى شراذم متباعدة متنافرة ، فمـاذا تتمنى اسرائيل أكثر من ذلك ؟ وأى حـدود أكثر أمنا من مثل هـذه الحدود ؟ وفيما العجلة فى البحث عن حـل سلمى ، أو فى التجاوب مع مبادرة سلمية ، اذا كان التمزق العربى يتولى عادة حـل مشاكلها وأولهـــا مشكلة أمنها ؟ ٠

ان هناك فى عالم اليوم من يأمل فى أن تتحـول الخلافات العربية الى شـقوق عميقة وجراحات لا تندمل ، وحتى يتحقق لهم استمرار

الصراع العربي الاسرائيلى لتنشأ الحاجـة الى أسلحته وتأييده ، وحتى تنضج الظروف الموضوعية الملائمة فى ظـل التوتر الدائم والصراع المستمر والحروب المدمرة لاحـداث تغييرات اجتماعية وسياسية للنظم القـائمة تتفق وأيديولوجيته ٠

ان النزاعات بين الدول الصغيرة ما هى الا فرص كبيرة تتاح للدول العظمى لكى تصطاد فى المـاء العكر ٠

ان استمرار الانقسام فى الوطن العربى ـ وسـط عالم يتجه الى التكتلات القـوية ـ يجعل من هـذا الوطن شيئا أشبه بالرجـل المريض (كما كانت تسمى الدولة العثمانية فى أواخر عصرها) ممـا يفقده استقلاله ويثير المطامع من حـوله ويجعله خطرا على السلام العالمى ٠

ان المخاطر الخارجية كل لا يتجزأ ، وتهـديدها يستهدف المصير العربى بأكمله ، والمواجهة الحقيقية لهـا لا تكون الا بالتحـام عربى شامل بكل ما لديه من امكانيات بشرية ومادية ، وبتغليب الحس القـومى على ما عداه من الحنين الى التقـوقع القبلى المتنافر ، والتشرذم الاقليمى المتنابذ ٠

ان بروز قـوتنا الناشئة بعـد حرب أكتوبر ، والتى أدت الى تغير محسوس فى موازين القـوى الدولية ، هـذه القـوة العربية الجـديدة لن تعجب بعض القـوى التى لن ترضى بديلا عن اجهاضها ، وأتعس ما يكون هـذا الاجهاض أن يتم على أيدى العرب ٠

ان القـوة العربية الجـديدة والتى لا تزال فى مرحلة النشوء بعـد نصر أكتوبر لا ينبغى أن تبددها المعارك الجانبية وغيـاب الهـدف الواحد ، كما لا ينبغى أن تخضع لمؤامرة احلال الصراع العربى ـ العربى

محـل الصراع العربى ـ الاسرائيلى ، وانما ينبغى أن تجنى هـذه القـوة العربية الناشئة كل ثمرات انتصارها ، وأولها سلامها العادل والشامل ٠

لقـد كانت زيارة القـدس قفزة فـوق كل الأسـوار التى كانت تحاول ن تحجب بين آثار أكتوبر وبين القضية العربية عامة والقضية الفلسطينية على وجـه الخصوص ، ومست هـذه الزيارة ضمير العالم المتحضر فتحرك مـع هـذه القفزة غير التقليدية وفتح للعرب عقـله كما فتح له قلبه ، واختل توازن اسرائيل وفقدت سيطرتها على الموقف ووقعت فى قبضة المجتمع الدولى ولم تجـد حـولها منفـذا الا ما يصنعه لهـا غربان الرفض بالتواطـؤ مـع دببة الكرملين ٠

ان التضامن العربى يساعد على سرعة تحقيق هـذا السلام ويقطع الطريق على اسرائيل كى لا تناور وتداور وتساوم وتلعب على الخـلافات العربية وتتعلل بها ، وحـل الخلافات العربية ـ مهمـا كانت ـ يجب أن يواكبـه ابراز حجمها الأصـغر أمام الحجم الأكبر للمصالح العربية العليـا ٠

ثم ان التضامن العربى لا يعنى الجمود ، ولا يفرض قلة الحيلة ، ولا يلغى تعـدد الوسائل والبدائل ، ولا يمكن أن يكون قيـدا على العرب يمنعهم من التحرك فى سبيل حـل القضية ومواجهة العـدو فى حلبـة السياسة بعـد انتصارهم عليـه فى حلبة القتال ٠

ان التضامن العربى ما كان يعنى بالضرورة طلب المشورة سلفا من ملوك العرب ورؤسائهم فى أمر مبادرة قـد تبـدو عند البعض غير مألوفـة بالمقاييس المعتادة وقتها فتثير من الحرج أو من الجـدل ما يقلل من قيمة تأثيرها وما يضعف من عنصر المفاجأة فيها ، ثم اننا لو وضعنا

فكرة المشورة فى اعتبارنا ونحن نعد لحرب أكتوبر لما قامت الحرب ٠٠ وما تحقق النصر ٠

يقول الرئيس السادات « لقد أردت أن آخذ هذه المهمة على عاتقى وعلى مسئوليتى وأردت أن أجنب اخوانى الملوك والرؤساء العرب مسئولية أى مضاعفات وحتى لا أضعهم فى موقف محرج ناتج عن أى مشورة سابقة » ٠

ثم يتساءل « ماذا كان سوف يحدث لو أننى أبلغتهم سلفا بزيارتى ورفضوا ؟ ماذا كان سوف يحدث لو خضعت الزيارة لمنطق المزايدات ؟ ان قوة هذه الزيارة تكمن فى سرعتها وفى الصدمة المفاجئة التى يمكن أن تحدثها ، ثم ان مصر لا تحب أن تستتر وراء أحد وكل عمل تعمله هو عمل معلن » ٠

ثم يتساءل مؤخرا « كيف أكون مخطئا ودول العالم كله تؤيد سياستى وتباركها ؟ ان هذه الدول أيدتنى لأن المبادرة أطلقت قوى لا قبل لأحد بها : دوليا أو عربيا ، ان أسلوب الصدمات الكهربائية ما زال صعبا على الفهم من جانب أغنياء الحرب العرب ، اننا ظللنا حتى تاريخ المبادرة نتبع سياسة النعامة التى تدفن رأسها فى الرمال متصورة بذلك أنها ستنجو ، والعالم كله من حولنا يضحك علينا ، وقد انتهى ذلك الآن الى غير رجعة » ٠

يقول الملك الحسن الثانى « اننى لا أرى فى الزيارة التى قام بها الرئيس السادات للقدس ما يخل بسلامة الموقف العربى ، ولكننى أرى أن فى خطابه أمام الكنيست الاسرائيلى لم يخل الرئيس السادات بما اتفق عليه العرب فى قمة الرباط عام ١٩٧٤ ، بل كان دفاعه عنها دفاعا صادقا وبالأسلوب الذى يقتضيه الموقف » ٠

ان زيارة السادات للقـدس ـ ومعه رصيد أكتوبر ـ لا تشكل تنازلا عن حـق ولا تهاونا فى كرامة ولا تقايض بحـل جزئى ولا بصلح منفرد ولا ترتب أية أوضاع قانونية جـديدة ولا تكسب اسرائيل أية حقـوق مباشرة أو غير مباشرة ولا تمثل اعترافا باسرائيل ولا بمـدينة القـدس عاصمة لهـا كما يرجف المرجفـون ٠

لقـد اعتبر كل من كتب أو أذاع من الاسرائيليين عن هـذه الزيارة أن السادات لم يذهب الى اسرائيل عن ضعف أو وهن ، كما أنه لم يذهب ليجعل الأمور أكثر سهولة أمامهم ، بل رأوا فى قراره بالذهاب اليهم دليل قـوة وشجاعة تستحقان الاعجاب ، وكانت مظاهر الاحترام والتكريم والترحيب والحفاوة به من واقـع هـذا الاعجاب العظيم ٠

ثم ؛ الم ينصح المسئولون الجزائريون الضالعون فى الرفض الآن والذارفـون لدموع التماسيح على الشرف العربى الذى أهـدر ، ألم ينصح هـؤلاء المسئولون زعماء منظمة التحرير الفلسطينية خلال مؤتمر الجزائر بأن الحـل الأمثل لحـل قضية فلسطين أن يقبلوا الجلوس والحـوار المباشر مـع الاسرائيليين كما فعلوا هم مـع الفرنسيين فى (ايفيـان) ؟ ٠

ولو أن العرب قـد قبلوا الحـوار مـع الاسرائيليين بالوساطة . فأى نكوص يمنعهم من الحوار المباشر ؟ وما الذى يمنعنا من أن نواجـه الاسرائيليين بعـد انتصارنا فى حـوار يستهدف الرأى العام العالمى ، والرأى العـام الاسرائيلى معه ؟ ٠

ومـع أن القارب العربى فى محيط السياسة الدولية يجـدف بمجـداف واحـد تمسك به اليـد المصرية فى مواجهة العـواصف

الاسرائيلية والأنواء السوفييتية والزوابع العربية الا أن مصر سوف تشدد قبضتها على هذا المجداف الى أن تصل بالعرب الى بر السلام ٠

ان مصر ، مصر العطاء والحضارة ، التى مضت دائما ـ وبكل الالتزام والمسئولية ـ تحمل العبء على كتفيها لصالح الأمة العربية ، ستمضى متحملة مخاطر السلام كما تحملت مخاطر الحرب ، متحملة تبعات المواجهة بالمنطق كما تحملت عبء المجابهة بالمدفع ٠

ومثلما عبرت مصر بالأمة العربية معركة الحرب فسوف تعبر مصر وبالأمة العربية كلها معركة السلام من أجل تحرير الأرض واستعادة الحق ٠

أما هؤلاء الرافضون ، المتاجرون المزايدون ، عرب (العجز والحقد) ، المستفيدون المنتفعون الذين لا يريدون للقضية أن تحل ، والذين يريدون للقضية أن تظل مصلوبة على جدار الزمن ، والذين يجدفون فى مياه لارفض الراكدة منذ بدأت هذه القضية ، والذين هاجموا مبادرة السلام المصرية ووصموها بالخيانة والعمالة ، وقذفوها بالاستسلامية والانهزامية ، ووصفوها بالحل الجزئى والصلح المنفرد ، نردد على أسماعهم ما قاله بطل العبور فى عقر دار العدو على لسان شعب مصر وجيش مصر « جئت بقدمين ثابتتين ، وارادة واعية ، أبلغكم رسالة السلام : أرضنا لا تقبل المساومة ، وتحريرها ليس محل الجدل أو الرجاء لأحد أو من أحد ، لم أحضر لصلح منفرد أو لسلام جزئى ، ونصر على الانسحاب الكامل من الأرض المحتلة ، بما فى ذلك القدس العربية ، ولن يجدى أن تصموا آذانكم عن قضية الشعب الفلسطينى ، فهى قلب للصراع وجوهره ، وحتى لا تتأخر مسيرة السلام ٠٠ أو يقتل السلام » ٠

مبادرة السلام

كاحدى نتائج حرب أكتوبر

سبق أن أشرنا ـ فى معرض الحديث عن نتائج حرب ٦ أكتوبر العظيم ـ الى نجاح الاعلام العربى فى تخليص نفسه من عقدة الشعور بالنقص بعد كسر حاجز التفوق الاسرائيلى ، وذكرنا أن العرب قد تركوا الصراخ لأن الأقوياء لا يصرخون ، واستطاعوا أن يتحدثوا ـ بصوت هادىء وايقاع ثابت ـ عن السلام من موقع القوة ، كما استطاعوا أن يتحركوا دبلوماسيا بين عواصم العالم باقتدار نال اعجاب الأعداء قبل الأصدقاء فيما عرف بحملة السلام العربية ، وأن يدفعوا ساسة العالم الى الحركة نحو عواصمهم ، وأن يستردوا زمام المبادرة فى أيديهم ٠٠ ومن أيدى من كانوا ينوبون عنهم أو يتكلمون باسمهم ، وذلك بعد أن انفتح طريقهم ٠٠ ووضح هدفهم ٠

ولقد صدق الفريد آثرتون مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط حينئذ عندما قال « لقد أسست هذه الحرب بصورة مختلفة مرحلة جديدة فى دبلوماسية الشرق الأوسط ، وذلك باحداث تغيير جوهرى فى ديناميكيات المشكلة » ٠

لقد تغيرت الأفكار النمطية والمفاهيم البالية التى بدت لنا كبديهيات أساسية غير قابلة للنقاش والتى كانت تتعلق بالشكل أكثر من تعلقها بالمضمون ، لقد سقطت اللاءات الثلاثة المشهورة (لا صلح ولا اعتراف ولا مفاوضة مع اسرائيل) ، لقد تحطمت قيود الفكر

الجاهلي وصار لنا عقل عربي جديد .. أكثر علمانية وأكثر جسارة وأكثر تحضرا بعد أن ادركنا حجم اسرائيل الحقيقي على وهج أكتوبر العظيم .

لقد بلغ (هجوم السلام) أشده بمبادرة قائد العبور بزيارة اسرائيل خارجا عن المألوف لدى هؤلاء الذين اعتادوا التفكير على نمط ما قبل أكتوبر ، ومتجاوزا باسم المسئولية أية حساسية في مواجهة خصومه الذين انتصر عليهم البارحة .

تقول مجلة الايكونوميست البريطانية في تعليق لها على هذه المبادرة (ان الشيء النبيل الوحيد الذي حدث في الشرق الأوسط لمدة طويلة جدا من الزمن هو رحلة الرئيس السادات الى القدس) .

كما يصف وفد من ممثلي الطوائف المسيحية الايفانجيليية بالولايات المتحدة هذه المبادرة بأنها (هدية مصر للتاريخ المعاصر) .

ان القوة الحقيقية لهذه المبادرة تكمن في أنها جاءت من بطل العبور الذي يحمل معه الجرأة والشجاعة ، وقوة الحجة ووضوح الرؤية ، والتمييز الواعي بين الخط الاستراتيجي الثابت والحركة التكتيكية المرنة .

ان القوة الحقيقية لهذه المبادرة تكمن في أنها جاءت من المقاتل المفاوض . المصري العربي ، الذي يقتحم دار خصمه ، بكل ما تمثله العزة المصرية والعربية ، ليواجهه بحقائق الأمور اذا ما بدا له أنه يستطيع التغاضي عن هذه الحقائق بالحديث عن الاجراءات والتفاصيل الهامشية المشترطة .

ان الثقة الشعبية التى أعطاها الشعب المصرى لرئيسه فى تأييده لمبادرته لم تنبع من فراغ ٠٠ كما أنها لم تنبع من يأس ، وذلك بعد نصر أكتوبر وما تبعه من نجاحات متوالية فى صف العرب ٠٠ وضد اسرائيل ٠

ان الثقة الشعبية التى أولاها الشعب المصرى لقائده فى تأييده لمبادرته قد نبعت من نظرة هذا الشعب العريق الى هذا السلوك المتحضر على أنه (قمة انتصارات أكتوبر) ٠

ان هجوم السلام الذى يقوده الرئيس السادات هو استمرار طبيعى لهجوم الحرب التى كسبها ، وان الصدمة الكهربائية التى تحدثها مبادرة نوفمبر تكمل الصدمة العسكرية التى أحدثتها حرب أكتوبر ٠

يقول الرئيس المقاتل المفاوض « لقد كان نصر أكتوبر بردا وسلاما علينا وعلى أجيال من بعدنا ، ولولا نصر أكتوبر ما كانت مبادرة السلام » ٠

كما يقول « لقد أردت أن أوفر الأمن لشعبى وللأجيال القادمة ، وأحسست أننى قوى بما يكفى لأن أحمل على عاتقى هذه المهمة ، وحينما أصل الى هذه القناعة لا أستسلم لشىء على الاطلاق الا لتحقيق هذا الهدف الذى رسمته ، وأقدمت على هذه الخطوة ومن حسن حظى أنها حظيت بتأييد مئات الملايين فى أنحاء العالم أجمع » ٠

ثم يقول « اننى اعتبر هذه المهمة مقدسة ، واذا كنت أشعر أننى أستطيع ولا أقدم فسوف أشعر أننى سأحاسب أمام ربى لأنه كان من الممكن أن أفعل شيئا ولم أقدم عليه » ٠

كما يقــول « ان نفسى لم تطاوعنى فأتوقف لحظة واحــدة عن القيام بمــا أراه واجبا أخلاقيا ووطنيا وقــوميا » ٠

ثم يقــول « اننى حريص على أن تكمل مصر معالم عملتتها فى الداخــل والخارج ٠٠ مصريا وعربيا وعالميا » ٠

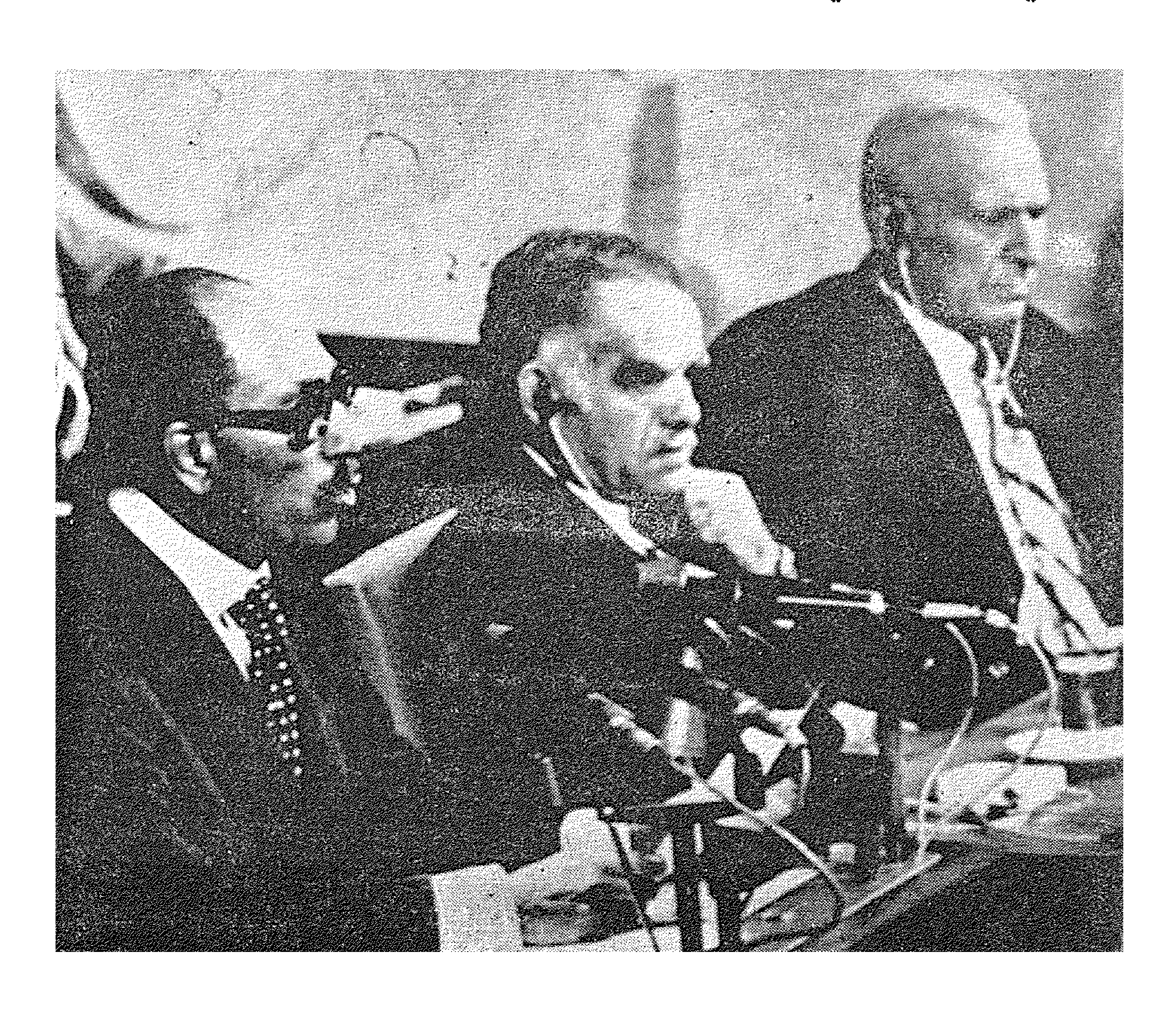
ومع ذلك ، فان هــذا الشعب المصرى الذى أضاء النــور الأخضر كان ولا يزال على استعداد لأن يطفئه ويعــود الى خنادق الحرب ثقــة منه بأنه وفى كل ما عليه فى معركة السلام أمام ضميره ٠٠ وأمام ضمير العالم ٠

ان هــذا الشعب الذى يعشق السلام ويتعجله ؛ لا يمكن أن تباع له أية (بضاعة حاضرة) ، ولا يمكن أن يقبل بأقل من سلام عادل وشــامل ٠٠ لنفسه ولغيره ٠

ان هــذا الشعب لا يريد أن يقتلع الشجرة من جــذورها ، ولكنه يريد أن يزول العقم الذى يحول دون طرح السلام فى المنطقة ، لأن مصر التى زرعت شجرة السلام لن تكون البادئة بقطعها ٠

ولسوف يصبر الشــعب المصرى فى سعيه على طريق السلام طالمــا ظلت امكانية التوصــل اليه قائمة ، فاذا لم تزهر مبادرة السلام أغصان الزيتــون ــ هناك فى اسرائيل ــ فسوف تساعد باليقين ــ هنا فى مصر ــ على تركيز ارادة المجابهة الصلبة فى شعبها ، ولن يكون من وراء هــذه المبادرة الا ما قاله صاحب المبادرة « ان اسرائيل لن تفلت من معركة السلام أو الحرب » ٠

لقـد فاجأ الرئيس السادات الاسرائيليين الذين أثار دهشتهم رؤية زعيم عربى يتخذ هذه الخطوة غير العادية المتمثلة فى مواجهتهم فى برلمـانهم أو فى عقر دارهم ...





لقد تعاظمت احتمالات السلام فى الشرق الأوسط بهذا الاتفاق على نحو يندر أن يكون قد حدث من قبل ...!



ان هبوط الرئيس السادات على أرض مطار بن جوريون كان مثيرا لذهول
الاسرائيليين أكثر من هبوط نيل آرمسترونج على سطح القمر ...



لقد وصل الانسان الى القمر ، ووصل السادات الى القدس ، وهذان الحدثان هما أعظم ما تم فى عصرنا ...

يقول الرئيس السادات فى حـديث له الى صحيفة نيويورك تايمـز « ان رغبة اسرائيل فى أن تصبح حرب أكتوبر هى آخر الحروب بينها وبين العرب لن تجـد طريقها الى التحقيق اذا ظلت اسرائيل على تمسكها بخطها ، واذا لم تساهم فى مسئولية اقرار السلام » .

كما يقـول فى حـديث آخر الى صحيفة أساهى اليابانيـة « ليس أمام اسرائيل الا أن تختار ، وبسرعة ، بين السلام أو الأرض ، وما لم يستجب الاسرائيليون لمـا يطالبهم به الرأى العام العالمى ، فلن يحصلوا ، بالتأكيد ، لا على السلام ولا على الأرض » .

كما يعلن فى لقـاء مع أبطال الجيش الثانى « سوف أعطيكم الأمر كما أعطيته لكم فى أكتوبر لنكمل معركة التحرير اذا ظلت اسرائيل على طريقتها فى عـدم فهم روح مبادرة السلام » .

لقـد كانت قفزة السادات الى القـدس عبورا الى عقل اسرائيل وتحطيما للجـدار النفسى القائم بينها وبين العرب واثباتا لنـوايا السلام واحكاما لحصاره وكسرا لحاجز الشك القائم على الثقـة المفقودة واختصارا للشكليات والاجراءات ودفعـا لعملية السلام على طريق جنيف واستثمارا واستكمالا لنصر أكتوبر العظيم .

لقـد استطاع السادات ــ بروح من حضارة مصر وسماحة اهلها ــ أن يتجاوز بقفزة القـدس الحاجز النفسى للمشكلة ، والذى كان يمثل فى تقـديره نسبة سبعين فى المـائة من مجموعها ، والا لمـا كان هـذا الاحساس الجـديد الذى غمر الاسرائيليين بضرورة الاختيار .

لقـد قبض السادات بيـده ــ فى قفزة واحـدة ــ على ثلاثين عاما من المعاناة والتضحيات والحروب والأزمات والهزائم والانتصارات واراقـة الدماء وسقوط الشهداء وألقى بكل ذلك خلف ظهره .

لقــد خلقت زيارة السادات موقفــا نفســيا جـديدا يعيش الاسرائيليون فيه ، وأعطت لهم دافعـا لاحـداث تغييرات هامة فى تفكيرهم وتصوراتهم عن الصراع ممـا يسمح لهم بعملية استكشاف للحقـائق الجـديدة والمتغيرات المختلفة فى الموقف ٠

كما أراد السادات بهـذه القفزة القـاء القفاز فى وجـه زعمـاء اسرائيل من أجـل المضمون ، واضفاء الشعور بالدفـع على المفاوضات المباشرة وتقليل النقـاط الاجرائية الى حـدها الأدنى ٠

لقـد أراد أن يوفر على العرب عامة وعلى الفلسطينيين خاصـة سنوات وسنوات من الوقت الضائع الذى لم يكن ليستفيد منه سـوى صقـور اسرائيل ، وأن تتجاوز مصر مـع اسرائيل بهـذه القفزة نقطة اللاعـودة فى تحركهما نحـو السلام ٠

يقـول الدكتور هربرت كيلمان الأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية ومن كبار العلماء فى مجال الدراسات النفسية الاجتماعية للعلاقات الدولية « ان اقتناعى الذاتى هـو أن الرئيس السـادات قـد حقق بزيارته لاسرائيل هـدفه فى التغلب على الحواجز النفسية التى أعاقت المفاوضات المباشرة لسنوات طـوال ، فقـد خلقت الرحلة الظــروف الملائمـة لادراك وابراز التغييرات التى حـدثت لدى كل طرف ودعتهم لمواجهـة الحقائق الأساسية فى الموقف من خلال عملية أخـذ وعطاء على أسس واقعية » ٠

ويقول البروفيسور الاسرائيلى آموس بيرلميتور أسـتاذ العـلوم السياسية بالجامعة الأمريكية بواشنطن « ان الصراع العربى الاسرائيلى قـد انتقل من المرحلة العقائدية الى المرحلة الواقعية ، وذلك بعـد أن أصبحنا لا نخاف بعضنا البعض ، وبعـد أن تعلمنا أن نتحـدث الى بعضنا مباشرة » ٠

لقــد جاءت رحلات السادات بعــد نصر أكتوبر العظيم الى أوربا وأمريكا ومقابلاته لقــادة الفكر والرأى فيهما عبورا الى عقــل الأوربيين والأمريكيين والى ضميرهم ، وتخطيا لجـدار الكراهية للعرب الذى بنته اسرائيل وعززته بوسائل اعلامها بدقــة ودأب واصرار لاهــوادة فيه على مدى ثلاثة أجيــال متعاقبة .

ثم جاءت (رحلة السلام) الى القــدس تتويجا لكل رحــلاته بكل ما عكسته من ألوف المقالات والتعليقات التى فاضت بهــا صحف العالم واذاعاته المسموعة والمرئية عبر الأقمــار الصناعية وبكل ما حققته من تحركات سريعة على طريق السلام العادل والشامل فى الشرق الأوســـط .

لقــد أجمع العالم على أن هــذه الزيارة هى مفاجأة مذهلة تنطوى على جرأة نادرة ، وأنها قفزة جسورة تتسم بالقــدرة على التخيل ، وأنها حركة مدروسة محسوبة النتائج ، وأنها خطوة غاية فى الشجاعة ودليــل يعكس البراعة فى قــدرة مصر على انتزاع المبادرة ، وأنهــا تعبير رائع عن موقف القــوة لبطل الحرب والسلام ، وأنها تأكيد وانطلاقة لنصر أكتوبر العظيم .

يقول الرئيس السادات لصحيفة أساهى اليابانية بعــد هــذه الزيارة بشهور « لقــد استحوزت المبادرة على خيال العالم أجمع ، وبدلا من أن تكون مبادرة مصرية فهى الآن قــد أصبحت مبادرة عالمية ، تخص كل الشعوب المحبة للسلام فى كل أنحاء العالم من الولايات المتحــدة فى الغرب ، الى اليابان فى الشرق » .

لقــد أكدت جميع أجهزة قياس الرأى العام فى أوربا وأمريكا أنه لم يسبق لزعيم عربى أن قام بعمل أثر على الرأى العــام

الأوربى والأمريكى مثل تأثير الرحلة الجسورة والمثيرة التى قام بها الرئيس السادات للقدس ، والتى غير بها مفاهيم العالم حول العرب واستولى بها على عقول الناس وأفئدتهم ، وأن الرئيس السادات قد تحدى علنا احتكار اسرائيل للاتصالات الدعائية مع العالم ووضع الاسرائيليين فى موقف دفاعى من خلال هذا المسلك الرائع ، وأنه قد سيطر على وسائل الاعلام وأصبح النجم الذى تسعى وراءه أجهزة المعلومات الأوربية والأمريكية •

لقد كانت وسيلة الجامعة العربية الوحيدة فى التعبير عن وجهة النظر العربية فى الولايات المتحدة قبل مبادرة السلام هى اللجوء الى الاعلان المدفوع الثمن مقدما حتى يطلع عليه الرأى العام الأمريكى ، وما يحدث الآن هو أن كل وسائل الاعلام الأمريكى مليئة بالآراء المؤيدة لوجهة النظر العربية ، الشىء الذى دفع احدى أقوى وأعتى المنظمات الصهيونية فى الولايات المتحدة مثل منظمة (بناى بريت) الى اللجوء الى الاعلان المدفوع حتى تستطيع أن تدافع عن سياسة اسرائيل ، تماما كما كنا نفعل فى الماضى ، انها ظاهرة جديدة لها أهميتها ودلالتها لكل من يتابعون حركة الرأى العام وسياسة الولايات المتحدة ازاء تطور الصراع العربى الاسرائيلى •

يقول أحد السفراء الأوربيين فى القاهرة « لقد كان الرأى العام الأوربى ينظر الى الموقف فى الشرق الأوسط من خلال عيون اسرائيلية ، ثم جاءت مبادرة السلام فحولت أنظار الأوربيين الى الشرق الأوسط بطريقة ليس لها سابقة » •

ويقول السينيور روسيل دى لوما الرئيس الفخرى لهيئة جائزة (الكوكب الذهبى) الدولية للسلام « ان الرئيس السادات قد أقدم بشجاعة يندر حدوثها بين الرجال فواجه عدوه المتغطرس وأجبره

على احترامه ، كما أعطى للمشكلة العربية الصفة العالمية فتبنتها الدول الكبرى مما كان له أثر فى اظهار عدالة القضية العربية واثبات حب الشعب العربى للسلام » .

ويقول الدكتور كينيث جريث رئيس المجلس العالمى لحركة الكنيسة الميثودية البروتستانتية « ان الزيارة التاريخية التى قام بها الرئيس السادات للقدس قد أضاءت شعلة الأمل فى قلوب الملايين ، وان شجاعة الرئيس الشخصية ورؤيته الخلاقة قد كسرت الجمود وفتحت طريق السلام عبر غابة المصالح المتصارعة فى الشرق الأوسط » .

ويقول تقرير بعثة الكونجرس الأمريكى لتقصى الحقائق « ان المبادرة الشجاعة للرئيس السادات قد خلقت فرصة تاريخية فريدة للسلام الحقيقى لا ينبغى أن تترك كى تفلت أو تضيع ، ان لهذه المبادرة بعدا رمزيا كبيرا » .

ويقول هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية السابق فى شهادته أمام لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكى مؤيدا حصول مصر على صفقة الطائرات الأمريكية بسبب الدور الدءوب الذى يلعبه الرئيس السادات فى صنع السلام « ان زيارة السادات القدس كانت واحدة من الأعمال السياسية القليلة التى تتضمن بعدا روحيا عميقا » .

ويقول الدكتور رايان أستاذ القانون بجامعة فلتشر الأمريكية للرئيس السادات خلال مؤتمر الاعلام الدولى الذى عقد بالقاهرة « انك قد أعطيت العالم كله درسا فى القانون الدولى والعلاقات الدولية ، وأنتم كأستاذ عالمى فى السياسة والدبلوماسية يسعدنى أن

أعلن نبـأ اختياركم أستاذا فى جامعتنا وهى أقـدم جامعة أمريكية فى القــانون » .

(يحدث هـذا بينما طلبة جامعة الينوى الأمريكية يعـارضون قرار منح مناحم بيجين درجــــة الدكتوراه الفخــرية تكريما له من جامعتهم ، ويحتجون على قرار مجلس الجامعة لأنه : أمر بعيد عن الحكمة ، ويحـدث هـذا أيضا بينما طلبة جامعة اكسفورد البريطانية يطالبون جميع الزعمـاء فى مناطق النزاع فى العـالم بالقيام بمبادرات مثل مبادرة الرئيس السادات) .

ويقول المعلق الأمريكى الشهير جيمس ريستون « ان الرئيس السادات قد تحول من رد الفعل ازاء رحلة القـدس الى شخصية عالمية ، وهــو يقوم الآن بهـذا الدور بكل حماس المؤمن وغيرته » .

ويقول الحاخام الأمريكى باروخ كـورف أثناء زيارته للقـاهرة وبعـد مقابلته للرئيس السادات « لقـد أبلغنا الرئيس السادات تأييدنا الكامل لمنحه جائزة نوبل للسلام باعتباره من أعظم رجال العصر الذين يسعون الى تحقيق السلام لصالح شعوبهم ولصالح شعوب العـالم الأخـرى » .

لقـد أجمع الخبراء والمحللون على أن مبادرة السلام هى سـلوك عقـلانى حضارى يتسم بطابع الحضارة المصرية والعربية ، استلهمه القائد الملهم من حضارة مصر والعرب ، وعبر به عن وجـدان الشــعب المصرى والأمة العربية كلها ، واستخلصه من مدارسته لتاريخ الصراع وتقديره لطبيعة مجريات الأمور فى العصر الذى نعيشه ، وحطم به قالب التفكير السائد فى منطقتنا العربية ، وارتضى به أسـلوب الحـوار المفتوح والهـادىء والمنتج والذى يتم عن النضوج والاتزان

والتعقل ، وتحرك به الى أفضل المواقف وأنسب الأوضاع لابراز المشكلة ومحاولة حلها ، وقدم به نموذجا راقيا لمعالجة المشاكل الدولية ، وملأ به فراغا فى الزعامة العالمية التى تقدم المثل الحى لخلاص البشر ، وخلق به لحظة وجدانية عالمية بلغت فى شموخها مرتبة الخوارق السياسية ، وأكد به أن الصراع العربى الاسرائيلى هو صراع حضارى جهزت له اسرائيل ·· ويجب أن نستعد له ·· باكثر الأفعال ·· وبأقل الأقوال ·

لقد ذهب بعض المفكرين الى اعطاء المبادرة بعدا فلسفيا انسانيا أكبر من المعنى السياسى الضيق ، فكانت فى نظرهم دعوة الى الخروج بالانسان من عصر الغابة وتخليصه من جاذبية الأرض والارتفاع به الى عصر الفضاء وادخاله الى القرن القادم مبرءا من الفردية والعنصرية والشعوبية ومدعما بالانسانية والجماعية والعالمية ، وهو المعنى العام ، الأوسع والأبعد والأشمل ، الذى جعل المبادرة فى نظرهم ملكا للعالم والعالم المتحضر كله ، والذى يجعلها حية باقية لا تموت ولا تفشل ·

واذا كانت هناك أصوات ناشزة فى منطقتنا العربية أو خارجها قد ارتفعت بالجحود والنكران فانها أصوات عاجزة حاقدة لا تسىء الا لأصحابها ، انها أصوات تساند ما بذله أعداؤنا من جهد لاستمرار اضفاء صورة القبح على وجهنا العربى ، وتبرر الابقاء على الجدار الكثيف من الكراهية والريبة التى حاولت اسرائيل تعليته بيننا وبين بقية العالم لحجبه عن حقيقة أننا شعب عريق متحضر ·

وفى هذا المعنى يقول الرئيس السادات « ان هذه الزيارة تنسجم مع ارادة شعب مصر المتحضر الذى يعتبر أن قضية ثأره وكرامته مع الاسرائيليين قد انتهت بحرب ١٩٧٣ » ·

ان هـؤلاء الذين يطلقون على أنفسهم (جبهة الرفض) كان عليهم أن يدركوا الى أن مدى التف الشـعب المصرى (الذى يؤلف وحده ثلث مجموع العرب) حول رئيسه للاعراب عن تأييده الاجماعى لمبادرته التاريخية الفريدة علاوة على ما حصل عليه من تأييد العالم بأسره ٠

تقول صحيفة فرانس سـوار « لقـد استقبلت القاهرة زعيمها استقبالا لم يعرفه العـالم منذ كانت روما تستقبل أباطرة الرومان ٠٠ استقبالا جـديرا بفراعنة مصر القـديمة ٠٠ ان أحـدا لم يشهد شيئا مثل هـذا من قبـل » ٠

ان بعض هـذه الأصوات الناشزة العاجزة الحاقدة هى التى كانت تطعننا خلال حملة الحرب ٠٠ وهى التى ما فتئت تطعننا خلال حملة السلام ، انها ترجيع الصدى للأصوات التى أضاعت فلسطين فى المـاضى ، انها البديل عن المساندة المخلصة فى لحظات الاختيار الصعبة واكتشاف المجهول ٠

انها فقاعات ترفض لا من أجـل شىء الا لأنها مرفوضـة ، ولا ترفض الا للرفض فى حـد ذاته ولا تقـدم البديل عما ترفضه ، ولا تصنع شيئا ذا قيمة فى فترة لم تعرف الأمة العربية أكثر منها دقـة وحرجا بل ولا ترضى حتى بالصبر والصمت أو الترقب والانتظار ٠

أنها أصـوات معروفة الهـوية ، انها ترتبط بمذاهب أجنبية تضعف انتماءها القـومى للعربى ، انها تقف خلف الاتحاد السوفييتى تردد وراءه نغمة (الحل المنفرد) للشىء الذى دعا الأمير سعود الفيصل وزير خارجية السعودية الى أن يعلن أن مبادرة الرئيس للسادات بذهابه الى القـدس كانت بمثابة اختبار لنوايا ودوافـع اسرائيل ، وأيضا بعض الدول العربية ٠

ان الاتحاد السوفييتى الذى يهاجم مبادرة السلام المصرية هو الذى طالب فى العام السابق لعام أكتوبر بالاسترخاء العسكرى لفرض حالة دائمة من اللاسلم واللاحرب على منطقتنا العربية ، لأن استمرار التوتر فى المنطقة كاد يؤدى فى فترة من الفترات الى انزلاق القوى العربية الكبرى فيها الى الانحياز للكتلة الشرقية التى تدور فى فلكه ، والتى ترى فى حركة القومية العربية عائقا وقيدا على حركة الشيوعية الدولية .

ان هجوم الاتحاد السوفييتى على مبادرة السلام المصرية ، بحجة أن مصر تسعى الى حل منفرد ، ينبع من رغبته فى تقسيم العالم العربى للصيد فى الماء العكر ، كما ينبع من ادراكه أن الثغرة التى يمكن أن يتسلل منها نفوذه السياسى والاقتصادى والعسكرى الى المنطقة العربية هى ثغرة الصراع العربى الاسرائيلى الذى يجب أن يظل مشتعلا لتنشأ الحاجة الى أسلحته وتأييده ، ولكى تنضج الظروف الموضوعية فى ظل التوتر المستمر والحروب المدمرة لاحداث تغييرات اجتماعية وسياسية للنظم القائمة تتفق وأيديولوجيته .

ان الاتحاد السوفييتى وهو يرفض مبادرة السلام يجعل من نفسه طرفا فى النزاع ، ويعطى لنفسه الحق فى أن يكون له رأى يخالف آراء أطرافه ، ويتخلى بذلك عن مسئوليته الدولية ازاء السلام باعتباره احدى القوتين العظميين .

لقد كان الاتحاد السوفييتى مع مبادرة من نوع آخر ونحن مهزومون فى حرب يونيو عندما حاول تدبير لقاء بين الرئيس السادات وجولدا مائير فى طشقند ، ولكن بعد أن أثبتنا ذاتنا فى حرب أكتوبر أمام اسرائيل وعلى مشهد من العالم اصبح الاتحاد السوفييتى ضد هذه المبادرة لأن مصر هى التى قامت بها ، ولأنها قامت بها وهى فى موقف المنتصر .

ان من المؤسف أن يكون هناك خط واحـد يجمع بين دببة الكرملين وصـقور اسرائيل وغربان الرفض : هـؤلاء الأشقاء الألداء ، الذين أعلنوا شعار (الصمود والتصدى) ، وهم لا يصمدون فى أى شىء ، ولا يتصـدون لأى شىء ٠

لقـد فاجأت مصر بمبادرتها اسرائيل وأوقعتها فى الكمين الذى كان يخشاه صقـورها ، وفتشت مصر عمـا ضاع منها أو من أخواتها بالمواجهـة المباشرة والشجاعة مـع هـؤلاء الصقور ، وعمـا كان معها وفقـدته بالحـوار المفتوح والصريح مـع هـؤلاء المهزومين ، فلم تجـد الا ادراكا أكثر لعمق المـأزق الاسرائيلى الراهن ٠٠ وهـذه حقيقة غابت عن بعض الرافضين ٠

لقـد علقت بعض الصحف العالمية عقب اعلان الرئيس السـادات عن استعداده للذهاب الى القـدس بأنه زلة لسان ، وأنه من قبيل الدعاية السياسية ، ولكنها ما لبثت أن أقرت واعترفت أن السادات كما هـو عهده دائمـا ـ أستاذ فى صنع القرار ، وأنه يعنى دائمـا ما يقول ٠

لقـد فاجأ الرئيس السادات الاسرائيليين الذين أثار دهشتهم رؤية زعيم عربى يتخـذ هـذه الخطوة غير العادية المتمثلة فى مواجهتهم فى برلمـانهم أو فى عقر دارهم ٠

لقـد أصيب الاسرائيليون بالدهشة لرؤيتهم زعيم أكبر دولة عربية يتخـذ مثل هـذه الخطوة التى كانوا يصفونها منذ زمن طـويل بأنها (جـوهر السلام) ٠

لقـد فوجىء الاسرائيليون بهـذه الرحلة الطـويلة القصيرة ، أطـول وأقصر رحلة فى التاريخ ، رحلة ثلاثين سنة من الصراع وثلاثين دقيقة من الطيران ٠

لقد علق مراسل وكالة الأسوشييتد برس على هذه المفاجأة قائلا « ان هبوط الرئيس السادات على أرض مطار بن جوريون كان مثيرا لذهول الاسرائيليين أكثر من هبوط نيل آرمسترونج على سطح القمر » ·

كما أعلن المعلق الأمريكى كرونكايت « لقد وصل الانسان الى القمر ، ووصل السادات الى القدس ، وهذان الحدثان هما أعظم ما تم فى عصرنا » ·

لقد ترجم العالم ما رآه وما سمعه عن رحلة الرئيس المصرى بقوله « نعم ·· انه سليل بناة الحضارة » ·

لقد علق جان بول سارتر فيلسوف فرنسا على هذه الخطوة بقوله « انفتح باب الطائرة ليخرج رجل وحده يتوقف لحظات ويبتسم ، رأيت الحدث مثلكم ، انه أسطورة تشبه سقوط الباستيل الذى لم يكن سقوطه مجرد استيلاء على قلعة قديمة بل رمزا لسقوط نظام قديم » ·

لقد علق آرى لوفا اليآف رئيس حزب شيللى الاسرائيلى على هذه الخطوة بقوله « لقد سجل السادات أن لديه عينا ثاقبة حينما حطم خرافة عدم وجود شخص على الجانب الآخر يمكن التحدث اليه ، لقد تحطمت وتناثرت كل أنماط التفكير و (الكليشيهات الديماجوجية) التى أقامتها كتلة (ليكود) وبنت عليها طابقا ثانيا وثالثا من أجل الحصول على أصوات الناخبين » ·

لقد ظلت جيوب عريضة من الرأى العام العالمى واقعة تحت الوهم الذى دأبت تروج له اسرائيل عن (الوحوش العرب) الذين لم

تمتد يد واحد فيهم بالسلام ، ولهذا فانه عندما خطا السادات خطوته الى القدس ، انهار هذا الجدار الوهمى الذى كانت اسرائيل تسند اليه ظهرها وأصبح العالم كله مع مصر فى مكان واحد ٠

لقد أصبح العالم كله مع مصر الواضحة فى هدفها ٠٠ الواضحة فى سلوكها ٠٠ الواضحة فى سلامها ٠

لقد أرادت مصر بمبادرة السلام أن تنظر فى عينى اسرائيل وأن تقطع الطريق عليها أمام العالم وذلك باختبار نواياها الحقيقية من أجل السلام الحقيقى ، بعد أن أوهمت معظم دول العالم أنها مستعدة للاتفاق مع العرب اذا جلست معهم على مائدة المفاوضات ، وكانت تدعى ذلك بين الحين والآخر فى مختلف المناسبات وتجد لادعائها آذانا صاغية لدى معظم زعماء العالم الذين كانوا لا ينقطعون عن ترديد سؤالهم لنا « لماذا لا تجلسون على مائدة المفاوضات مع اسرائيل ؟ » ٠

لقد جاءت رحلة السلام لتحطم نهائيا دعوى أن اسرائيل هى التى تسعى الى السلام بينما العرب هم الذين يرفضونه ، وأن سلوك اسرائيل (العدوانى) له ما يبرره ازاء جو الرفض والكراهية حولها فى العالم العربى ٠

نعم ٠٠ لقد جاءت رحلة السلام لتشكل فاصلا واضحا بين مسئولية العرب ، ومسئولية الاسرائيليين ، ولتجعل اسرائيل تقف وظهرها للحائط فيما يتعلق بالمناورات والمداورات ٠

لقد علق أبا ايبان وزير الخارجية الاسرائيلية السابق على هذه الزيارة بقوله « اننى أخشى أن يجىء الينا السادات لتصعيب الأمور

بالنسبة الينا وليس لتيسيرها ، لأنه سيأتى الينا بساعة الحسم المؤلمة لنا جميعا » ٠

لقد كانت رحلة السلام بداية الطريق لتحقيق النبوءة التى أطلقها دافيد بن جوريون مؤسس اسرائيل ونبيها المسلح « ان أسوأ كمين يمكن أن يفاجئنا به العرب هو أن يوافقوا على الصلح معنا » ٠

لقد أعطت مبادرة السلام المصرية لاسرائيل الخيار بين فرصة تحقيق وجود هادىء غير مضطرب ، وبين أن تبقى وترا مشدودا تمجد الحرب وتعزز العزلة وتكرس العداء مع الجيران ، وتصلب السلام على مذبح الأوهام القديمة وتستمر فى (حرب الثلاثين عاما فى الشرق الأوسط) ٠

لقد كان على الشعب الاسرائيلى فى مجموعه بعد هذه المبادرة أن يقرر وأن يبرهن على ما اذا كان ينوى الانفتاح على (الحقائق) ، أو اذا كان يستعذب الانبطاح على وجهه كى تسوقه الى المجهول قيادة صهيونية عريقة تستخدم التعليم والاعلام والجيش فى صياغة عقله وتشكيل أحلامه ٠٠ ضد العقل والمنطق ٠٠ وضد الواقع والتاريخ ٠

فاذا ظلت اسرائيل تخشى من اشاعة جو السلام فى المنطقة العربية ، فمعنى ذلك أنها تخشى من أن تتفرغ الدول العربية لتنمية مواردها وتوحيد شعوبها ، كما أنها تخشى من تقلص دورها المعوق للتنمية والوحدة ، وهو الدور الذى ظل يناسب تكوينها الداخلى وأطماعها الخارجية ، والذى يبرر لها ضرورة الابقاء على حالة التوتر فى المنطقة العربية ٠

وفى رأى كل منصف أنه اذا لم يكن لمبادرة السلام فضل سوى أن تكشف بوضوح وجلاء حاسمين عن نوايا اسرائيل العدوانية

والتوسعية وتعنتها ورفضها الاستفزازى للسلام العادل والقانون الدولى أمام أنظار العالم كله حيث تتحول اسرائيل من مشكلة عربية الى أرق دولى يزيد من حصارها وعزلتها ٠٠ لكانت هـذه النتيجة وحـدها كسبا كافيـا للمبادرة ٠

ان الحقيقة الدامغة التى صارت تتراءى للعالم بعـد مبادرة السلام هى أن للزعماء الاسرائيليين لم يكونوا فى وقت من الأوقات صادقين فى حـديثهم عن السلام ، وقـد نجح الرئيس السادات مرتين فى قلب للصـور التى كانت اسرائيل تظهر بهـا أمام العالم : المرة الأولى فى معركة الحرب حينما حطم أسطورة التفوق الاسرائيلى على العرب ، والمرة الثانية فى معركة السلام عندما عزل اسرائيل وجردها من سلاح البكاء والشكوى الذى كانت تستخدمه ضـد العرب ٠

ان مبادرة السلام من وجهة النظـر التاريخية كانت الوسـيلة الحاسمة التى تتيح للعرب وللعالم معرفة حقيقة اسرائيل ونواياها ، وتعريتها بحركة حاسمة أمام العالم المتحضر من كل الأقنعـة التى تسترت وراءها منذ قيامها فى قلب الأمة العربية ٠

لقـد استهدفت رحلة القـدس فيما استهدفته فضح اسرائيل وكشفها تمـاما عندما تبـدو أمام العالم وكأنها رفضت يد السلام التى مدها اليها قائد العبـور ورئيس أكبر دولة عربية بعـد أن اتخـذ قراره الجريىء بالتوجـه الى اسرائيل ومخاطبة الكنيست ٠

لقـد حـذرت بعض صحف اسرائيل من أن اسرائيل سوف تكون فى حاجة الى من يرشـدها لتفـادى سخرية العالم من أى خيبة أمل محتملة لهـذه الزيارة التى يعتبرها رجـل الشارع الاسرائيلى أكبر

حـدث يشهده الاسرائيليون منذ قيام دولة اسرائيل ، أو الحـدث الذى له نفس أهمية قيامها .

كما أشارت بعض هـذه الصحف بأن على اسرائيل أن تستعد لمواجهة لحظة الحقيقة التى خلقها أكبر تحرك ديبلوماسى فى الشرق الأوسـط .

كما ألمحت بعض هـذه الصحف بأن الرئيس السادات قـد حمل اسرائيل عبئا ثقيـلا للغـاية .

لقـد أوضحت كل صحف العـالم مدى حرج موقف الاسرائيليين اذا استمر تصلب قادتهم مما يشجع على العودة الى السياسة القـديمة المتشددة عندما كان العرب ينظرون الى اسرائيل باعتبارها سرطانا فى جسم الأمة العربية يتحتم استئصاله ، كما حـذرت من أنه يمكن فى مثل هـذه الحالة أن يتجاوب العالم كله مـع نظرة العرب ولن يكون أمام الاسرائيليين بعـد اضاعة هـذه الفرصة الفريدة الا أن يبنـوا بالنـدم عليها (حائط مبكى جـديد) .

لقـد أشارت التقـارير من داخـل اسرائيل الى أن نسبة ملحوظة داخـل الكنيست الاسرائيلى قـد صارت فى صف جهود السلام ، وأن هـذه النسبة المتزايدة قـد بلورت ذاتها فى (مجموعة ضغط) جعلت مهمتها مراقبة أعمال الحكومة فى مسلكها ازاء جهود السلام وفضـح نواياها اذا ما حاولت من خلال التصلب أن تضيع تلك الفرصة التى ربمـا قـد لا تتكرر مرة أخرى .

ولعـل هـــذا التحـــول يتمثل فى قـول أحـــد نواب الحركة الديمقراطية من أجـل التغيير عندما خاطب الرئيس الســادات قائلا « لقـد غزوت قلوبنا ، وغيرت الموقف كله فى الشرق الأوسط » .

كما يتضح فى سؤال نائب آخر « لماذا لم تأت يا سيدى الينا قبل ثلاثين عاما ؟ كم كنا سنوفر من تضحيات » ٠

كما يتضح فى قول نائب ثالث « ان السادات الذى كان بطل العبور فى الحرب ٠٠ قد أصبح اليوم بطل العبور فى السلام » ٠

كما يتضح فى أحد تعليقاتهم « ان السادات قد بدأ يكتب التاريخ بعد أن تركزت عليه أضواء العالم كله » ٠

كما يتضح فى تعليق آخر « ان السادات قد ملأ فراغا فى الزعامة العالمية ، وكل من يحب السلام لابد أن يؤيده » ٠

كما يتضح فى تعليق ثالث « ان السادات قد لقننا درسا فى الحضارة » ٠

ولعل هذا التحول يتمثل كذلك فى تصريح آرى لوفا اليياف رئيس حزب شيللى الاسرائيلى « ٠٠٠ أما اذا كانت جاذبيتنا سترتبط بالخوذات التى نلبسها والمدرعات التى نركبها والبنادق التى نحملها فانها لن تكون جاذبية حقيقية » ٠

لقد أشارت التقارير من داخل اسرائيل أيضا الى أن السادات قد حقق برحلته الى القدس ما يعجز عن تحقيقه أى ضغط أمريكى مهما كان حجمه ، وأن المعتقدات والبديهيات الأساسية للمجتمع الاسرائيلى قد بدأت تهتز وتصبح موضع تساؤل ، وأن الأحزاب السياسية سواء الحاكمة أو المعارضة قد بدأت فى اعادة تقييم سياستها ومبادئها ، وأن الشعب الاسرائيلى لن يقبل طويلا بسياسات زعمائه المتصلبة ٠

لقد حاصرت هذه المبادرة حكومة اسرائيل ووضعتها فى مأزق ، فالرأى العام الاسرائيلى قد تحول - لأول مرة - الى الضغط على حكومته من أجل أن تقف على طريق السلام ، الى الدرجة التى جعلت شيمون بيريز رئيس حزب العمل المعارض يعلن فى تصريح له حينذاك أنه اذا عجز مناحم بيجين عن الامساك بهذه الفرصة التاريخية فسوف يكون الشعب الاسرائيلى هو أول من يسقطه ٠

وحتى عندما وقفت بعض الأطراف العربية موقف الرفض من هذه المحاولة ، كان الرد الذى خرج من اسرائيل أن الرغبة فى السلام سوف تنتصر فى النهاية ، وتجتذب اليها هؤلاء الذين عارضوها فى البداية ٠

وها هو مناحم بيجين أشد الصقور مغالاة فى جيل الحرس الحرس القديم و (بطل) مذبحة دير ياسين يعترف بعد المبادرة أن كل شىء قابل للتفاوض ، وأن هناك مشكلة فلسطينية ينبغى أن تعالج ، وأنه لم يعد فى الامكان أن تصم اسرائيل سمعها عن الصوت الفلسطينى ٠

وها هو ناحوم جولدمان آخر حكماء صهيون يقول « ان انكار الوجود الفلسطينى تزوير للتاريخ غير قابل للتصديق من أحد » ٠

ثم ها هو عيزر وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلى يصرح بأن الحركة نحو السلام تتصف بقوة هائله الى الحد الذى يتعذر معه الاعتقاد بأنها ستتوقف ٠

ولقد اتهم اسحق رابين رئيس الوزراء الاسرائيلى السابق ، بعد الجولة الأولى من المفاوضات بين مصر واسرائيل ، اتهم مناحم بيجين بأنه ينتهج سياسة (صبيانية) وخاصة فيما يتعلق بسياسة

المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة والتى أراد بها الابتعاد عن البحث فى صلب القضية •

واعترف عيزر وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلى فى حكومة بيجين بقـوله « اننا لم نكن نموذجا للكمال » •

ووصف عيزر وايزمان رئيسه مناحم بيجين بالكذب والخـداع والمراوغة واتهمه بتضليل الشعب الاسرائيلى •

لقـد رأى عيزر وايزمان أن مناحم بيجين يسعى الى الحصول على مكاسب السلام وغنائم الحرب فى آن واحد ، وهو شىء غير قابل للتحقيق •

لقـد كان عيزر وايزمان وزير الدفاع يريد بمواقفه ازاء مناحم بيجين رئيس الحكومة أن يلحق بمسيرة الرأى العام الاسرائيلى فضلا عن الرأى العام العالمى ازاء مبادرة السلام وكونها فرصة تاريخية ربما لن تتكرر ، ولن يكون لهـا بديل الا حربا تقف فيها اسرائيل معزولة تمـاما عن كل أصـدقائها •

لقـد كان عيزر وايزمان ، صوت العقل فى حكومة بيجين ، يأمل فى تفـادى نشوب حرب جـديدة فى الشرق الأوسط ، ويتمنى أن يتسنى له ـ على حـد قوله ـ أن يحمل لقب (وزير الحرب والسلام) فى اسرائيل •

ولقـد هـدد حزب الحركة الديمقراطية من أجـل التغيير (داش) الذى يراسه ايجال يادين بفض الائتلاف مع كتلة (ليكود) والانسحاب من الوزارة الاسرائيلية الائتلافية اذا ما انهارت مفاوضات السلام مع مصـــر •

وأعلن الحزب أنه يرفض أى تصرف من شأنه أن يخلق جـوا من عـدم الثقــة أو يعرقل المفاوضات من أجـل التسوية السلمية لأزمة الشرق الأوسط ٠

واستقال مائير أميت أحـد زعماء الحزب ووزير النقـل فى حكومة الائتلاف احتجاجا على مواقف مناحم بيجين ، وقال فى أحد تصريحاته أن تصرفات بيجين (تدفعنى الى الجنون) ، كما لوح بانشاء حزب جديد تحت اسم (الحركة الديمقراطية من أجـل التغيير والمبادرة) ٠

لقـد أعطت هـذه المبادرة لبيجين الفرصة ـ رغم ماضيه ـ ليدخل التاريخ فى نهاية حياته السياسية من بوابة السلام بعـد أن دخله بن جـوريون فى بداية حياته السياسية من بوابة الحرب ، وليكون من أكثر الزعماء الاسرائيليين شعبية وقـوة ، وليملك الخيـار بين أن ينزع عن العقلية الاسرائيلية دروس التاريخ المنسوج بالأساطير وفكرة (الجيتو) المغلق والأمن المرتبط بالأرض ، أو ليدفع المزيد من العصى الى العجلات مدفوعا بالجماعات الدينية المتطرفة وصقور جيش الدفاع وذئاب المؤسسة الحاكمة والمهووسين بأحلام اسرائيل الكبرى ٠

لقـد أعطت هـذه المبادرة لبيجين الفرصة ليختار بين أن يصبح بطـلا قـوميا يحقق للاسرائيليين الأمن والسلام أو ليغتال الآمال التى أورقتها فى نفوسهم هـذه المبادرة ؛ فيظل سجينا لرؤى التـوراة القـديمة ويستمر فى أداء دور الصقر الذى يدفـع الحمامة الى الهرب ، ويضع بيده نهاية مأساوية لحياته السياسية ٠

لقـد قال الرئيس الأمريكى جيمى كارتر « ان بيجين يواجـه فرصة وتحـديا فى الوقت نفسه ، فأما التحـدى فهو ضمان الأمن لشعبه ، وأما الفرصة فهى تحقيق هـذا الأمن عن طريق سلام تاريخى من خلال التفاوض المباشر مـع العرب » ٠

لقد رأى البعض أن بيجين ـ فى تطرفه ـ يكون أكثر ساسة اسرائيل قدرة على اقناع بقية صقور اسرائيل فضلا عن الشعب الاسرائيلى بأن أى اتفاق للسلام لا يتعارض مع نظرية أمنهم •

يقول ناحوم جولدمان « ان مشكلة بيجين أنه يحس بأنه موعود بتحقيق رسالة ، وتتبنلط على رأسه فكرة أن الرب (يهوه) سوف يساعده على تحقيق اسرائيل الكبرى ، ولكن على حد تعبير صديق أمريكى بارز أنه اذا كان بيجين يرى أنه موعود فان له أن ينتظر عون الرب (يهوه) ولكن ليس له أن ينتظر تأييد الأمريكيين » •

وتصف كبريات الصحف العالمية مناحم بيجين بأنه عاجز بوضوح عن التعامل بفعالية ليس فقط مع حقائق العصر ولكن أيضا مع آمال المستقبل ، وبأنه المعارض المزمن ، المستريح فى عزلته عن المعطيات التاريخية وعن حقائق القيادة القومية ، وبأنه لا يقدم الا النصوص القديمة المليئة بالادعاء بوصفها عذرا لأوهامه الداخلية ، وبأنه يمثل آخر أمثلة قصر النظر بعد أن حكم على نفسه بأن يتصرف من خلال ذكريات الماضى •

ويقول أبا ايبان وزير خارجية اسرائيل السابق فى جريدة واشنطن بوست « ان على رئيس الوزراء مناحم بيجين أن يختار بين التنازل عن برنامج كتلة (ليكود) أو ترك قيادة اسرائيل من أجل تحقيق السلام ، ان على رجل الدولة أن يبنى الجسور التى توصل بين خبرته وبين رؤيته للأحداث ، وبين معتقداته القديمة وآماله الجديدة ، وبين أصداء الماضى ونداءات المستقبل ، ولا يمكن تنسيق المواقف الوطنية حول السياسات أو التفسيرات التى تحطم آمال الدولة الاسرائيلية ويهود العالم فى كل مكان وكل المحبين لسلام الانسان » •

لقـد وصف ناحوم جولدمان رئيس المؤتمر اليهودى العـالمى السابق فى مجلة شتيرن الألمـانية مناحم بيجين بأنه ساذج ويعـانى من نقص شـديد فى الادراك السياسى فضلا عن أن التفاؤل الصبيانى يسيطر عليه ، فهو ما زال يحلم بقيام دولة اسرائيل الكبرى ، وأن بوسعه حـل كل شىء من خلال تشبثه بمـا يعتقده هـو شخصيا •

وأكد جولدمان فى ذات الحـديث على ضرورة حصول الشعب الفلسطينى على وطن قـومى ، وقال أن الشعب اليهودى هـو آخر من ينبغى أن ينكر أن الفلسطينيين يشكلون شعبا فعلا ، وأشار الى أن ما ذكرته جولدا مائير بأن الشعب الفلسطينى لا وجـود له ليس الا كلاما فارغا •

ولقـد اعترف اللورد جـورج براون وزير خارجية بريطانيا الأسبق ــ بعـد المبادرة بشهور قليلة ــ بأن الالتباس الذى يعترى قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ بشأن الجـلاء عن الأراضى العربية كان مقصودا ومتعمدا حتى يتم التصديق عليه من جانب اسرائيل ، وبأن القرار يعنى تماما الانسحاب من جميع الأراضى التى تم احتلالها فى حرب يونيو ١٩٦٧ ، وبأنه هـو الذى وضع صياغة القرار الشهير وليس اللورد كارادون مندوب بريطانيا فى مجلس الأمن وقتئذ ، وهاجم اللورد براون مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل علنا ووصفه بأنه ارهابى أكثر من بن جوريون مؤسس دولة اسرائيل •

لقـد أجمع الخبراء والمحللون فى أوربا وأمريكا على أن الرئيس السادات بمبادرته التاريخية يتحدث اللغة التى يفهمها العالم ، ويتبع منهجا علميا ينهض على تحليل الظروف الراهنة ودراسة الامكانيات المتاحة وتحديد الطرق المؤدية الى الحلول العملية من خلال البدائل الفعالة، وهـو أسلوب يعشقه العالم المتحضر ويقـدره ، بينما رئيس وزراء

اسرائيل يتحـدث عن وقائع جرى ذكرها فى التوراة منذ آلاف السنين ، ويثرثر بالألغـاز والطلاسم والأحاجى ، وهـو اتجاه لا يمكن أن يتقبله العـالم المعاصر الذى لا يقيم وزنا لتحريفات الأساطير ، كما أنه اتجاه يؤدى باسرائيل الى مزيد من العزلة الدولية ٠

لقـد جاءت مظاهرات تل أبيب التى نظمتها حركة (السـلام الآن) تحت شعار (السلام بغير الأرض أفضل من الأرض بدون السلام) لتؤكد تزايد الفجوة بين تخريفات مناحم بيجين وبين تطلعات شعب اسرائيل الذى خرج عن صمته وتحرك ليعلن معارضته لسياسـة رئيس وزرائه وعصبته من صقور اسرائيل ، وليعلن أن حسابه معهم قـد بدأ ولن يطـول ٠

ودارت المناقشات عالية داخـل المجتمع الاسرائيلى حـول هـؤلاء (الحكام العجائز) ، الذين يفضلون وحـدهم الأرض على السلام ، وبرز السؤال مدويا : وماذا بعـد كل هـذه الحروب ؟ ! ٠

ووقع مئات من أساتذة الجامعات الاسرائيلية فى تل أبيب والقـدس على عريضة أعلنـوا فيها تضامنهم مـع حركة السـلام الاسرائيلية ، وطالبوا الحكومة بضرورة الاستفادة من الفرصة المتاحـة للسلام الآن وعـدم اضاعتها ، وبضرورة التخلى عن السياسة التى افقـدت اسرائيل أهم أصـدقائها وأدت الى زيادة عزلتها عن العـالم ممـا أسفر عنه ضعف أمنها وزيادة مخاطر الحرب حولها ٠

كما قامت حركة تطلق على نفسها (نحو صهيونية جـديدة) يتكون أغلبها من طلاب الجامعة العبرية بالقـدس لاعـداد عرائض تطالب الحكومة بالاقلاع عن سياسة الاستيطان والتطرف ، وبأن تتقـدم بجـدية نحو السلام ٠

والشارع الاسرائيلى الآن يرى أن البديل الوحيد للسلام هـو الحرب ، والحرب المدمرة الصعبة فى ظـل مناخ دولى متغير تماما عن المناخ المتعاطف مـع اسرائيل على مدى ثلاثين عاما مضت .

حتى ولو تالفت حركة اسرائيلية مضادة لتعبر عن الانقسام فى الشارع الاسرائيلى عندما تقـوم بمظاهرات تعارض مظاهرات حركة (السلام الآن) وترفع فيها شعار حركة (السلام الآمن) .

ان صراع حركة (السلام الآن ـ شلوم عخشاف) مـع حركة (السلام الآمن ـ شلوم يطوح) قـد بات يعكس طبيعة التناقضات الداخلية فى اسرائيل والتى كانت تقف فى سبيل ظهورها حالة الحرب الدائمة مـع العرب ثم أظهرتها مبادرة السلام .

ولقـد عبرت عن هـذا الانقسام فى الشارع الاسرائيلى حركة متطرفة أخرى تالفت تحت اسم (دوف) وهـو اختصار لكلمات عبرية معناها (قمع الخونة) ، وهـددت زعماء حركة (السلام الآن) بذبحهم كالخنازير اذا لم يقلعوا فـورًا عن نشاطهم (الخائن) واذا لم يعـودوا الى الطريق (السليم) .

ولقـد ذكرت وكالة اليونايتدبرس الأمريكية فى تقرير مطـول لهـا من تل أبيب أن حركة المطالبين بالسلام فى اسرائيل بدأت تنتشر بين الشباب وخاصة بين الذين يؤهلهم سنهم للتجنيد ، كما أن قـوة هـذه الحركة تتعاظم بين الشخصيات البارزة فى اسرائيل وكبـار الشخصيات اليهودية فى الولايات المتحدة ، وأضافت أن الشباب الاسرائيلى يذهب من (المدرسة) الى (الجيش) الى (الجامعة) ولا يجـد معظمهم وقتا كافيا حتى للزواج وبناء أسرة صغيرة خلال هـذا الشـــوط .

لقــد كان (الجيل الثانى) هــو العنصر السائد فى مظاهرات تل أبيب ، هــذا الجيل الجــديد الذى لم يعــد تثيره طبول الجيــل الأول من الرواد ٠٠ دعاة الوطن التاريخى الذى جسدته أمنيات الوهم والخرافة والشعوذة ٠

ولقــد نظمت حركة (السلام الآن) مظاهرة أخرى فى القــدس واتجهت الى مقر مجلس الوزراء أثناء اجتماعهم ، وأعلن أومرى بادان مؤسس الحركة والمتحدث باسمها أن على بيجين أن يعلن استعداد اسرائيل للانسحاب من الأراضى العربية المحتلة ومنح الفلسطينيين حقهم فى تقرير مصيرهم والا « فان الأغلبية سوف ترغم الحكومة على تحقيق ذلك » ٠

ولقــد أعلن سيمحا ايرليخ أحــد الوزراء الاسرائيليين فى حكومة بيجين أن حركة (السلام الآن) التى أسسها نحو ٣٠٠ من ضباط الاحتياط الشبان من مختلف أفرع القوات المسلحة ، حركة تفــوح منها رائحة الانقلاب العسكرى ٠

ان نزول ضباط الاحتياط الى الشارع الاسرائيلى هــو تحرك جــديد تماما على مسرح السياسة الاسرائيلية ، وهــو أمر بالغ الأهمية اذا عرفنا أن قوات الاحتياط هى القــوام الأساسى لجيش الدفاع الاسرائيلى ٠

لقــد أعطت هــذه المظاهرات لبعض المراسلين الأجانب فى اسرائيل الانطباع بأن حكومة بيجين يمكن أن تتعرض لحالة تمرد فى الجيش ، وبأن الجيش الاسرائيلى يمكن أن يرفض اطاعة الأمر لو دعى للتعبئة من أجــل حرب خامسة ضــد العرب ٠

لقد أكدت مجلة ايفنت اللندنية هـذا المعنى فى توقعاتها بأنه سيكون من الصعب بعـد الآن تعبئة الشعب الاسرائيلى وتحريكه للقيام بحرب أخرى ضـد العرب تحت أى شعار ٠

لقـد وقع مائه من هـؤلاء الضباط على رسالة الى مناحم بيجين يبلغـونه فيها رفضهم حراسة المستوطنات الاسرائيلية فى الأراضى العربية المحتلة أثناء خـدمتهم ، وأعربوا له عن استعدادهم لدخـــول السجن لعصيانهم الأوامر الصادرة لهم بهذا الشأن ، وقالوا أنهم بالرغم من التزامهم بالدفاع عن أمن اسرائيل الا أنهم لن يحاربوا من أجـل اسرائيل الكبرى المخططة فى مخيلة رئيس وزرائهم ٠

ولقـد اكتشف البوليس الاسرائيلى مؤخرا عصابة مسلحة تطلق على نفسها اسم (لجنة الهاربين من الجيش) كانت تخطط لارتكاب حـوادث أعتداء ضـد شخصيات سياسية فى اسرائيل بعـد أن ارتكبت عـددا كبيرا من الجرائم ٠

ولقـد ذكرت مصادر مطلعة أن المهمة الأولى التى واجهت الجنرال الاسرائيلى رافائيل ايتان فـور تسلمه مهام منصبه كرئيس للأركان خلفـا للجنرال موردخاى جـور كانت فرض النظام والضبط والربط وتدعيم الاحساس بالانضباط بين صفوف الجيش الاسرائيلى وذلك بعد أن ظهرت أوجـه الخلل داخل الجيش فى مجال تنفيذ الأوامر الصادرة الى الجنود والضباط بدقـة ، كما ذكرت أن مثل هـذا الخلل يتناقض مع ما كانت اسرائيل تتباهى به دائما ٠

لقـد شعر هؤلاء الضباط أن ما يقـدمونه فى الحرب من تضحيات أصبح بلا معنى بعـد أن جاءتهم أكبر دولة عربية تبادرهم بالسلام ٠

لقـد تعـددت مظاهرات السلام الاسرائيلية بعـد ذلك وكان من أبرزها تلك المظاهرة الكبيرة التى قامت فى تل أبيب ورفعت المشـاعل المضيئة فى الليـل تضامنا مع بن ناثان الطيار الاسرائيلى المعروف باسم (طيار السلام) ، الذى يدير اذاعة (صوت السلام) من سفينة تقف أمام ساحل اسرائيل ، والذى أعلن مواصلته للاضراب عن الطعام حتى الموت اذا لم يستجب بيجين لدعـوة وقف بناء المستوطنات الجديدة داخل الأراضى العربية المحتلة ٠

وهناك مسيرة السلام الكبرى التى بدأت بأكثر من مائة ألف متظاهر وامتدت لأكثر من خمسة كيلو مترات فى شوارع تل أبيب وهى تردد أناشيد السلام على أنغام موسيقى الفرق النحاسية ، والتى نظمتها (حركة السلام الآن) عشية سفر مناحم بيجين الى مؤتمر القمة فى (كامب ديفيد) واشترك فيها – لأول مرة – آلاف من يهود أوربا وأمريكا لمطالبته بالوقوف بجـــانب (السلام فى الشرق الأوســـط والعـــالم) ٠

لقـد لمس الشعب الاسرائيلى من خلال هـذه المبادرة الشجاعة حرص مصر على أن تركب الصعب من أجـل أن يسود المنطقة العربية سلام لايهم أهلها فقط ، ولكن يهم كل الذين ترتبط بها مصالحهم فى الشرق والغرب والشمال والجنوب على حـد سواء ٠

ان هـذه المبادرة الفـذة التى فجر بها الرئيس السادات معركة السلام فى العالم أجمع ، قـد جاءت لتفتح الباب أمام التاريخ ليحول مجراه فى وطننا العربى ، وفى العالم كله من حولنا ، من طريق الحرب والتدمير والفناء الى طريق السلم والتعمير والبناء ، وقـد لا يغيب الآن على أحـد فى كل أنحاء العالم أن الأهمية الاستراتيجية والبترولية لمنطقتنا العربية يمكن أن تؤدى الى تفجير حرب عالمية ثالثة بين القوى

العالمية الكبرى يبرر فيها استخدام الأسلحة النووية ، كما أنه قد لا يغيب الآن على أحد أن الولايات المتحدة لن تتمتع بعد هذه المبادرة بنفس الحرية فى تاييدها المطلق لاسرائيل وخاصة من الزاوية العسكرية ، مما قد يسهم فى جعل هذه المبادرة نقطة تحول حاسمة فى سبيل اقرار السلام الدائم والعادل والشامل فى الشرق الأوسط ، الشيء الذى دعا صاحب المبادرة الى أن يقول أن هذه المبادرة قد أصبحت ملكا لضمير العالم كله ٠٠ ولم تعد ملكا لفرد بعينه ٠٠ ولن يستطيع أحد أن يجهضها ٠

ان البيان الذى أصدره البيت الأبيض الأمريكى بشأن صادرات الأسلحة الأمريكية عام ١٩٧٨ (أى عقب المبادرة) لم يتضمن الاشارة المعتادة الى احترام الالتزامات التاريخية للولايات المتحدة تجاه أمن دولة اسرائيل ، وانما أشار الى (المسئولية التاريخية للولايات المتحدة تجاه أمن الشرق الأوسط) ٠

لقد انقضى الى غير رجعة عصر السيطرة الكاملة لاسرائيل على مقدرات الولايات المتحدة ، كما انقضى الى غير رجعة عصر السيطرة الكاملة ليهود الولايات المتحدة على الكونجرس الأمريكى كأكبر وأهم قلعة يحاربون منها معركة اسرائيل ضد العرب ، وانقضى معهما عصر رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس الشيوخ الذى كان يعلن على الملأ ودون مواربة ان طلبات اسرائيل من الأسلحة والمساعدات الاقتصادية سوف تحصل على تأييد ثلاثة أرباع أعضاء مجلس الشيوخ حتى لو كانت هذه الطلبات مبالغ فيها ٠

تقول وكالة الأسوشييتد برس فى تقرير لها من واشنطن « ان جماعات الضغط اليهودية التى كانت قوتها لا تبارى فى الولايات المتحدة لم تعد تلقى التأييد (الأوتوماتيكى = الآلى) الواسع

النطاق ، وتظهر الاستفاءات الواحد تلو الآخر أن الرأى العام الأمريكى قد تحول عن مساندة السياسة التى تتبعها اسرائيل فى الشرق الأوسط » ٠

وتضيف الوكالة « ان هذه الاستفتاءات قد أظهرت أيضا أن الزيارة التاريخية التى قام بها الرئيس السادات للقدس سعيا لاقرار السلام جعلت منه أول زعيم عربى يكتسب شعبية كبيرة فى الولايات المتحدة على الاطلاق » ٠

كما تضيف « ان هناك جماعات ضغط جديدة مؤيدة للعرب فى الولايات المتحدة تتمثل أساسا فى صفوة من السياسيين والمثقفين الأمريكيين بالاضافة الى المسئولين فى العديد من الشركات الأمريكية يساندهم مليونان من الأمريكيين الذين ينحدرون من أصل عربى » ٠

لقد أصبح الاتحاد القومى للأمريكيين المنحدرين من أصل عربى يمثل جماعة ضغط لها وزنها فى واشنطن ، ويقوم ممثل عنه بحضور جلسات لجنة العلاقات الخارجية التابعة لمجلس الشيوخ الأمريكى والقاء البيانات أمامها ٠

لقد أقام هذا الاتحاد دعوى أمام احدى محاكم واشنطن ضد اسرائيل يتهمها فيها بانتهاك قانون الاشراف على صادرات السلاح الأمريكى بعد استخدامها للأسلحة الأمريكية فى غزوها لجنوب لبنان ، ويطالب الحكومة الأمريكية بوقف تقديم السلاح الأمريكى لاسرائيل ووقف تزويدها بالقروض الأمريكية ٠

وكان أول حدث هام من نوعه حينما شهد الكونجرس الأمريكى أول مواجهة بين (اللوبى العربى) و (اللوبى الاسرائيلى) عندما

استمعت وناقشت لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ ـ معا وفى وقت واحد ـ اثنين من طرفى هـذه المواجهة هما جـون ريتشاردسون عن الاتحاد القومى للأمريكيين العرب وموريس أميتاى عن لجنة العلاقات العـامة الأمريكية الاسرائيلية ؛ وذلك قبل أيام من موافقة مجلس الشيوخ على صفقة الطائرات الثلاثية .

لقـد وجـد (اللوبى اليهودى) أمامه لأول مرة طرفا عربيا جديدا يشاركه مسرح السياسة الأمريكية بل وينتصر عليه ، وهـو تحول جـوهرى تظهر أهميته البالغة على ضوء ما سبق أن أعلنه موريس أميتاى من أن (اللوبى اليهودى) لم يخسر أبدا معركة حـول مشكلة رئيسـية .

كما نشط اتحـاد الجمعيات الاسلامية فى الولايات المتحدة وكندا ضـد التدخل الصهيونى فى الشئون الداخلية الأمريكية ، وصـار يطالب بوقف هـذه الضغوط والمؤامرات التى أصبحت تهـدد مستقبل ورخاء الشعب الأمريكى وتنازع الرئيس الأمريكى سلطته المشروعة .

وقـد تكونت فى واشنطن منظمة جـديدة تحت اسم (الحمـلة الفلسطينية لحقوق الانسان) بهـدف توضيح أبعـاد الصراع العربى الاسرائيلى وحقائقه عن طريق كبار الكتاب والمحامين والأسـاتذة الأمريكيين ومنهم ـ على سبيل المثال ـ البروفيسور ريتشارد فالك أستاذ العلاقات الدولية بجامعة برنستون الأمريكية الذى اتهم اسرائيل وجماعات الضغط اليهودية فى الولايات المتحدة بمحاولة ابعاد موضوع حقوق الشعب الفلسطينى من المفاوضات ، وطالب الرئيس الأمريكى بتطبيق مبادىء حقوق الانسان التى ينادى بها على الفلسطينيين ، وأعلن أن السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط قـد تغيرت بصفة أساسية منذ عام ١٩٧٣ .

وقد ارتفعت أصوات العديد من يهود الولايات المتحدة تحذر من منطلق المنطق ومن منطلق الواقع الجديد ومن منطلق القلق الشديد على المصير المحتوم الذى ينتظر اسرائيل اذا ما أصرت على ضياع هذه الفرصة الذهبية التى ربما لن تتكرر أمامها فى حياة تعيشها فى سلام ظلت تزعم أنها تبحث عنه منذ ثلاثين عاما ٠

ولم يعد يهود الولايات المتحدة يرددون نفس الشعارات الاسرائيلية بقضها وقضيضها بعد ما ارتفعت هذه الأصوات تطالب باعادة تقييم الاتجاهات السابقة للحكومة الاسرائيلية وتعلن أن المصالح الأساسية لاسرائيل انما تكمن فى قيام علاقات سلام بينها وبين جيرانها العرب وليس فى تحقيق النبوءات الدينية القديمة عن التوسع الاقليمى لدولة اليهود ٠

ولعل من أبرز حملات النقد التى أكدت صورة الانقسام القائم بين يهود الولايات المتحدة هى الحملة التى شنها الحاخام آرثر هيرتز برج الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى الأمريكى وأستاذ الدراسات اليهودية بجامعة كولومبيا واتهم فيها بعض اليهود الأمريكيين بأنهم ما زالوا يعيشون تحت التأثير العصابى لذكريات الحرب العالمية الثانية وهو ما يجعلهم يديرون معاركهم الحالية على أسس غير معاصرة ، وطالب فيها يهود الولايات المتحدة واسرائيل على السواء أن يقدموا سياسات لا تسعى الى مواجهة الماضى ، وانما تعمل لصالح المستقبل ٠

بل وأصبح من بين يهود الولايات المتحدة من يمثلون قوة ضغط مؤيدة للعرب ، الشىء الذى يمكن أن يستشف من تحذير موشى ديان لليهود الأمريكيين (الذين خانوا يهوديتهم) على حد تعبيره من أن ينقلبوا الى أداة يمكن استخدامها ضد اسرائيل ٠

فهناك ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ السيناتور الأمريكى اليهودى ابراهام ريبيكوف الذى قام بدور أساسى فى الضغط على أعضاء مجلس الشيوخ من اليهود الأمريكيين من أجل الموافقة على الصفقة الشاملة للطائرات الأمريكية المقاتلة للشرق الأوسط عند عرضها على مجلس الشيوخ ، والذى تعرض بسبب موقفه لحملة نقد عنيفة من جانب الطائفة اليهودية الأمريكية لم يعبأ بها ايمانا منه بأن موقفه فى صالح الولايات المتحدة ويهود الولايات المتحدة ويهود العالم ٠

أن بعض الذين كانوا من أئمة المؤيدين لاسرائيل فى الكونجرس الأمريكى صاروا يمتنعون عن مقابلة موشى ديان (كما حدث عندما ذهب الى واشنطن للاحتفال بالعيد الثلاثين لانشاء الدولة اليهودية) ولم يعودوا يرون فى الاجتماع بوزير الخارجية الاسرائيلى شرفا يتسابقون اليه ٠

لقد تحدى كثيرون من ذوى الشخصيات الهامة فى المجتمع اليهودى الأمريكى ـ ومنهم فيليب كلوتزنيك الرئيس الحالى للمؤتمر اليهودى العالمى ، وجويدو جولدمان المعلق السياسى وابن ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى العالمى ، وروبرت ناثان الاقتصادى الشهير ٠٠٠ وآخرون ـ الحظر الذى فرضه الحاخام الكسندر شندلر رئيس نادى رؤساء المنظمات اليهودية الأمريكية وقاموا بزيارة الرئيس المصرى أثناء وجوده فى واشنطن ، بل ولم تمض أيام حتى أعلن رؤساء مجلس المعابد اليهودية عن زيارتهم للقاهرة ، ثم وجه أقطاب الحركة الثقافية اليهودية فى الولايات المتحدة ـ وعلى رأسهم شاؤول بيللو الفائز بجائزة نوبل فى الأدب ـ رسالة علنية الى مناحم بيجين يدعونه فيها الى الوقوف الى جانب السلام ٠

لقد تزايد الاحساس داخل الادارة الأمريكية والكونجرس الأمريكى بأن نفوذ جماعات الضغط اليهودية قد حال طويلا دون أن يكون للولايات المتحدة سياسة خارجية واضحة ، وأبقى هذه السياسة مقيدة بعوامل داخلية تتعلق بحساب الأصوات الانتخابية والمصالح الفردية بأكثر من حساب المصالح الأمريكيةالحقيقية فى مجموعها .. وبمعناها الواسع .

وكان مما ضاعف من هذا الاحساس بالتبرم هو أن أيا من رجال الادارة الأمريكية والكونجرس الأمريكى الذين حاولوا أن يضعوا الموقف الأمريكى على الطريق الصحيح لم يسلم من مخالب هذه الجماعات التقليدية الضاغطة .

وهذه مجلة كومنتارى مجازين الصهيونية (تنصح) الرئيس الأمريكى كارتر بأن أية مواجهة له مع اسرائيل سوف تقضى على كل فرص اعادة انتخابه عام ١٩٨٠ .

بل ان هذا التبرم لم يعد مقصورا على هؤلاء الرجال الذين تحملوا بحكم واجباتهم مشقة مواجهة الدور المعوق لهذه الجماعات الصهيونية ، وانما انتقل التبرم الى عديد من المؤسسات الأمريكية التى تلعب دورا مؤثرا فى صنع القرار الأمريكى ، والتى لا تخفى الآن موقفها من ضرورة ن تلتزم السياسة الأمريكية فى الشرق الآوسط موقفا أكثر موضوعية ، وأن يكون الاعتبار الأول لأمن المنطقة ككل ، وأن يكون هناك تمييز واضح بين مصالح اسرائيل ومصالح الولايات المتحدة ، وأن تكف الولايات المتحدة عن تمويل سياسة اسرائيلية لا توافق عليها ؛ أو توافق عليها تحت ضغط وضع ابتزازى اسمه (العلاقة الخاصة) .

لقـد أعلن وكيل وزارة الدفاع الأمريكية أنه من غير المنطقى أن نفترض تشابه مصالح الولايات المتحدة واسرائيل ، فمصالح الولايات المتحدة تتمثل فى تأمين مصادر البترول لنفسها ولشركائها فى حلف الأطلنطى وحماية الدولار الأمريكى المتهاوى ووسيلتنا الى ذلك هى دعم مبادرة الرئيس السادات للتوصل الى تسوية سلمية للصراع فى الشرق الأوسط ٠

وأشار الى أنه اذا كانت سياسة الرئيس كارتر قـد صدمت جماعات الضغط اليهودية الأمريكية فان ذلك يمكن أن يكون بمثابة (صـدمة صحية) تؤكد صـدق القول بتباين المصالح بين الولايات المتحدة واسرائيل فى الشرق الأوسط ٠

وقال أن مصالح الولايات المتحدة وشركائها تقتضى دعم الصداقة مع العرب ، وأنه اذا كانت اسرائيل لا تعى مصالحها جيدا كما يدل على ذلك موقفها ازاء جهود السلام فان الرأى العام الأمريكى أصبح يتفهم بلا شك الحاجة الى ضرورة الحفاظ على مصالح بلاده فى الشرق الأوســـط ٠

ويقول البروفيسور ستانلى هـوفمان الأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية فى مقال نشر له مؤخرا أن الكونـجرس والحكومة الأمريكية يميزان الآن تمييزا حادا بين المصالح القومية الأمريكية والمصـالح الاسرائيلية ، بل ويتفق الكونـجرس والحكومة على أن اسرائيل تسىء تقـدير مصالحها على المدى البعيد ، ويخشى الكونجرس والحكومة من أن يؤدى تركيز اسرائيل على نوايا العرب المعادية لهـا الى نتـائج مفجعــة ٠

ان الاتجاه الذى يضع مصالح اسرائيل فى جانب ومصالح الولايات المتحدة فى جانب آخر قـد امتد بالفعل ـ وحسب الاستطلاعات

المحـايدة ـ الى دائرة الراى العام الأمريكى الذى كان يمثل الرصـيد الاحتياطى لأى تحرك متوقـع لقـوى الضغط الصهيونية ضـد الادارة الأمريكية •

يقـول جورج كينان وهـو من أكبر خبراء السياسة الخارجية الأمريكية « ان اسرائيل وان كانت تمثل مصلحة (هامة) الا أنها ليست مصلحة (حيوية) للولايات المتحدة ، ونحن ملزمون بأن نقاتل دفاعا عن مصالحنا الحيوية فحسب » •

ان قطاعات كبيرة من الشعب الأمريكى لم تعـد تنسى اعـلان ريتشارد نيكسون حالة (التأهب النووى) فى جميع القواعـد البرية والبحرية والجـوية فى الولايات المتحدة وحول العالم خلال حرب اكتوبر من أجـل عيون اسرائيل وجماعات الضغط اليهودية فى الولايات المتحدة ممـا عرض العالم لاحتمال وقـوع حرب عالمية نووية مدمرة ، وممـا أصاب حلفاء الأمريكيين فى جلف الأطلنطى بالصـدمة والمرارة بسبب تعريضهم لخطر الحرب وتجاهلهم وعـدم استشارتهم قبل هذا الاعلان المنفرد من جانب للولايات المتحدة •

لقـد أصبح للراى العام الأمريكى ينـدد بمحاولات الزعمـاء الاسرائيليين لانتزاع التأييد من جانب يهود الولايات المتحدة لسياسة اسرائيل ، وينـدد بتصرفات بعض الأمريكيين من أصحاب (الجنسية المزدوجة) ، ويعتبر الضغط الناجم على الرئيس الأمريكى والكونجرس تدخلا لا يغتفر فى للشئون الداخلية الأمريكية •

وفى رسالة بعث بها مواطن أمريكى الى الرئيس جيمى كارتر والى كبار السياسيين الأمريكيين والى السفير الاسرائيلى فى الولايات المتحدة والى رؤساء المنظمات اليهودية بها ، واختار ألا يذكر اسمه

خوفا من تعرضه لاعتداء الصهاينة ، يقول « ... لقد أخذت اسرائيل على عاتقها القيام بدور (اسبارطة) فى الشرق الأوسط بوصفها دولة معتدية ظالمة ، فليس لعقدة (الماسادا) مكان فى القرن العشرين ، اننى أشعر بالأسى لأن الأسلحة الاسرائيلية من مصدر أمريكى ، لقد أصبح عدوان اسرائيل أمرا مستمرا ، فكل خطوة تؤدى الى خطوة أخرى وكل واحدة من هذه الخطوات تبررها الحاجة القومية الى الأمن ، وتزيد اتساع الوطن ، وتجعل السلام أكثر بعدا وأقل احتمالا ، ان هذه التصرفات والمواقف فى سبيلها لأن تخلق فى الولايات المتحدة حركة ارتدادية واسعة النطاق لمناهضة السامية ، اننى أكتب اليكم من شعور يفوق مجرد الشعور بالقلق ويتضمن الخوف والاستياء معا » .

ولعل ذلك يحدث بينما على الجانب الآخر صورة تتآكل فى شخص السيناتور لويل ويكر المعروف بتعصبه لاسرائيل وهو يهاجم حكومة الرئيس كارتر بسبب السياسة الجديدة التى تسعى الى التخلص من تحالف الولايات المتحدة مع اسرائيل ، كما يتهم زبجينو بريجنسكى مستشار الرئيس كارتر لشئون الأمن القومى بأنه يعتبر اليهود الأمريكيين العنصر الرئيسى المسئول عن عرقلة السياسة التى يتبعها كارتر وبأنه « أشبه بزعماء النازية الذين اذا ما واجهوا مصاعب قومية انما يسارعون الى لوم اليهود واضطهادهم » .

ان أهمية الصفقة الأولى من الأسلحة الأمريكية لمصر بعد المبادرة لا تتمثل فى الصفقة نفسها بقدر ما تتمثل فى نجاح مصر فى كسر احتكار اسرائيل للسلاح الأمريكى .. وللصداقة الأمريكية .

لقد ذهبت الادارة الأمريكية خطوة أبعد عندما وضعت كل صفقات السلاح فى الشرق الأوسط على مائدة الكونجرس الأمريكى : أما أن تبيعها للجميع ، وأما أن تمنعها عن الجميع .

لقـد كانت (صفقة الشرق الأوسط) على هـذا النحو اجراء لم يسبق له مثيل ، لقـد شعر الاسرائيليون بحساسية كبيرة لربط امدادهم من الأسلحة الأمريكية بامدادات مصر والسعودية من هذا السلاح ٠

ان قرار الولايات المتحدة بوضع مصر والسعودية فى صفقة واحدة مع اسرائيل هـو قرار سياسى وليس قرارا عسكريا ، وهـو بداية اتجاه قبل أن يكون مجرد صفقة واحـدة ٠

لقـد أيدت الأوساط السياسية فى معظم الدول الأوربية هـذا (الخط الجـديد) فى سياسة الولايات المتحدة ، وبدأت تعيد تقييم مواقفها فى ضوء هـذا (الحـدث الهام) الذى تمثل فى اعتبار اسرائيل طرفا هـذه (الصفة الثلاثية) ٠

لقـد كانت هـذه الأوساط السياسية الأوربية تشعر مثل كل العرب بأن الولايات المتحدة منحازة الى اسرائيل بشكل يتنافى مـع كل المبادىء والقيم الدولية فضلا عن أنه يتنكر للمصالح الحقيقية للشعب الأمريكى ٠

ثم جاءت فكرة الصفقة الثلاثية فايدت هـذه الأوساط الأوربية هـذا (الحوار الساخن) بين الولايات المتحدة واسرائيل ٠

لقـد رأت هـذه الأوساط أن الولايات المتحدة لا يمكنها ان تتجاهل الحاجـة الدفاعية لدولتين من أهم دول الشرق الأوسط تربطها بهمـا مصالح حيوية تتمثل فى دور السعودية فى الاقتصاد العالمى بتروليا وماليا ، كما تتمثل فى دور مصر فى المنطقة العربية والقـارة الأفريقية على السـواء ٠

لقــد شن مارك سيجل ـ مساعد الرئيس كارتر للشئون اليهودية السابق ـ هجوما عنيفا على البيت الأبيض فى خطاب ملتهب ألقــاه أمام زعماء اليهود الأمريكيين الموالين لاسرائيل فى اجتماع أقيم فى واشنطن ونظمته (لجنة العلاقات العامة اليهودية الأمريكية) بمناسبة مرور ثلاثين عاما على انشاء الدولة اليهودية ، قال فيه ان زبجينيو بريجنسكى مستشار الرئيس كارتر لشئون الأمن القــومى (والوغــد الذى يحتقر العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيل) خطط عمدا (صفقة الطائرات الشاملة) لاثارة (مواجهة تاريخية) بين الحــكومة الأمريكية و (اللوبى اليهودى) بهدف هزيمة اليهود الأمريكيين وتقويض نفــوذ جماعات الضغط اليهودية وشــل قبضتها بحيث تفقــد أى تأثير لهــا على السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط ، وبزعم ان ذلك يخدم المصالح القومية للولايات المتحدة التى تختلف اختلافا كبيرا عن المصالح القومية لاسرائيل ، مما أفقــد كارتر أى أمل فى تأييد اليهود الأمريكيين له فى الانتخابات الجــديدة لأنه (يسير فى طريق صــدام مع اتجاه التــاريخ) .

ان بعض المحللين السياسيين الأوربيين والأمريكيين يعتقــدون أن ما أقلق اسرائيل ليس صفقة الطائرات المقاتلة لمصر والسعودية ، وانمــا أقلقها أن تكون هــذه الصفقة بداية تحول الى (علاقة خاصة) بين الأمريكيين والعرب .

ان القيمة الحقيقية للصفقة لا تكمن فى عدد الطائرات أو نوعيتها ، بل تكمن فى أن العرب قد نجحوا لأول مرة فى التغلب على حالة كانت فيها العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيل تقف حائلا دون حصولهم على الأسلحة اللازمة لتحقيق أمنهم بسبب احتكار اسرائيل للتأييد المطلق للولايات المتحدة ، كما أنها تشير الى تزايد الاقتناع الدولى بأن الدول العربية تتسلح دفاعا عن أراضيها التى تحتلهــا

اسرائيل وتتعنت فى الانسحاب منها وتعـوق بتعنتها مسيرة السلام ·· وهـو مطلب العالم ·

ان اقرار الصفقة يعـد خروجا على التقليد السياسى الأمريكى ، فلم نكن فى المـاضى نتوقع من مجلس الشيوخ الأمريكى أن يتخـذ قرارا لا ترضى عنه اسرائيل ، حتى ولو كان صـدور هـذا القرار فى مصلحة الولايات المتحدة نفسها ، فلقـد اعتدنا دائما على أن تصدر قرارات الكـونجرس مغلبة المصـلحة الاسرائيلية على أية مصلحة أخـرى ··

لقـد ذكرت صحيفة نيويورك تايمز الأمريكية أن اقرار مجلس الشيوخ للصفقة قـد أدخل تغييرا حادا فى العلاقة الخاصة بين الولايات المتحدة واسرائيل ، وأن المدلول السياسى للصفقة يفـوق أهميتها العسكرية ، لأن الصفقة تمثل ـ على حـد تعبير الرئيس السادات ـ بداية النهـاية لاستقطاب الولايات المتحـدة الى جانب اسرائيل ولحسابها ·

لقـد أجمعت الدوائر السياسية العالمية على أن موافقة مجلس الشيوخ الأمريكى على الصفقة بهـذه الأغلبية لا تمثل فقط أول هزيمة حقيقية للنفـوذ الصهيونى فى أقـوى معاقله ، بل انما تمثل أيضـا بداية الأخـذ بوجهة النظر العربية داخل مراكز التأثير فى الولايات المتحدة ، بل وبداية تواجـد التأثير العربى فى السياسة الأمريكية ·

لقـد أجمعت هـذه الدوائر على أن مرور هـذه الصفقة داخل مجلس الشيوخ هـو هزيمة تاريخية ليس لهـا سابقة فى تاريخ النفـوذ الصهيونى داخل الحياة السياسية الأمريكية ·

لقـد أجمعت هـذه الدوائر على أن جماعات الضغط الصهيونية هي الخاسر الأول في هـذا القرار الذي يشير بوضوح الى أن نفـوذ تلك الجماعات قـد تلقى ضربة قاصمة بعـد أن كان يعتبر في المـاضي شيئا لا يمكن التغلب عليه ٠

لقـد صرح السيناتور مايك جرافيل بأنه تلقى في الأيام السابقة لاقرار الصفقة تهـديدات كثيرة من مجهولين وأنه مع ذلك قـد صوت الى جانب الصفقة لأنه « ينبغي الا ننظر الى جوانب السياسة الأمريكية في الشرق الأوسط بعيون اسرائيلية » ٠

لقـد أجمعت الصحف العالمية على أن اقرار الصفقة يمثل انتصارا للرئيس المصري في مبادرته بالسلام ، كما يمثل انتصارا للرئيس الأمريكي في مواجهته مـع جماعات الضغط اليهودية وهي تفشل لأول مرة في اختبار للقـوة مع الكونجرس ٠

فلم يكن من الممكن أن يوافق الكونجرس الأمريكي على هـذه الصفقة لولا مبادرة السادات التي كانت سلاح الردع في يد كارتر لتحييد أصدقاء اسرائيل ، والتي بلورت اتجاها داخل الكونجرس أصبح يتبنى وجهة النظر العربية بعـد أن كان الكونجرس بأكمله مواليـا للدولة اليهودية ٠

لقـد كانت مبادرة السلام المصرية سلاحا شهره كارتر في وجه قـوى الضغط الصهيونية خلال (معركة الخمسة أشهر) التي قادها البيت الأبيض داخل الساحة السياسية الأمريكية ، وكان شعار كارتر خلال هـذه المعركة (السادات يريد السلام) ٠

كما أن موافقة الكونجرس الأمريكي على هـذه الصفقة بهـذه الأغلبية تدل على أن كارتر قـد فاز باقتراع بالثقـة على سياسته

فى الشرق الأوسط (وفى غير الشرق الأوسط) وعلى تكتيكاته فى مفاوضات السلام بمـا فيها ضغوطه على اسرائيل لحملها على السير فى طريق الحل المشرف لمصر وللعرب •

لقـد تأكدت سلطة الرئيس الأمريكى بعـد الموافقة على الصفقة ، وتأكدت حريته ازاء الضغوط التى يمكن أن تقيد حركته ، ولو كان قـد منى بالهزيمة لتأثرت هـذه السلطة خلال مباحثات الشرق الأوسط أو أى مباحثات أخرى •

يقول ليزلى جانكا الذى كان يشغل منصب رئيس قسم الشرق الأوسط فى وزارة الدفاع الأمريكية « ان الدول العربية لا تعطى لهـذه الصفقة حجمها الحقيقى ، فتنفيذها يعنى نجاح الرئيس الأمريكى فى مواجهة قـوى الضغط الصهيونية التى جعلت من هـذه الصفقة مسألة حياة أو موت بالنسبة لهـا ، كما أنه لأول مرة تضع الادارة الأمريكية اسرائيل على نفس درجـة المصلحة مـع الدول العربية ، وأن اسرائيل لم تعـد طرفا محظيا بالنسبة للولايات المتحدة » •

ويقول الرئيس السادات لأبطال الجيش الثانى « لا يهم نوع الطائرات ولا عـددها ، فالمهم أن الولايات المتحدة لم تعـد مستقطبة من جانب اسرائيل وحـدها ، ولم تعـد سياسة اسرائيل هى السياسة الوحيدة فى المنطقة ، لقـد ألغى الرئيس كارتر الاستقطاب الاسرائيلى للولايات المتحدة بعـد أن جعل لهـا سياسة ومصالح تختلف عـن سياسة ومصالح اسرائيل » •

ويرد جنرال أمريكى على الذين يتحـدثون عن تواضع قـوة الطائرات التى حصلت عليها مصر بقوله « بداية كل طريق كبير كان متواضعا ، واذا شئت فلتعتبر أن الطائرات التى ستحصل عليها مصر

مجرد رفــع القبعة الأمريكية لتحية الجيش المصرى قبل أن يبـــدأ الحـوار الكبير ، وكل علاقة تبـدأ بالتحية » ٠

ويقول جنرال أمريكى آخر لأحــد رجال الصحافة المصريين « عندما كنت أصافح الجنرال محمد الجمسى ــ عند أول زيارة له لوزارة الدفاع الأمريكية ــ كنت أشعر أننى أصافح مصر ، ولكم أن تعرفوا أن عــدد أصدقائكم يتزايد خصوصا فى البنتاجون » ٠

لقــد كانت صفقة الطائرات دليــلا على القناعة الأمريكية بأن تدعيم جيش مصر هــو خطوة سياسية نـحو امكانية التوصل للسلام ، وبأن اختلال التوازن العسكرى لصالح اسرائيل لا يخــدم تقــدم المفاوضـــات ٠

ان هــذا القرار هــو اعلان صريح عن الحقيقة الأمريكية الجديدة ، والتى تقــول أن التزام الولايات المتحدة بأمن اسرائيل وحمايتها لا يمكن أن يكون على حساب المصالح الأمريكية الحقيقية ، ولا على حساب العلاقات الأمريكية العربية ٠

لقــد عبر السيناتور شارلز ماثيوس (بصراحة) عن أحــد هــذه المصالح أثناء مناقشة الصفقة فقال « للى هؤلاء الذين تساءلوا ما اذا كان للبترول يلعب دورا فى القرار المتعلق بالصفقة أقول (نـعم) ، فنحن نـحتاج للى بترول الشرق الأوسط ، وان كنا نستطيع الاستغناء عنه فان حلفاء الولايات المتحدة لا يستطيعون » ٠

كما صرح مسئول أمريكى كبير بأن موافقة مجلس الشيوخ على الصفقة ينبغى أن تكشف لاسرائيل أنها تواجــه لعبة جــديدة لهــا مجموعة جــديدة من القواعــد فيما يتعلق بالسياسة الأمريكية ، وبأن

هـذه الموافقة تمثل تطبيقا لسياسة أمريكية جـديدة أكثر توازنا وعـدلا ، وبأن هـذا التغيير فى السياسة الأمريكية يعكس الاعتقـاد بأن الزمن قـد تغير ٠

ان عمق هـذا التغيير فى السياسة الأمريكية يمكن أن يتمثل فى ضـوء نجاح قـوى الضغط الصهيونية فى ارغام الرئيس السابق جيرالد فـورد على التخلى نهائيا عمـا أسماه هنرى كيسنجر فى ذلك الوقت (اعادة تقييم السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط) عندما وقفت فى وجهه أغلبية أعضاء مجلس الشيوخ الأمريكى مؤيدة لموقف اسرائيل ، وهى نفس قـوى الضغط التى لم تتح للرئيس الأسـبق ريتشارد نيكسون فرصـة البحث فيما يمكن أن يطبقه من سياسات تجاه المنطقة ، واختفى من الحياة السياسية مبعوثه لتقصى الحقائق وليم سكرانتون لمجرد أنه أطلق عبارة (الحاجة الى سياسة متوازنة فى الشرق الأوسط) ، ثم اختفى من الحياة السياسية بعـده ريتشارد نيكسون نفسه على مذبح (فضيحة ووترجيت) ٠

كما أن عمق هـذا التغيير فى السياسة الأمريكية يمكن أن يتمثل فى قول السيناتور جاكوب جافيتس بعـد أن وقف ضـد الصـفقة « لقـد رفضت الموافقة على صفقة الطائرات التى باعتها الولايات المتحدة لمصر والسعودية ، وأنا نادم جـدا على هـذا الرفض ، وسوف أؤيد فى المستقبل أى صفقة سلاح تبيعها الولايات المتحدة لمصر » ٠

لقـد علق شيمون بيريز زعيم حزب العمل المعارض بأن الموافقة على الصفقة تمثل بداية تحول مثير للقلق فى علاقات الولايات المتحدة واسرائيل ، وأن يوم اقرارها كان يوما حزينا فى تاريخ العلاقات الأمريكية الاسرائيلية ٠

ان الولايات المتحدة تتقـدم فى كل يوم خطوة على طريق الخلاص من الارتباطات القـديمة كضرورة للتنسيق السياسى بينها وبين اسرائيل ، أو كضرورة مشاورتها والحصول على موافقتها مقـدما قبل أى مناقشة لقضية الشرق الأوسط فى الأمم المتحدة •

ولقـد أصبح معظم العاملين فى البيت الأبيض ينتظرون بحنين واشتياق الطريقة التى توجـه بها الرئيس الأمريكى الراحل دوايت ايزنهاور الى التليفزيون يوم ٢٠ فبراير ١٩٥٧ معلنا طلبه (أو أمره) الذى لا مساومة حـوله بأن تنسحب اسرائيل من كل بوصة احتلتها عام ١٩٥٦ ، وهـو الانسحاب الذى نسبنا فضله حينئذ (فقط) الى الانذار السوفييتى (الشهير) •

ان الدول الأوربية تتوقع دورا جـديدا لهـا يأتى انعكاسا وامتدادا لدور الولايات المتحدة ، وهى مطالبة بهـذا الدور من داخل مؤسساتها السياسية والاقتصادية فضلا عن أنه مطلب العرب •

ان من أهم نتائج الغزو الاسرائيلى لجنوب لبنان بعـد شهور قليلة من المبادرة ، والذى كان بمثابة عملية التفاف حولها ، والذى وصفه مواطن أمريكى فى برقية للرئيس الأمريكى بأنه (عار تجاوز كل الحـدود) ، هـو تلاشى الرصيد المتبقى من سمعة اسرائيل فى الغـرب •

لقـد علقت صحيفة نيويورك تايمز على هـذا الغزو بقـولها « ان الصورة القـديمة التى كانت تظهر بها اسرائيل على أنها تجسيد لمجتمع أخلاقى وانسانى قـد اختفت » •

لقـد وصف وكيل وزارة الدفاع الأمريكية الغزو الاسرائيلى لجنوب لبنان بأنه رد فعل مبالغ فيه لغـارة الفـدائيين على تل أبيب ،

وأضاف أن هـذا الغزو قصـد به تعقيد الموقف المعقـد بالفعل ، وأكد أن اسرائيل فعلا دولة ترفض أن تكون لهـا حـدود ثابتة مع جيرانها ٠

لقـد تصرفت الادارة الأمريكية فى أزمة لبنان دون انتظـار مشورة رئيس الوزراء الاسرائيلى ، وقبل ساعات قليلة من لقـائه بالرئيس الأمريكى ، عندما تقـدمت الى مجلس الأمن بمشروع قرار يلزم اسرائيل بوقف العمليات العسكرية فـورا والانسحاب من الجنوب اللبنـانى دون ابطـاء ٠

ان تصويت الولايات المتحدة فى مجلس الأمن ـ ولأول مرة ـ ضد هجوم اسرائيل على جنوب لبنـان ولصالح الانسحاب الاسرائيلى الفـورى ، مؤشر بالغ الدلالة على أبعـاد التأثير المصرى على الموقف الأمريكى الذى يقترب من أهـداف العرب ٠

ولقـد أعطى هـذا الغزو للرئيس الأمريكى سلاحا سياسيا هاما يمكن أن يشهره فى وجـه اسرائيل فى أى وقت مناسب ؛ وهـو قانون أمريكى للرقابة على تصـدير الأسلحة يفرض الحظر على أية دولة تكون قـد استخدمت أسلحة أمريكية ضـد دولة أخرى الا اذا كان ذلك خلال دفاعها عن نفسها ، وهـو نفس المعنى الذى تضمنته اتفاقية ثنائية ، عن استخدامات الأسلحة الأمريكية ، موقعة بين الولايات المتحدة واسرائيل فى عام ١٩٥٢ ٠

لقـد اتهمت الولايات المتحدة اسرائيل ، رسميا ولأول مرة فى تاريخ العلاقات الخاصـة بينهما ، بأنهـا قـد استخدمت القنابل (العنقودية) الأمريكية الفتاكة ضـد السكان المدنيين اللبنـانيين والفلسطينيين أثناء غزوها لجنوب لبنان منتهكة بذلك القوانين الخاصة بالرقابة على استخدام الأسلحة الأمريكية فضلا عن اتفاقية ١٩٥٢ التى

تم بمقتضاها تسليم مثل هـذه الأسلحة لاسرائيل ، والتى تقضى بعـــدم استخدامها الا فى حرب واسـعة النطـــاق وضـــد الأهـداف العسكرية فقط دون المدنية •

لقـد تغيرت سياسة الولايات المتحدة الى درجـة الاتهام الرسمى والعلنى لاسرائيل بانتهاك اتفاقية ثنائية مبرمة بينهما ولم تكن أى منهما قـد أشارت الى هـذه الاتفاقية من قبل •

واذا كان تحييد الولايات المتحدة أملا ظـل يراود العرب منذ بدأ الصراع العربى الاسرائيلى ، فقـد جعلته المبادرة حقيقة واقعـة وضحت بوادرها فى أول فشل منذ ثلاثين عاما تمنى به زيارة أى من رؤسـاء حكومات اسرائيل للبيت الأبيض والكونجرس الأمريكى ، تلك الزيارة التى وصفتها صحيفة الديلى تلجراف بأنها كانت (كارثة دبلوماسية) والتى وصفتها صحيفة التايمز بأنها كانت (فى برودة الثلج) •

لقـد أصبحت الساحة الأمريكية مهياة للحـوار مـع العرب على كل المستويات ، ولقـد ترتب هـذا المناخ الجـديد على مبادرة السلام التى أربكت العناصر اليهودية الأمريكية المؤيدة لاسرائيل وأوقعت الانقسام فى صفوفها •

لقـد اعترف الحاخام الأمريكى الكسندر شندلر الذى يرأس (نادى الرؤساء) الذى يضم كبار زعماء المنظمات اليهودية الأمريكية بأن شعبية اسرائيل فى الولايات المتحدة قـد انخفضت انخفاضا كبيرا سواء داخـل الكونـجرس أو على مستوى الرأى العام الأمريكى •

كما اعترف السيناتور اليهودى الأمريكى ابراهام ريبيكوف ـ وكان من أكبر المتعصبين لاسرائيل ـ بأنه يعتقد أن السياسات

الاسرائيلية خاطئة ولا تستحق التأييد الأمريكى ، وقال عن جماعات الضغط اليهودية أنهم يحاولون خلق انطباع بأنهم يتحدثون باسم اليهود ، وأشار الى نشاط (لجنة العلاقات اليهودية الأمريكية) ـ وهى أهم جماعة ضغط يهودية داخل الكونجرس الأمريكى ـ قائلا أنهم يقدمون اساءة بالغة للولايات المتحدة واسرائيل والمجتمع اليهودى كذلك ، وقال أن سياسة اسرائيل فى الضغط على الولايات المتحدة أصبحت تضر المصالح الأمريكية ومصالح اليهود الأمريكيين بل ومصالح اسرائيل نفسها ٠

كما صرح ناحوم جولدمان الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى العالمى بعد مقابلته للرئيس السادات (فى باريس) ومعه ممثلو الجالية اليهودية فى أوربا ومنهم آلان روتشلد « لقد حضرنا لتهنئته على مبادرته الخلاقة التى تتسم بالشجاعة والابداع ، ولنرجوه منح اسرائيل فترة من الوقت حتى تعتاد على الموقف الجديد ، ولنؤكد له أن جهوده من أجل السلام العادل والشامل سوف تكلل بالنجاح فى النهاية » ٠

ويعترف ناحوم جولدمان فى كتابه الأخير (المأزق الصهيونى) بأن العالم قد اختلف ، وهو الآن أقل استجابة للتأثيرات اليهودية ، واذا كانت هناك بعض الحسابات المحددة التى قد تغرى قيادات اسرائيل بالصلف فان الحسابات الحقيقية تؤكد فى النهاية أن الزمن فى غير صالحنا ، وأن العرب يزدادون قوة ويحظون بالمزيد من تعاطف العالم ، أما نحن فنخسر دائما ٠

ويصرح فى حديث لجريدة (الأهرام) المصرية « ان العامل الأساسى فى الموقف الاسرائيلى يقترن بالتطورات التى تطرأ على الرأى العام داخل اسرائيل ، خصوصا وأن الرأى العام الاسرائيلى يتأثر تأثرا

شـديدا بموقف الولايات المتحدة ، ولقـد كانت المبادرة المصرية عاملا فى التحول الراهن والملحـوظ داخل الموقف الأمريكى ، لقـــد ظلت سياسة اسرائيل العربية ولمدة ثلاثين عاما تتلخص فى أمر واحـد هو فرض الأمر الواقع والانتظار حتى يأتى العرب جاثين يعلنون قبولهم لكل الشروط الاسرائيلية ، وبسبب ظروف الحرب الباردة ، ولأسباب تتعلق برفض الأمريكيين للسياسات الداخلية والخارجية لمصر خـلال الستينات ، فلقــد ساعدت الولايات المتحدة الاسرائيليين على استمرار تبنى هـذا الموقف وسعت الى تكريس حالة التوتر ، ولكن الصــورة الآن جـد مختلفة ، فالرأى العام داخـل اسرائيل يتابع بقلق بالغ تطـور الموقف الأمريكى بعـد حرب أكتوبر ومبادرة السلام ، واننى على يقين من أن لا أحـد فى اسرائيل يعضـد وقــوع شرخ فى العلاقات الأمريكية الاسرائيلية » ٠

لقـد علقت صحيفة (معاريف) الاسرائيلية على حـديث جولدمان لجريدة (الأهرام) المصرية بقولها أن نشر هـذه التصريحات فى القــاهرة واعطاء الرئيس السابق للمؤتمر اليهودى العالمى كل الحـق فى القــاء كل المسئولية عن الطريق المسدود على عاتق اسرائيل واتخــاذه موقفا لصالح منظمة التحرير الفلسطينية لا يمكن الا أن يلحـق ضررا بالغــا بموقف اسرائيل الديبلوماسى ، وأضافت الصحيفة أن النصيحة التى أسـداها جولدمان مؤخرا لحكومة كارتر هى بأن يقضى على نفوذ جماعة الضغط اليهودية فى واشنطن ٠

وقـد شاركت صحيفة (جيرروزاليم بوست) الاسرائيلية صحيفة (معاريف) رأيها وأعربت عن اعتقادها بأن جولدمان قـد أثار الارتباك بين أصـدقاء اسرائيل فى الخارج بهـدف واضح تماما هـو تقويض موقف الدولة اليهودية ، ولكنها أضافت أن ما دفع جولدمان الى ذلك هـو خشيته من احتمال نشوب حرب جـديدة ، فى ظـل موقف عالمى غير موات بالنسبة لاسرائيل ٠

و يقول السيناتور تشارلز بيرسى فى خطاب له الى الرئيس السادات « ... وأستطيع أن أؤكد لك يا سيادة الرئيس أن هنــاك العـديدين من أصـدقائك والمعجبين بك هنا يعملون فى صمت على بذل كل ما فى وسعهم من أجـل الابقاء على قـوة الدفـع التى بدأتهـا بتصور وخلق عظيمين ، بادئا برحلتك الى القـدس ، لقـد ألهمتنا جميعا ، ونـحن نـحمل لك أعمق الامتنان ... » .

ويحـذر جـويدو جولدمان المعلق السياسى اليهودى الأمريكى حكومة اسرائيل ثم ينصحها بقوله « ان الفرصة الوحيدة المتاحــة لاسرائيل اليوم ـ وليس لدولة غيرها ـ لكى تشكل مصيرها باستخدام أصـدقائها الأمريكيين سوف تهـدر وتضيع الى الأبد ، ولا يمكن أن يكون اهـدارها وضياعها فى صالح الأمن الاسرائيلى على المدى البعيد ، ان على اسرائيل أن تبرم التسوية (الآن) ان كان بوسعها أن تبرمها ، فبالنظر الى الفرص المتاحة ، والثمن الكئيب الكالح لرفضها ، فليس بوسع أصـدقاء اسرائيل أن يؤيدوا ما هـو أقـل من ذلك » .

ويطالب جـويدو جولدمان الاسرائيليين بقبول التسوية السلمية (الآن) وقبل أن تضيع اسرائيل على نفسها فرصــة السلام وربمـا فرصة البقاء ذاته ، ويعلن أن حكومة اسرائيل تتبنى مفهوما خاطئـــا بتصورها أن السلام يمكن أن يتحقق فى وقت لاحق بشروط أفضل بالنسبة لاسرائيل ، ويؤكد أن أمل اسرائيل فى أن تحيــا دون سلام هو أمل مجـدب ومزيف بما فيه الكفاية ، وأنه بدون التسوية (الآن) ستكون اسرائيل أكبر الخاسرين .

وينفى عمانويل جاكو بوفيتس حاخام بريطانيا الأكبر وجـود أى أساس دينى وعقائدى يبرر عـدم اعادة الأراضى العربية المحتلة لأصحابها العرب ، ويقول أن الأمر الذى يدعو للدهشة حقـا هـو أن

العناصر المتدينة (جماعة الايمان ، جويش أومنيم ، اليمينية المتطرفة) هى التى تأخذ على عاتقها أكثر المواقف غطرسة فى اسرائيل ، ويضيف أن الأمر المطروح للمناقشة هو اذا كانت اسرائيل ستحتفظ بهذه الأراضى على حساب حياة آلاف من الاسرائيليين أم على حساب حياة دولة اسرائيل نفسها •

ويصرح كارل كاهان أحد كبار الشخصيات اليهودية الأوربية بعد مقابلته للرئيس السادات (فى فيينا) أنه أبلغ الرئيس بأن الجاليات اليهودية فى أوربا ترى أن مبادرة السلام ليست موجهة الى اسرائيل وحدها وانما هى موجهة الى الانسان اليهودى فى كل مكان ، ومن ثم فان الانسان اليهودى مطالب اليوم بأن يمارس مسئوليته تجاه السلام •

ويقول السيناتور جيمس أبو رزق ــ وهو من أصل عربى ــ « لقد انتقلت جبهة القتال ــ بعد المبادرة ــ من سيناء والجولان الى أروقة الكونجرس الأمريكى ، والى الشارع الأمريكى ، اذ يتصارع العرب مع اسرائيل لكسب مواقع جديدة من الرأى العام الأمريكى » •

ان المنافسة تزداد شدة يوما بعد يوم فى معارك التأثير السياسى بين (اللوبى الاسرائيلى) و (اللوبى العربى) الذى يتضاعف نفوذه فى الولايات المتحدة •

ان صورة جديدة للعرب آخذة فى التبلور والنمو بقوة وثبات فى عقل وضمير المجتمع الأمريكى ، وأسباب ذلك ترد أولا الى الانجاز العربى والأداء العسكرى والاقتصادى والسياسى البارز فى حرب أكتوبر ، ولكن نقطة التغيير الحاسمة فى رأى كثير من المعلقين السياسيين ترجع الى مبادرة السلام ، حتى أنهم يفرقون بين حقبة ما قبل المبادرة وما بعد المبادرة •

لقـد استطاع السادات أن يمس ضمير الشـعب الأمريكى وأن يدخل قلبه ويقتحم عقله بعـد أن اعتاد على غلقهما تجـاه مصر والعرب ، وأن يمـد جسور المودة والحـوار مع هـذا الشعب الذى أعطيناه ظهرنا بينما هـو شعب لا يمكن اسقاطه ولا يصح تجاهله .. لأنه شعب الدولة العظمى التى تملك معظم (أوراق اللعبة) .

لقـد صارت طـوائف الشعب الأمريكى تحمل فى صـدورها تقـديرا كاملا للرئيس السادات بوصفه الزعيم الذى يسعى من أجل سلام العالم أجمع ، ويقولون عنه فى نيويورك بالذات (السـادات الزعيم المقنع .. فهو على حـق دائما) .

يقول جيفرى جودسيل فى جريدة كريستيان ساينس مونيتورز « لقـد أصبح السادات بالنسبة للعالم الغربى أكثر الشخصيات العالمية جاذبية ، فقـد قام برحلة سلام لا مثيل لها فى التاريخ الحـديث ، انه يتميز بوضوح الرؤية ويعبر عن نفسه بصراحة وسحر نادرين ، ولكن كل هـذا يمكن أن يتضاءل الى جانب احساس كل من يقترب منه أو يستمع اليه بصـدق أحاسيس وأقـوال وأفعال هـذا الرجل العظيم والبسيط معا ، ولعـل هـذا ما جعله يغزو قلب الغرب وقلب الشـعب الأمريكى بالذات ، لقـد قرب المسافات بين هـذه الشعوب وبين شعبه أكثر ممـا استطاع أى زعيم آخر أن يفعل فى أى وقت مضى » .

وتقول كلارا كلوستر فى صحيفة كانسى سيتى تايمز « ان السادات جـدير بحق بكل المديح والاعجاب الذى يحيطه العـالم به منذ أن قام برحلة السلام ، فأقـل ما يمكن أن توصف به هـذه المبادرة أنها جريئة وشجاعة لم يكن فى الامكان تصديقها أو تخيلها قبـل أن تحـدث ، ولعل من أهم منابع قـوته ما وهبه الله من قـدرة على التغيير والتغير وقـدرته الفـذة على تحطيم القوالب القـديمة الجامدة وخلق

مواقف جـديدة تتلاءم مع الواقع ، هذه القـدرة فى رأيى هى التى سوف تمكنه الآن ـ أو فيما بعـد ـ من تحقيق رسالته المقدسـة وبلوغ الأهـداف التى وضعها نصب عينيه وهى أن يعيش العالم فى حـب وســلام » .

ويقول فيليب سيب فى جريدة دالاس تيمز هيرالد « قـد يتساءل البعض عن سر اعجاب العالم بالسادات كرجل دولة من طراز فريد ، والمفتاح فى رأيى يكمن فى شخصيته ، فايمانه بعـدالة قضيته يجعله يغامر بكل شىء كما حـدث فى رحلته الى القـدس ، ولكن الى جانب هـذا يتميز السادات باحساس سليم بالعلاقات العامة وبفهم دقيـق للمشاكل والمنعرجات السياسية على المستوى العالمى والمستوى المحلى معـا » .

وتقول جان لويز ثاشر فى النشرة الشهرية الخاصـة بشئون العالم والتى تصدر فى كاليفورنيا « فى الثلاثين سنة الأخيرة من تاريخ العالم ينفرد فصل بأكمله بالمشاحنات الخطيرة التى لم يشهد التاريخ مثيلا لهـا من قبل ، ذلك هـو الفصل الذى يمكن أن نسميه (الشرق الأوسط) حيث اهتزت أعمق مشاعر البشر بمـا كان يمكن أن يؤدى الى الخراب والفناء ، ولكن من حسن حظ العالم أن ظهرت أخيرا والى جانب هـذه الحرب حرب أخرى من أجـل السلام والبقاء على يد السادات ذلك الرجل النادر الشجاع الذى ذهب الى عـدوه مصافحا متسامحا يطالبه بالسلام حتى يعم الخير والحق كل شعوب المنطقة » .

أما عن الرافضين العرب ، فلن يكون أمامهم فى نهاية المطـاف غير الواقع يمسكون به ، وهـذا الواقـع يتمثل فى حقيقة واحـدة هى : مبادرة السلام المصرية ، ان أول الخيط الذى بدأ بمحاولة عربية محورية لنسفها سوف ينتهى ـ بالضرورة ـ الى محاولة عربية جماعية لدعمها ،

خصوصا وأن المبادرة لم تتسبب فى وجــود خلافات بين الدول العربية بقــدر ما كشفت عن وجــود الخلافات بين الدول العربية ·

وماذا يمكن أن يقــال بعــد أن حــددت القيادة المصرية بالقول الفصــل ألف مرة ومرة موقف مصر القاطع والمــانع ؛ الذى لا يقــل عن موقف مؤتمرى الجزائر والرباط بل يزيد ، وبعــد أن بددت تصريحات السادات فى القــدس وفى عواصم الغرب أوهام الحلول المنفردة ، وبعد أن استمع المقاتلون على ضفتى القناة من قائدهم الأعلى أنه لا اتفــاق منفردا مــع اسرائيل ، وأنه اذا استمرت اسرائيل فى عمليات الالتفاف حــول مبادرة السلام وضرب الجهود المبذولة لاحلاله فى المنطقــة فان هناك توقعا لحرب أخرى لاستعادة الأراضى العربية المحتلة ، وأنه اذا اعتبرت القيادة الاسرائيلية رفضنا للتنازل عن بوصــــة واحــدة من أرضنا مؤشرا للحرب ·· فهم أحرار فيما يعتقدون ·

ان على العرب أن يعــودوا الى التضامن العربى حتى يحقق الوجــود العربى ذاته فى عالم لا يعترف الا بالقــوة ، وأن يبرزوا الحجم الأصغر لخلافاتهم أمام الحجم الأكبر لمصالحهم ، وأن يرتفعوا الى مستوى المسئولية القــومية وباب الشجاعة الفكرية ـ على حــد قــول عاهل المغرب ـ مفتوح مثل باب التوبة ·

لقــد صــدق الرئيس السودانى جعفر نميرى الذى اختارته جامعة الدول العربية رئيسا للجنة اعادة التضامن العربى حينما قــال « ان مبادرة الرئيس المصرى قد دفعت الدبلوماسية العربية الى مجالات جــديدة سوف تعود بمكاسب كبيرة على القضايا المصرية العربية التى بدأت مرحلة جــديدة من الواقعية بعــد المبادرة » ·

ان زيارة القــدس التى أيدتها جموع الشــعب المصرى صــارت علامة تاريخية بارزة لنهاية عصر المراهقة السياسية التى اشتهر بها

العالم العربى فى تاريخه المعاصر ، والتى شوهت صـورته فى نظـر العالم المتحضر حيث لم يأخـذه أحـد على محمل الجـد مهما عـلا ضجيجه وارتفع عجيجه ، كما صارت حافزا سوف يدفع الدول العربية على طريق السلوك الناضج والمسئول بعـد أن تجاوزت مصر هـــذه المرحـــلة ٠

ان للذين أصابهم اليأس من مبادرة السلام المصرية يمكنهم الخروج من شرنقة اليأس التى حشروا أنفسهم فيها الى هـذا العالم الواسع حولنا ليسمعوا ويشهدوا ويلمسوا كيف أن هـذه المبـادرة هى النبض العالى الذى يدق به قلب الصراع العربى الاسرائيلى فى هـذه الآونة ٠

ولقـد بدأت المبادرة تحـدث تغييرا نفسيا لدى كل شـعوب المنطقة بمـا فيها شعوب هؤلاء الرافضين الذين سيتفهمون يوما ـ قرب أم بعـد ـ هـذا الاسهام الضخم الذى قـدمته مصر اليهم ٠

ان التضامن العربى سوف يساعد على سرعة تحقيق السـلام ولا يعطى الفرصة لاسرائيل كى تناور وتداور وتساوم وتلعب على الخلافات العربية وتتعلل بها ٠

يقول ناحوم جولدمان « ان جبهة عربية موحـدة ، سوف تكون عاملا هاما فى سلام المنطقة ، ويقينى أن مصر لا تريد سلاما منفصلا لأن مثل هـذا السلام يعنى أن تعـود ظاهرة الاستقطاب الى العالم العربى ، وأن تتعزز قسمته ، وسوف يجـد للسوفييت من خـــلال الاستقطاب فرصة الابقـــاء على استمرار المشكلة تعزيزا لاستمرار وجـودهم » ٠

ويقول فى مناقشة عن الأثر السياسى لتكدس السلاح فى اسرائيل على اتجاهات السلام هناك « أعتقد أنه لصالح تحقيق السلام فانه من الضرورى للعرب أن يكونوا على يقين من قـدرتهم على الدفاع عـن أنفسهم ، وان ما يقوله العرب عن ضرورة التوازن فى القوة العسكرية للجانبين شىء منطقى » •

ان مبادرة السلام المصرية جعلت العالم يدخل الآن معنا كشاهد اثبات يساند الحـق العربى ، ويستنكر التعنت الاسرائيلى ، فى أول امتحان حقيقى لصقور اسرائيل فى مطلب السلام الذى كانوا يتشدقون به ، بل وجعلت ضمير العالم يقيم معنا الدعوى ضـد هـذا التعنت والصـلف •

ان العالم كله الآن شاهد على مدى مرونة الموقف المصرى وايجابيته وتجاوبه مع ارادة ورغبة المجتمع الدولى فى اقرار سلام عادل ودائم يحقق الأمن لجميع الأطراف فى المنطقة دون مساس بالأرض والحـق ، كما يحقق الاستقرار فى العالم أجمع •

يقول برونو كرايسكى مستشار النمسا « ان مجموعة الدولية الاشتراكية التى كانت تتعاطف تقليديا مـع اسرائيل فقط أصبحت الآن تستمع بعقل مفتوح الى وجهة النظر المصرية بالذات، والى وجهة نظر العرب الذين يريدون السلام ــ ان تمسك مصر بمبادرتها أمر بالغ الأهمية لأنه يكسبها تأييدا جـديدا فى كل يوم وفى كل مكان ، ومع شىء من الصبر سيحصل العرب على نتائج ايجابية ــ ان هناك من يعتقد أن الأمانى الكبيرة لا تتحقق بالطرق السياسية ، ولكننى أعتقد بأنه حتى بعض الأحلام يمكن تحقيقها بالسياسة عندما يوجـد الرجل المناسب لتحقيقها ، والسادات هـو من هـذا النوع النادر الذى أثبت لنـا أن بعض الأحلام يمكن تحقيقها ، فلم يكن أحـد ليحلم بمبادرته

قبل أن تحـدث ـ ان المبادرة قـد أحـدثت تحولا فى الرأى العام العالمى ما كان يحـدث فى قرون عـديدة لو لم تكن رحلة القـدس ـ ان الصبر هـو السلاح السرى فى هـذه المعركة ـ ان عملية خلق رأى عام حول مشكلة معقـدة كأزمة الشرق الأوسط عملية بالغة الصعوبة ، ومع ذلك فقـد رأينا نتائجها ، لقـد تغيرت الأمور بصورة جـوهرية فى وقت قصير ليس فى الرأى العام الأمريكى فقط بل داخل المجتمعات الأوربية خصوصا فى غرب أوربا » .

ويصـف برونو كرايسكى مستشار النمسـا مناحم بيجين (المحامى البولندى الصغير) بأنه (بقال سياسة) ، كما يصـف اسرائيل بأنهـا دولة بوليسية عنصرية تماما مثل جنوب أفريقيا ، ويعلن أن الجنرالات الذين يحكمون اسرائيل يعيشون فى عزلة ويفكرون بنفس أسلوب تفكير يهود أوربا الشرقية الذين لم يتحملوا فى وقت من الأوقات أية مسئولية سياسية ، كما يعلن أن العالم يكافح العنصرية فى جنوب أفريقيا ويتساءل متى سيكافح ضـدها فى اسرائيل ، ويقول أن الذين يحلمون باسرائيل الكبرى يتناسون أنه ما من دولة واحـدة استطاعت أن تبقى متماسكة فى ظـل الوصاية ، كما يقول أن ذوى العقول الفاشية هم وحـدهم الذين لا يستطيعون أن يدركوا أن دولة الرايخ الاسرائيلية بالمليون عربى الذين يعيشون فيها انما تحمل عبـوة ناسفة أو تجلس فـوق بركان ديناميت ، ويرى أن الاسرائيليين جنـود على مستوى عال ولكن هـذه الأشياء يمكن تعلمها بسرعة ، انها شكل مهذب من أشكال اللصوصية ، كما يرى أن الاسرائيليين يفتقدون التهذيب فى السياسة ، وأن أكثر الديبلوماسيين المكروهين الآن هم الاسرائيليون ، وأنهم يحتاجون الى مئات السنين ليتعلموا السياسة ، ويضيف أن القول بأن اليهود أشخاص أذكياء ما هـو الا أسطورة فارغة ، فهم أشخاص أغبياء مثل الآخرين ، وبعضهم يتميز بعقلية فاشية والبعض الآخر يفكر بعقلية الجيتو ، كما يضيف أن

اسرائيل ستجد نفسها ان عاجلا أو آجلا فى عزلة مخيفة ، ولن يستطيع حتى أغنى اليهود الأمريكيين أو الأوربيين اخراجها من هـذه العزلة ٠

لقـد أثارت هـذه التصريحات اهتماما عالميا واسع النطـاق ، والأغلب أن هذا الاهتمام يرجع الى أن الدوائر الرسمية والصحفية العالمية تذهب فى تفسيرها لسياسة الدولة اليهودية الى نفس ما ذهب اليه برونو كرايسكى الذى لو لم يكن يهوديا للحقت به تهمة (معـاداة السامية) ، والذى اتهمه يوسف بورج وزير داخلية اسرائيل بأنه أدلى بأسـوأ تصريحات أدلى بها أى زعيم غربى عن اسرائيل منذ انشائها من ثلاثين عاما ، وبأنه استخدم لغـة تعيد الى الأذهان اللغـة التى كان يستخدمها النازيون المناهضون للسامية ٠

لقـد خلقت مبادرة السلام المصرية موقفا تاريخيا جـديدا فى معظم دول أوربا وقضت على كثير من التحفظات والتحرجات والعقـد التى ميزت سياسات هـذه الدول ، وألمـانيا الغربية على رأسها ، طوال ثلاثين عاما ظلت فيها اسرائيل تستثمر بالباطـل ما فعله النازى باليهـود ، وتحللت هـذه الدول من هـذه الأوهام وأهمها عقـدة (الشعور بالذنب) عند الشعب الألمـانى الغربى ،ولم تعـد تخشى هذه الدول قـذفها بتهمة (معاداة السامية) كما لم تعـد تخفى تبرمها من موقف اسرائيل المعـوق لجهود السلام فى الشرق الأوسط ٠

تقول وكالة اليونايتد برس بمناسبة الذكرى الثلاثين لقيام دولة اسرائيل « ان الدولة اليهودية تدخل الآن العقـد الرابع من عمرها دون أن تنجح فى تحقيق السلام مـع جيرانها ـ ان معظم دول العالم تعتبر ذلك غلطة اسرائيل نفسها ـ ان تعنت اسرائيل جعل العالم كله بما فى ذلك دولة الكتلة الشرقية والغربية على السواء ينظر اليهـا باعتبارها دولة متعجرفة وعنيدة لا تريد السلام ـ ان عـدم توقيع اتفاقية سلام مع جيرانها قـد كلفها خسارة العـديد من أصـدقائها ـ

ان اسرائيل ستظل مهددة بالخطر اذا لم تتمكن من حـل مشاكلها مع الدول العربية » .

ومع ذلك فان مبادرة السلام المصرية لم تفقد فاعليتها ولم يستطع أحـد مقاومتها ، فكل التطورات العربية والاسرائيلية والعالمية أثبتت صحة المبادرة وبعـد نظرها ، وكل الذى تم تحقيقه لا يجب أن يسمح بتوقفه ، واسرائيل ما بعـد المبادرة لن تكون اسرائيل ما قبلها ، وغـد القضية لن يتشابه مـع أمسها ، والمشكلة قـد أصبحت غير قابلة للتجمـد ، لقـد دخلت منعطفا لا رجعـة فيه ، لقـد شاعت روح الانصاف والتفهم للقضية ، ومصر تدرك أهمية عامل الوقت فى ديناميكية صنع السلام دون تفريط أو افراط ، فالحرب هى الجهـاد الأصغر ، والسلام هـو الجهاد الأكبر .

ان مبادرة السلام صارت ملكية عالمية ولم تعـد ملكا للرئيس السادات ولا ملكا لمصر وحـدها ولكنها ملك للانسانية كلها وجزء من تاريخها الذى سوف تتوارثه عبر أجيالها ولأن العالم يريد السـلام ويصر عليه ويعمل من أجله .

ان مبادرة السلام صارت مسئولية تاريخية يتحمل العـالم عبء الدفاع عنها ويعمل على نجاحها ؛ بعـد أن شـعر أن اسرائيل قـد أصبحت خطرا على أمنه وعلى مصالحه ، وبعـد أن لمس أن مبادرة السلام ـ وهى أشجع نداء أخلاقى حضارى أعلنه الانسان فى هـذا العصر ـ قـد أصبحت جزءا من ضمير الانسانية ، وتعبيرا عن أرقى ما فى الانسان .

ان مبادرة السلام لابد أن تعطى ثمارها ، وهى ـ على حـد تعبير تاكيو فوكودا رئيس وزراء اليابان ـ مثل حبات القمح التى تزرع فى الأرض وترتفع سنابلها مـع بعض الوقت .

ولقـد تحول مفهوم دور الولايات المتحدة بعـد المبادرة ، وبعـد أن وصلت للولايات المتحدة الى تلك الدرجة من الانغماس فى أحـداث المنطقة ، من مفهوم دور الوساطة بيننا وبين اسرائيل الى مفهوم دور الشريك الكامل فى صنع السلام للذى يريده العالم ويصر عليه ، وهـو المفهوم الذى تحاول اسرائيل ازاءه اخراج للولايات المتحـدة من عملية التسوية السلمية كطرف له مصلحة فيها ٠٠ ولكن هيهات أن تعـود عقارب الساعة الى للوراء ٠

لقـد كانت اسرائيل تريد للدور الأمريكى أن ينحصر فى دور المشجع والمصفق أحيانا أو فى دور (ساعى البريد) على أكثر تقـدير ، دون أن يرتفع هـذا للدور حتى الى مستوى (العامل المساعد) أو يرقى الى درجة التأثير والمشاركة فى اقرار السلام فى المنطقة على أسس عادلة ومتوازنة ٠

ولعـل تطورات ما بعـد حرب أكتوبر ومبادرة السلام تستطيع الاجابة على التساؤلين الشهيرين : هـل تستطيع الولايات المتحدة أن تضغط على اسرائيل ؟ وهـل ترغب فى الضغط عليها ؟ وذلك بعـد أن انقضى ـ الى غير رجعة ـ عصر كانت للولايات المتحدة تساعد فيــه اسرائيل بدافع من (الالتزام الأخلاقى !) أو بسبب (الاعتبارات الانســانية !) ٠

ومن يستطيع الآن أن ينكر الموقع للذى ستبصره أية حكومة أمريكية لصالحها على جانبى الصراع العربى الاسرائيلى ، ان هـذا السبب هـو الذى يكمن وراء لهفة حكومة الرئيس كارتر على دفـع عجلة السلام الى الأمام ، فبدون السلام ستستمر الولايات المتحدة فى مواجهة اختيارات متضاربة بين اسرائيل وبين دول عربية انتصرت فى حرب أكتوبر وتملك الطاقــة والمـال وتبادر بالسلام للعادل وتقف فى وجه المـد الشيوعى فى المنطقة العربية والقارة الأفريقية ٠

يقول البروفيسور ستانلى هوفمان الأستاذ بجامعة هارفارد الأمريكية « ان التسوية ولا شيء غيرها هى التى تستطيع أن تدعم الخط السياسى القائم بين مجموعة الدول العربية المعتدلة وبين الولايات المتحدة » .

ان المبادرة المصرية لم تفشل ولن تفشل ، لأنها تأتى كل يوم بأثر أعمق ، لقد أعلن هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الأمريكية — مؤخرا وعلى سبيل المثال — أن مبادرة السلام التى قام بها الرئيس السادات قد كسرت الحلقة المفرغة التى كان يدور فيها الصراع العربى الاسرائيلى طوال ثلاثين عاما ، وأن المبادرة قد دفعت الولايات المتحدة واسرائيل معا الى اتخاذ مواقف جديدة ومواجهة ظروف متغيرة فى المنطقة العربية ، وأن التزام الولايات المتحدة بأمن اسرائيل يرتبط أيضا بقيام علاقات سلام بين اسرائيل وبين الدول العربية المجاورة لها .

ولقد تحققت المعجزة أخيرا وقبل انتهاء عام من المبادرة ، وتم فى (كامب ديفيد) — بعد ثلاثة عشر يوما متصلة من المحادثات الشاقة والمضنية على مستوى القمة المصرية والأمريكية والاسرائيلية — الاتفاق على (اطارين متكاملين) يمكن على أساسهما انهاء الصراع العربى الاسرائيلى وتحقيق السلام العادل والشامل فى الشرق الأوسط ، وكان هذا انجازا مفاجئا فاق كل التوقعات ، بل لم يكن قابلا للتصديق أو التخيل حتى قبل ساعات محدودة من اختتام المؤتمر .

ان المكاسب التى تحققت فى كامب ديفيد للعرب عامة وللفلسطينيين خاصة لم يكن من الممكن التوصل اليها فى عشرات السنين لولا أن مصر بحجمها ووزنها قد استطاعت بشجاعة واثقة أن تقتحم معركة السلام وهى لا تقل ضراوة ولا شراسة ولا قسوة

ولا مشقة عن معركة الحرب بكل ما تمثله من دمار وخراب واراقة دماء وسقوط شهداء ، كما استطاعت مصر بدأب واصرار وصبر ومثابرة أن تتوصل الى أسس لانهاء صراع لم يكن أكثر المتفائلين بالنسبة للقضية العربية أن يجدوا له حلا أو مخرجا ، وأن تحرك الموقف برمته تجاه التسوية الشاملة أكثر مما فعلت قرارات الأمم المتحدة مجتمعة ، وأن تحقق بهذه النتيجة فى هذه المرحلة قول الرئيس السادات عن مبادرة السلام « ان هذه المبادرة صاروخ متعدد المراحل » .

يقول الرئيس الأمريكى جيمى كارتر « لقد تعاظمت احتمالات السلام فى الشرق الأوسط بهذا الاتفاق على نحو يندر أن يكون قد حدث من قبل » .

ويقول نائب الرئيس الأمريكى والتر مونديل « ان مؤتمر كامب ديفيد كان من أهم الأحداث وأضخمها على الاطلاق فى العصر الحديث » .

كما يقول رئيس وزراء بريطانيا جيمس كالاهان « لقد خطا هذا الاتفاق خطوات عملاقة بعيدا عن الحرب بقدر ما تقدم خطوات عملاقة أخرى نحو السلام فى الشرق الأوسط » .

كذلك يقول رئيس وزراء ايطاليا جوليو اندريوتى تعليقا على هذا الاتفاق « ان من لم يقتنع اليوم فسوف يقتنع غدا » .

ويرى وزير خارجية فرنسا لوى دى جيرينجو أن اجتماع قمة كامب ديفيد الذى عقد بأسلوب لم يسبق له مثيل قد فتح مرحلة جديد أمام اقرار السلام فى الشرق الأوسط .

كما يرى سيروس فانس وزير الخارجية الأمريكية أن اطار السلام الذى تم اقراره فى كامب ديفيد يمكن الفلسطينيين من الحصول على حقوقهم السياسية الكاملة ٠

كذلك يرى هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط أن هـذا الاتفاق يعمل على تحريك عمليـــة سياسية من شأنها ن تدفع الى الأمام بكل الأهـداف العربية المشروعة بعـد أن وضع الأساس لتسوية عربية شاملة وعادلة ، وأن وثيقتى كامب ديفيد تقـدمان فرصة لم يسبق لها مثيل أمام شعوب الشرق الأوســـط ٠

ويعرب أندرو يونج مندوب الولايات المتحدة الدائم لدى الأمم المتحـدة عن اعتقاده بأن الشهور القادمة ستؤدى فى النهاية الى معالجة المسائل الخاصة بالضفة والقطاع والقـدس وسيناء والجولان أيضا ٠

ويؤكد حاييم بارليف رئيس الأركان الاسرائيلى الأسبق أن حكومة بيجين ـ بهـذا الاتفاق ـ تعـد أول حكومة اسرائيلية تعترف بالشعب الفلسطينى وتقر بحقوقه المشروعة ومنها حقـه فى تقرير مصـــيره ٠

ويصف مسئول أمريكى كبير هـذه النتائج بقوله « ان الأفعال تتحـدث الآن بصوت أعلى من الكلمات » ٠

وعلى صعيد الرأى العام العالمى يصف السيناتور جاكوب جافيتس العضو الجمهورى بمجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك ليلة توقيـــع الاتفاق بقوله « ان العالم والبشرية كلها قـد تنفست الصعداء ارتياحا فى هـذه الليلة بعـد النجاح الذى تحقق فى كامب ديفيد ، وذلك لأن الطريق الى السلام أصبح مفتوحا على مصراعيه » ٠

وتذكر صحيفة واشنطن بوست أنه الاتفاق الأول الذى يتم عليه الاتفاق منذ ثلاثين عاما ، وأنه انجاز رائع بمقياس آلام الماضى وبمقياس البديل المحتمل وهو اندلاع حرب أخرى تهدد الاستقرار العالمى ٠

وتشير صحيفة ايفننج نيوز تحت عنوان (فجر السلام) الى أن نتائج المؤتمر تتخطى جميع الآمال وتمثل (خطوة كبيرة للأمام) من أجل حل النزاع فى الشرق الأوسط ٠

وتؤكد صحيفة الأيام السودانية أن مصر تتحرك نحو السلام وفق استراتيجية سياسية دقيقة الحسابات وذات خطط تكتيكية ذكية ، وأن السلام آت لا ريب فيه ٠

وتدلل صحيفة يديعوت أحرونوت الاسرائيلية على أن الخاسر الأكبر من هذا الاتفاق هو الاتحاد السوفييتى ، بعد أن أصبح السلام فى الشرق الأوسط على مرمى البصر ٠

وتبرهن مجلة نين الأسبوعية اليوجوسلافية على أن الاتفاق أسفر عن خلق (عناصر ايجابية هامة) فى الشرق الأوسط ، وبدد امكانية نشوب حرب هائلة فى المنطقة ، وأصبح وحده موضع تقدير الغالبية فى عالم مدجج بالسلاح ٠

وتقول وكالة الأنباء اليوجوسلافية أن الاتفاق يعد (قاعدة صلبة جدا) من أجل ايجاد حل نهائى لمشكلة الشرق الأوسط والتوصل للسلام فى المنطقة والعالم ٠

وتصف لجنة (نوبل) التى منحت الرئيس السادات جائزة نوبل للسلام لعام ١٩٧٨ وثيقتى كامب ديفيد بأنهما انتصار لفكرة السلام فى هـذا الجزء من العالم ٠

ان هـذا الاتفاق يعنى فيما يعنى أننا نجحنا لأول مرة فى أن نبـدأ ديناميكية تغيير الأمر الواقع فى الضفة الغربية وقطاع غـزة بشكل يؤدى فى المستقبل المرئى الى أن يمارس الشعب الفلسطينى حـق تقرير مصيره واقامة دولته ، وذلك بعـد أن كان الاتجـاه هو الابقاء على السـيطرة الاسرائيلية على الضفة والقطـاع باستمرار احتلالهما وتطبيق القـوانين الاسرائيلية عليهما وزيادة وتوسـيع المستوطنات فيهما جنبا الى جنب مـع استمرار افراغهما من سكانهما الفلسطينيين ، فضلا عن أن ما ينطبق فى الاتفاق على سيناء سيكون أساسا لمـا سوف ينطبق على الجولان اذا ما استعدت سوريا التفاوض مـع اسرائيل ٠

ان هـذا الاتفاق يعنى فيما يعنى أن يكون لاسرائيل حـدود محـددة لا تقر لها التوسع ، وأننا بذلك قـد استطعنا لأول مرة تحجيم الدولة الصهيونية والتصدى لنواياها التوسعية ورغبتها فى تحقيق الاستعمار الاستيطانى الذى ظهر جليا فى عـدد المستوطنات التى كانت قـد أقامتها قبل هـذا الاتفاق فى الضفة والقطاع بل وفى سيناء والجولان ، وأن كامب ديفيد قـد شهد لأول مرة نهاية حلم (اسرائيل الكبرى) ٠

ان هـذا الاتفاق يعنى فيما يعنى امكانية التخلى عن واحـد من أهم وأخطر المبادىء المقـدسة فى العقيدة الصهيونية التى تقـوم عليها دولة اسرائيل وهـو عـدم الجلاء أبدا عن المستوطنات اليهودية التى تتم اقامتها فى الأراضى العربية المحتلة ، فلقـد كان الاستعمار

الاستيطانى فى فلسطين هو (جوهر العمل الصهيونى) أو (اكسير الحياة) كما وصفته جولدا مائير ، وهو الشئ الذى عكسته بعض اللافتات التى رفعها بعض المستوطنين الذين تظاهروا أمام الكنيست ضد الاتفاق والتى كانت تقول فيما تقول (الرؤية الصهيونية تنهار ـ لا صهيونية بدون مستوطنات ـ اخلاء المستوطنات اغتيال للصهيونية) .

يقول هنرى كيسنجر تعليقا على الاتفاق ن زعماء الدول العربية (الأخرى) قد اتخذوا المواقف التى اعتمدت أساسا على التصريحات البلاغية ولكنهم لم يحققوا شيئا ، فى حين أن الرئيس السادات قد حقق استعادة الأراضى العربية المحتلة والحقوق الفلسطينية المغتصبة .

كما يقول هارولد سوندرز أن الرئيس السادات ومصر يمكنهما أن ينالا فخرا عظيما حيث أن اطار العمل الذى تم الاتفاق بشأنه قد أولى اهتماما كبيرا واستجابة لكل اهتمامات العالم العربى .

ويرى باتريك كورماك النائب البريطانى أن ما قام به الرئيس المصرى يجب أن يكون مثلا مشرقا يتعين على قادة الدول أن تحتذيه ، وأنه بدون المبادرة الشجاعة التى قام بها السادات الى القدس لما أمكن لمؤتمر كامب ديفيد أن يتحقق أو يتمخض عن مثل هذه النتائج الحاسمة لصالح السلام فى الشرق الأوسط والعالم .

ويصف شيمون بيريز للرئيس السادات بأنه زعيم قادر على اتخاذ القرارات الكبرى .

ويعلق والترمونديل بقوله « ان الحكمة السياسية للقائد المصرى قد أتت ثمارها » .

ويعلن الملك الحسن الثانى أن سياسة مصر فى السعى نحـو السلام العادل والشامل فى المنطقة تنطلق من مقررات مؤتمر القمـة العربى فى الرباط الذى وصفه بأنه كان (مؤتمر السلام للقمة العربية) حيث وضع العرب فيه شروطهم للسلام والتى يحققها الرئيس السادات منذ المبادرة وفى اتفاقيتى كامب ديفيد وهى انسحاب اسرائيل من كل الأراضى العربية المحتلة واقرارها بالحقوق المشروعة للشـــعب الفلسـطينى .

ويؤكد الرئيس جعفر نميرى أن نتائج كامب ديفيد هى امتداد فعلى لقرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، ومخرج عملى لتنفيذ هـذا القرار الذى حـدد مقومات السلام الدائم والعادل والشامل فى المنطقـة ، وأن ترتيبات السلام التى توصل اليها الرئيس السادات هى خطوة هامة وفى الاتجاه الصحيح ، وأن التكتيكات العربية القـديمة لم تؤد الا الى الانتكاســات .

يقول الرئيس السادات فى كلمة التهنئة التى وجهها من دار السفارة المصرية فى واشنطن الى الشعب المصرى والأمة العربية عقب توقيع الاتفاق فى البيت الأبيض الأمريكى « تهنئة من كل قلبى الى كل رجل وكل امرأة ، وكل شاب وكل فتاة ، وكل طفل وكل طفلة على أرضنا الطيبة ، تهنئة لأبنـائنا وفلذات اكبادنا أفراد القـوات المسلحة الذين أدوا دورهم وقاموا بواجبهم ودفعوا الثمن الذى نجنى اليـوم ثمـــاره » .

ولقـد أجمعت وكالات الأنباء العالمية على أن استقبال الأبطـال المنقطع النظير الذى لقيه الرئيس السادات على أرض وطنه يعكس تأييد شـعب مصر بأجمعه لاتفاق السلام الذى تم التوصل اليه بما يمثل استفتاء شعبيا حرا وتلقائيا على هـذا الاتفاق .

ولقـد تسابقت الهيئات والمؤسسات الدولية المختلفة وما زالت تتسابق على تكريم الرئيس السادات تقـديرا منها لمبادرته (من أجل السلام فى الشرق الأوسط والعالم) ٠

لقـد أعلنت جامعة فلتشر أقـدم جامعة أمريكية فى القـانون نبـأ اختيار الرئيس السادات أستاذا بها لأنه ـ على حد اعلان الدكتور رايان أستاذ القانون بها أمام الرئيس للسادات فى القاهرة ـ قـد أعطى العالم كله درسا فى للقانون للدولى والعلاقات الدولية ٠

كما قررت جامعة كارولينا منح الرئيس السادات درجة الدكتوراه الفخرية فى القانون تعبيرا عن تقـدير المجتمع العلمى الأمريكى لجهوده من أجـل اشاعة السلام وسيادة القانون ٠

كما قدمت جامعة ونبرج أقدم جامعات السويد الميدالية التذكارية لعام ١٩٧٧ للرئيس السادات ، وهى المرة الأولى التى تمنحها لشخصية عالمية غير سويدية ، وذلك تقـديرا منها لمبادرته من أجـل سلام الشرق الأوسط والعالم ٠

كذلك أرسلت مدينة فيليت بولاية ميتشجان الأمريكية مفتاح المدينة للرئيس السادات تعبيرا عن تأييدها لمبادرته الخلاقة التى حظيت بالاعتراف الذى تستحقه ٠

كما منح المركز الثقافى للبحر المتوسط فى مدينة باليرمو (عاصمة جزيرة صقلية) الايطالية وسام غصن الزيتون الفضى للرئيس السادات اعترافا بجهوده من أجل تثبيت فكرة السلام فى الشرق الأوسـط والعـالم ٠

كذلك اختيارت رابطة مناهضة الشيوعية فى مالطة ـ بالاجماع ـ للرئيس السادات للحصول على ميداليتها الذهبية تقديرا للدور الذى قام به (البطل الحقيقى للقضية العربية) والذى بذل من أجله (أقصى ما يستطيع البشر) ٠

كما اختار مجلس ادارة هيئة جائزة الكوكب الذهبى للدواية للسلام ـ بالاجماع ـ الرئيس السادات للحصول على الجائزة لعام ١٩٧٨ تقديرا لجهوده فى خدمة السلام العالمى والتعاون الدولى ٠

كذلك منحت جمعية عائلة الانسان فى مدينة نيويورك الأمريكية ميداليتها الذهبية لعام ١٩٧٨ للرئيس السادات تقديرا للانجاز الكبير الذى حققه فى خدمة قضية السلام العالمى ٠

كما منح المجلس العالمى لحركة الكنيسة الميثودية البروتستانتية فى ولاية كارولينا الأمريكية ميداليته الذهبية للسلام للرئيس السادات، وهى المرة الأولى التى يمنحها لشخصية عالية غير مسيحية ، وذلك تقديرا لما أبداه من شجاعة وقدرة على الابداع والمثابرة فى قضية السلام ٠

كذلك منحت مجلة هيرو فونك للاذاعة والتليفزيون الألمانى الغربى جائزتها الذهبية للرئيس السادات باعتباره الشخصية التى أجمع مستمعوا الاذاعة ومشاهدوا التليفزيون على أنها أهم شخصية عالمية برزت فى برامج الاذاعة والتليفزيون الألمانى خلال هذا العام ٠

كما أعلنت لجنة نوبل النرويجية المنظمة لجائزة نوبل للسلام ـ بعد ترشيح الرئيس السادات من جانب الأفراد والهيئات والمؤسسات

الدولية التى فازت بالجائزة لأعوام سابقة وأصبح لها حـق الترشيح ـ فـوز الرئيس السادات بالجائزة لعام ١٩٧٨ ، وهى المرة الأولى التى تمنحها لشخصية عربية ، وذلك اعترافا من كل شعوب العـالم المحبة للسلام بقيمة العمل الذى تم انجازه منذ زيارة القدس التاريخية ، وتشجيعا على بذل مزيد من الجهود من أجل التوصل الى حلول عملية تجعل من آمال التوصل الى سلام دائم وعادل وشامل حقيقة واقعة ٠

وها هـو ابن مصر ابن الأرض الطيبة ابن حضارة آلاف الأعوام ، بكل أصالة النيل وعراقته وحركته وهـدوئه بكل ما يحمله نخيل الوادى من عطاء وكبرياء بكل ما تحمله المعابد والأهرامات من قـدرة على تحدى الزمن بكل ما يحمله فلاح مصر من ذكاء فطرى وبعـد نظر ، يقف الرئيس السادات ابن الصبر والصمت ، صبر المؤمن بربه وصمت الواثق من شعبه ، يستثمر بمهارة ما حققه نصر أكتوبر المجيد ، ويسبق الأحداث ويفاجىء العالم ويشد انتباهه من أقصى الشرق الى أقصى الغرب ويبادر بالسلام ويراهن على الدور الأمريكي ويدفع الولايات المتحدة ورئيسها الى أن يراهنا على مركزهما ويتجاوب مـع نداءات عقولنا وقلوبنـا ويسافر بنا فى قافلة السلام وعلى طريق السلامة نحـو غـد أفضل باذن اللـه ٠

لقـد عالج اتفاق كامب ديفيد ـ فى اطاريه المتكاملين ـ عموميات الصراع بيننا وبين اسرائيل ، وبقى أن نبحث التفاصيل وعلى رأسها ضرورة وكيفية الربط الصريح والواضح فى جدول زمنى محدد ومتوافق بين انجاز مراحل الانسحاب من سيناء ، وبين احراز تقدم فى قضية الضفة الغربية وقطاع غزة لحل المشكلة الفلسطينية لب الصراع فى الشرق الأوسط خلال مدة محددة من الزمن ، وعلى أساس من نص وروح اطارى الاتفاق الكامل والمتكامل فى كامب ديفيد ، والذى يجب أن ينفذ دفعة واحدة رغم (تكتيكات) مناحم بيجين ومطالب وفده فى مفاوضات (بلير هاوس) الجارية فى واشنطن بتغييرات تتسم بالمراوغة فى محاولة لاستدراج مصر الى عقـد صلح منفرد أو اتفاق جزئى يخالف

نص وروح الاتفـــاق ، ورغم تعليماته الى الوفـــد الاسرائيلى فى المحادثات بأن يجعل أسلوب التفاوض (فضفاضا) الشىء الذى دعـا صحيفة جيروزاليم بوست الاسرائيلية الى وصف الطريقة التى تتفاوض بها اسرائيل بأنها طريقة (خرقاء للغـاية) ، والذى دعا مائير يانيـل النائب الاسرائيلى الى أن يعلن أن المناورات التى تستهدف توجيـه ضربة قاضية لجهود السلام مستمرة بصورة (سافرة ووقحة) ٠

ان محاولات المفاوض الاسرائيلى المتوالية التى تجرى لاستفزاز المفاوض المصرى ، ودفعه الى التخلى عن مفاوضات السلام ، واستدراجه الى موقف انفعالى لا يصل اليه بارادته هـو ، وبمبادرة منه ، هى التى دعت الرئيس السادات الى أن يصف معركة السلام بأنها معركة دبلوماسية وسياسية وحضارية جـديدة ، وبأنها أخطر وأصعب وأشرس من معركة السلاح ٠

ان مراوغات اسرائيل قـد وصلت الى حـد انكارها مطلب الربط بين الاطارين المتكاملين مدعية أنه مطلب مصرى جـديد ، والى حـد مطالبتها بأن تكون لالتزامات مصر تجاه اسرائيل فى ظـل معاهـدة السلام الأولوية على التزاماتها التعاقدية الحالية والمستقبلية تجاه شقيقاتها العربيات ، والى حـد مطالبتها كذلك بمعاملة تفضيلية بحيث يكون لهـا أولوية لشراء فائض بترول مصر ، والى حـد رفضها للنص على امكانية اعادة النظر فى بعض نصوص هـذه المعاهـدة بنـاء على طلب أى من الطرفين غافلة أو متغافلة عن قـواعد القانون الدولى وميثاق الأمم المتحدة اللذين يؤكدان على ضرورة اعـادة النظر فى نصوص المعاهـدات اذا حتمت الظروف ، وناسية أو متناسية أن مطالبها هـذه تتعـارض وتتناقض مـع ما تنادى به وتصر عليـه من (تطبيع العلاقات) بينها وبين مصر ٠

ان مناورات اسرائيل قـد وصلت الى حـد الثورة المصطنعة التى

افتعلها قادتهاابتداء منمناحم بيجين زعيمهاالمبجل ونجمها المفضل ازاء مقالات صحفية فى صحف مصرية يعبر فيها أصحابها عن وجهات نظرهم الشخصية ، ورغم مما يثيره هـذا التصرف من عجب لمن يريد تطبيع العلاقات أو لمن يريد معرفة الرأى الآخر فى مصر أو لمن يزعم الديمقراطية لنفسه ولا يقبلها من غيره •

لقـد دعا تخـوف صحيفة جيروزاليم بوست الاسرائيلية من فشل المفاوضات الى أن تقـول « ان على مناحم بيجين أن يدرك أن فشله فى تحقيق السلام مع مصر التى تحظى بتأييد الولايات المتحدة سيكون نتيجة حتمية لقصر نظره ، وسيثبت بعـد ذلك فشل سياسة اسرائيل التى يعتقد بعض زعمائها أن الموقف المتجمد يوفر لهـا الأمن المطلوب لأنه على العكس من ذلك فان أمن اسرائيل يتوقف على قدرتها على الاستفادة من الفرصة المتاحة لهـا حاليا لتحقيق انجاز تاريخى » •

ولكن مناحم بيجين يدرك تمام الادراك ـ رغم محاولاته التجديف ضـد التيار أحيانا ولو لبضعة سنتيمترات ارضاء للمتطرفين فى اسرائيل ـ أن العالم كله ـ بما فيه الولايات المتحدة ـ يقف الى جانب مصر الشىء الذى دفعه فى المقام الأول الى توقيع الاتفاق فى كامب ديفيد ، والذى علله أمام الكنيست بقـوله « ان اسرائيل لا تستطيع أن تقف وحـدها فى جانب ، والعالم كله فى جانب آخر » •

ان دوام السلام فى الشرق الأوسـط لن يتحقق الا بعـدالته وشموله ، ولن يتأكد الا باستعادة الشعب الفلسطينى لحقوقه المغتصبة وأهمها حقـه فى تقرير مصيره ومستقبله وتحقيق ذاته وهـويته ، وأى معاهـدة سلام لا تضع يدها على مصدر الداء لن يكون وراءها سلام ، ولكى تكون معاهـدة السلام بين مصر واسرائيل معاهـدة سلام حقيقى يتعين أن تحتوى فى مضمونها على عناصر بقائها واستمرارها

بحيث يتحقق الربط بين مختلف أجزائها ومكوناتها فى توافق كامل واتساق متكامل •

يقول الرئيس السادات لمندوبى التليفزيون الفرنسى تعليقا على مواقف مناحم بيجين « لقد أنجزنا (فى كامب ديفيد وفى بلير هاوس) أكثر من تسعين فى المائة من الحلول ، ومهما كانت الجهود المطلوبة لاتمام نسبة العشرة فى المائة المتبقية ، فاننى سأضطلع بها وتستطيعون الاعتماد على ، وعندئذ سوف يسير كل شىء كما نحتاج وكما نريد ، فاننى متفائل رغم كل الصعوبات ، وأكرر القول : فلتكن حرب أكتوبر هى آخر الحروب » •

ولقد صدق الله وعده ونصر عبده ، وحقق نبوءته ورد عليه تفاؤله ، وتأكدت شهرة الرئيس السادات بالوفاء بما يعد وبأنه دائما (يعنى ما يقول) ، وتحققت (مرحلة هامة لصاروخ المبادرة المتعدد المراحل) على حد تعبيره ، وتم فى واشنطن توقيع (معاهدة السلام) ، وسار كل شىء كما نحتاج وكما نريد •

ولم يكن هذا النجاح الذى حققته مصر بوضع الأمة العربية على أول الطريق الى السلام بالأمر السهل أو الهين ، وانما جاء نتيجة جهد وصبر أمام رواسب وتراكمات كان مجرد زحزحتها أمرا أقرب الى الخيال والوهم ، ولكن بالايمان بالله وبالثقة بالشعب نجح السادات فى أن يتوصل الى ما لم يستطع غيره على مدى ثلاثين عاما أن يتوصل اليه أو حتى يقترب منه •

لقد توصل الرئيس السادات الى معاهدة تشكل أساسا عمليا للسلام لا بين مصر واسرائيل فحسب ، بل بين اسرائيل وكل من جيرانها العرب الآخرين ، كما ترسى قواعد قانونية يمكن الاستفادة منها فى أية اتفاقات بين اسرائيل وأى من دول المواجهة العربية

الأخرى ، كما يمكن أن تكون حـدا أدنى يستطيع كل من يتقدم للتوقيع على معاهـدة أخرى أن يبدأ منه ويضيف اليه ٠

ان قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ، وهـو القرار الذى قبلته جميع الدول العربية والأساس الذى اعتمدت عليه نصوص كامب ديفيد ثم معاهـدة السلام ، قـد تحققت شرعيته وتأكدت قيمته نتيجة لابرام هـذه المعاهـدة ، وانتهى الخلاف الشهير حـول تفسير هـذا القرار الأشهر وهـل يعنى الجلاء عن (الأراضى المحتلة) وفقا للتفسير العربى والدولى أم عن (أراض محتلة) وفقا للتفسير الاسرائيلى ، وقد توصلت مصر بهـذه المعاهـدة الى أن هـذا القرار يعنى الجلاء عن كل الأراضى المحتلة وهـو المعنى الذى قبلته اسرائيل فى النهاية بعـد أن كانت ترفض مجرد الاعتراف بحـدود محـددة لها ٠

ثم ان مبدأ عدم جواز الاستيلاء على الأراضى عن طريق الحرب ، وهو مبدأ بدأ تطبيقه على سيناء،هو المبدأ الذى سوف ينطبق على كافة الأراضى العربية المحتلة وفى مقدمتها القـدس العربية التى هى جزء من الضفة الغربية ، والتى صنع منها الرافضون فى (حلف بغـداد) الجـديد (قميص عثمان) آخر ، ومصر مستعدة لأن تأخـذ دور الشريك الكامل فى أية مفاوضات قادمة بين اسرائيل وأى من دول المواجهـة العربية الأخرى ، ومستعدة لمساعدة جميع هـذه الدول فى سـبيل تحقيق الانسحاب الكامل من كافة الاراضى العربية المحتلة بما فيهـا القـدس العربية ،فضلا عن تحقيق الحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى فى اقامة دولته العربية المستقلة ٠

ان عـودة سـيناء بموجب هـذه المعاهـدة تشـكل مصلحـة استراتيجية عسكرية وسياسية واقتصادية لمصر والعرب ، ولن يؤدى استمرار احتلالها الى حـل قضية فلسطين ، ان تحرير سيناء هـو تحرير لأرض عربية ، ورفع العلم المصرى عليها هـو انتصار للقضية

العــربية ، ثم ان مصر لا تكسب من وراء رهن ســيناء فى أيدى اسرائيل ، بل ان عـودتها سوف تشكل اسهاما فى حـل مشـاكل الاسكان والغـذاء عندها ، كما أن تعميرها المرتقب سوف يمثل تحـديا حضاريا بل ومصيريا لأن عزلة سيناء عن الوادى على مر التاريخ جعلتها دائما مكمن الخطر ومعبر التتر ، فضلا عن أن عـودتها بالكامل وحتى حـدود مصر الدولية بجميع منشآتها ومستوطناتها ومطاراتها وطرقها سليمة سوف تشكل سابقة يمكن الاعتماد عليها فى أية اتفاقات جديدة بين اسرائيل وأى من دول المواجهة العربية الأخرى وفى مقـدمتها ســوريا •

يقول الفريق أول كمال حسن وزير الدفاع « ان معاهدة السلام تشكل اضافة طيبة للقـدرة العسكرية المصرية بعـد أن وفرت الكثير من الدماء والعتاد الذى كان من الممكن أن يهـدر فى حالة تحرير بقية سيناء بالقوة العسكرية ، بالاضافة الى أن المعاهدة ستعطى لمصر فرصة أفضل لاختيار المواقع المناسبة للدفاع عن نفسها وعن أشقائها ، كما ستعطيها الفرصة لالتقاط الأنفاس واعادة بناء قواتها المسلحة على أحـدث أسلوب عصرى » •

لقـد كان احتلال سيناء يخيم بظله على الجانب النفسى لحياة كل مواطن حر غيور ملتزم بالذود عن كرامة مصر وشرفها ، ويمتـد بشبحه على جهدنا الوطنى والقـومى لأنه يهدد أمننا واستقرارنا ويؤثر على تنميتنا وتقـدمنا ، وهـو الذى فرض على مصر ما قبل أكتوبر قبول ارتباطات دولية غير متوازنة ما كان لمصر أن تقبلها فى ظروف النصر الذى يأتى بالسلام •

أما عن عـودة الجـولان بدون حرب فانها تتوقف على رغبـة أصحابها فى الســلام ، ولقـد عبر موشى ديان وزير الخارجيـة الاسرائيلية عن هـذا الاتجاه عندما أعلن أن اسرائيل سوف تتخلى

عن الجـولان من أجـل التوصل الى سلام مـع سوريا ، وأن السيادة المصرية على سيناء والسيادة السورية على الجـولان معترف بهما دوليا ولم تكونا أبدا موضع نزاع •

ثم أن انفراج أزمة لبنان يكمن فى اطار ما أنجزته مصر من اتفاقات تؤدى الى حـل المشكلة الفلسطينية من جميع جـوانبها ، والى اقامة الدولة الفلسطينية لكل الفلسطينيين فى الضفة والقطاع وفى الشـتات •

ان مصر وهى تناضل فى سبيل تحرير الأراضى العربية المحتلة وانتزاع الحقوق الفلسطينية المغتصبة عن طريق المفاوضات تدفع لبنان بالتبعية الى وضع نهاية لحمام الدم فيه ، كما تدفع اسرائيل بالتبعية كذلك الى التخلى عن أحلامها التوسعية فى جنوب لبنان ، والى القبول أخيرا بما يريده كل العرب •• وهو سلامة لبنان ووحدة أراضيه •

ان معاهـدة السلام بين مصر واسرائيل تعطى للفلسطينيين بعـد الفترة الانتقالية الموقوتة ـ فترة الحكم الذاتى الكامل ـ حـق تقرير مصيرهم وتأسيس دولتهم ، ولقـد أصبح على الفلسطينيين بعد ابرام هـذه المعاهـدة اما أن يسايروا ركب الرفض التائه والضارب فى متاهات الصحراء أو أن يمارسوا حقهم فى التفاوض لقيام الحكم الذاتى الكامل لفترة انتقالية موقوته تمهيدا لتقرير مصيرهم ، ولتحويل نضالهم اللامعقول والمنطلق الآن من الفراغ والخـواء والتيه والضياع والمتجه بالمصالح الضيقة والمناورات الرخيصة الى المجهول بكل ظلامه الدامس الى نضال آخر عقلانى وملموس ومستند الى معاهدة مكتوبة ومضمونة وموقع عليها ومعترف بها •

ان نجاح المفاوضات الخاصة بالضفة الغربية وقطاع غزة يتوقف على ضرورة أن يتأكد الفلسطينيون من أنه سوف يكون فى وسعهم

مى لقريب العاجل اتخاذ الخطوة الاولى نحو تقرير مصيرهم واقامة دولتهم ، ثم ان التحقيق الكامل لمطالب الفلسطينيين قد أصبح الآن يتوقف بصورة أساسية على اتفاق رغبتهم فى التفاوض ، واستعادة سيناء نموذج عملى أمامهم لسلامة مبدأ الحوار المباشر •

لقد استطاع المفاوض المصرى بجهده المنفرد ، وبغير دعم عربى أو فلسطينى ، وبرغم كل المناورات الاسرائيلية والمعوقات العربية ، أن يجعل اسرائيل توقع اتفاقا يعترف للشعب الفلسطينى بحقه فى الحكم الذاتى الكامل فى الضفة والقطاع لفترة انتقالية محدودة يختار خلالها نظام الحكم الذى يرتضيه بنفسه ولنفسه ، ومع ذلك فان المفاوض المصرى يعترف بأن هذا الذى توصل اليه مع اسرائيل والولايات المتحدة رغم أهميته لا يحل جوهر المشكلة الفلسطينية وانما يضع أطرافها على أول الطريق الصحيح الذى يؤدى الى حلها ، واذا كانت مصر قد حاربت نيابة عن العرب فانها لن تستطيع وحدها أن تقوم بحل نهائى للقضية ، ان الدولة الفلسطينية المنشودة ليست هدية يمكن أن تحملها مصر فى علبة ملفوفة بالورق الملون والأشرطة المذهبة لتقدمها للذين يرفضونها ، ولكن الدولة الفلسطينية هى نهاية لطريق مفروش بالكفاح يبدأ من داخل الضفة والقطاع ومن خارجهما ، وطريق الألف ميل يبدأ بخطوة واحدة كما تقول الحكمة الصينية ، ان تاريخ القضية الفلسطينية سجل من الفرص الضائعة ، وأسهل أنواع الكفاح أن يسرق القادة زمان شعوبهم فى الرفض والتسويف والمماطلة ، ومن حق أى عربى أن يسأل نفسه أيهما أشرف وأفضل : الكفاح فى أروقة الأمم المتحدة من أجل استجداء قرار (يدين) المستوطنات الاسرائيلية أم الكفاح من أجل معاهدة (تزيل) هذه المستوطنات ؟ كفاح عربى ينتهى بالادانة أم كفاح مصرى يبدأ بالازالة ؟ •

ولقد أصبح على منظمة التحرير الفلسطينية أن تعلن قبولها لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ مع وضع التحفظات التى تريدها ، أو أن

تتجاوب مع الجهود الدولية المبذولة الآن لبحث امكانية تعـديل القرار أو تغييره بقرار آخر يعالج تحفظاتها وملاحظاتها ، وذلك اذا كانت المنظمة حقا تريد أن تشترك فى التفاوض ممثلة لكل الشعب الفلسطينى فى الضفة والقطاع وخارجهما بعـد أن أعطتها معاهـدة السلام هـذه الفرصـة الحقيقية ٠

ولقـد ارتفعت أصوات عاقلة كثيرة فى اسرائيل ترى وجـوب التعامل مـع منظمة التحرير الفلسطينية لتثبيت السلام فى الشرق الأوسط ، وتعترف بأنه لن يكون هناك حسم للقضية بدون موافقـة المنظمة ، وتدعـو الحكومة الاسرائيلية الى ادراك هـذه الحقيقة وعدم اغفالها ، وتنصح بفتح الحـوار معها بدلا من الاكتفاء بالحـديث عنها ، وتؤكد أن التعامل بين اسرائيل والمنظمة بصورة مباشرة هـو أقصر طريق لاحلال هـذا السلام المنشود ٠

يقول موشى ديان وزير الخارجية الاسرائيلية أن اسرائيل لن تسـتطيع تجاهل منظمة التحـرير الفلسطينية عندما يحين موعـد المحادثات حـول المشكلة الفلسطينية فى اطار عملية التسوية الشاملة التى تأتى بعـد توقيع معاهـدة السلام بين مصر واسرائيل ، وأن المنظمة ليست دولة ولكننا لن نقـدر على تجاهل موقفها أو قيمتها فى معطيات النزاع القائم اذا أردنا التوصل الى اتفاق ، وأنها منظمـة مدنية يرتبـط وجـودها باستمرار وجـود مشـكلة اللاجئين الفلسطينيين ٠

ولقـد أضاعت منظمة التحرير الفلسطينية ، فى مجال الاعتراف بها ودون أن يطلب منها الاعتراف باسرائيل ، فرصة تاريخية نادرة عندما رفض قادتها دعـوة الرئيس السادات لحضور اجتماع القـاهرة التحضيرى ليجلسوا على قـدم المساواة والى نفس المـائدة التى يجلس اليهـا ممثلو الولايات المتحدة وممثلواسرائيل وتحت علمها الذى أشار الرئيس السادات برفعه على مقر المؤتمر الى جانب علميهما ٠

وكما أنه لا يمكن تجاهل منظمة التحرير الفلسطينية والشعب الفلسطينى الذى يعيش فى الشتات فان منظمة التحرير الفلسطينية لن تستطيع على المدى الطويل أن تتجاهل رغبة سكان الضفة الغربية وقطاع غزة فى أن يتدبروا شئونهم ويشكلوا مستقبلهم بأنفسهم ٠

ان تهـديدات العناصر المتطرفة فى منظمة التحرير الفلسطينية للفلسطينيين الذين يعيشون فى الضفة والقطاع ، والذين يرغبون فى السلام أكثر من أى شـعب آخر ، والذين يريدون التفاوض لقيـام الحكم الذاتى الكامل لفترة انتقالية موقوتة تمهيدا لتقرير مصيرهم ، بالاشتراك مع تهـديدات دول الرفض العربية بعزل مصر ومقاطعتها وفرض العقوبات عليها ، لن تؤدى بالتأكيد الى تحقيق آمال الشـعب الفلسطينى المنكود ببعض أبنائه وتجاره ٠

كما أن منظمـــة التحرير الفلسطينية يجب ألا تتجاهل هـــذه النداءات العالمية التى تنصح للفلسطينيين الذين يعيشون فى الضفة والقطاع بأن يضعوا أهـدافهم من خلال تمثيل جـديد وايجابى يدفع العالم كله الى قبول مطالبهم باعتبارها مطالب شـعب متشوق بصورة حقيقية للسلام وليست مطالب فلسطينيين معروفين لدى البعض بأنهم جماعات ارهابية وسلبية تتجر بالقضية وتقـدم الخـدمات لمن يدفع الأكثر حتى ولو كان الشيطان ، وحتى ليقال أن معظم القادة العرب من الرافضين على حـق لأنهم ــ مثـل اسرائيل ــ يتخوفون من فكرة اقامة كيان فلسطينى يسانده الاتحاد السوفيتى فى المنطقة العربية ٠

ان على منظمة التحرير الفلسطينية الا تتصور التحرير فى صورة الثأر الذى لا يستوجب الحـذر ، أو فى صورة الحرب التى لا تبقى ولا تذر ، ان على منظمة التحرير الفلسطينية أن تتوصل الى طرح خط سياسى معقول ومقنع تحقق به أهـدافها على مراحل بنفس الطريقة التى حققت بها الحركة الصهيونية أهـدافها وليس عيبا أن تتعلم من

اعـدائها ، وأن ترعى الله فى هـؤلاء اللاجئين الذين يتكاثرون فى المخيمات وفى هـؤلاء الضحايا الذين يفنون شبابهم وعمرهم فى سـجون اسرائيل •

ان المؤتمر الأمريكى الفلسطينى الجـديد ، وهـو منظمة تجمع المنظمات المفتتة للأمريكيين والكنديين من أصـل فلسطينى ، يمكن أن يكون على سبيل المثال بداية تطـور الى قـوة ضغط سياسية مثلما كان الحال للجنة العلاقات العامة الأمريكية الاسرائيلية التى تعرف فى الولايات المتحدة باللوبى اليهودى ، ويبدو أن اختيار منظمى هذا المؤتمر لفندق بلتيمور فى نيويورك لاجتماعهم الأول يمثل تصرفا مماثلا لما فعله اللوبى اليهودى الذى أعلن فى مثل هـذا الاجتماع ومن نفس هـذا الفندق تأييده لاقامة الدولة اليهودية ، وكان هـذا فى عـام ١٩٤٢ •

ان القاء قنبلة هنا أو هناك لن يترك أثرا ايجابيا فى عقـل الشارع الاسرائيلى ولن يحـدث تأثيرا فعالا فى حـل القضـيـة الفلسطينية ، ان القاء قنبلة هنا أو هناك لن يحقق توازنا بين الوسائل والأهـداف ، ان وسائل أخرى غير هـذا (العنف الضعيف) كان من الممكن أن تدفع الاسرائيليين الى ادراك مدى قـوة عزيمة الفلسطينيين ومدى قـوة قيادتهم وتنظيمهم ، خصوصا وأن عشرات الآلاف من الفلسطينيين يجرى استخدامهم فى مجالات بناء الاقتصاد الاسرائيلى كأيد عاملة رخيصة ، بل ان معظم المستوطنات الاسرائيلية فى الضفة والقطاع قـد تم بناؤها بواسطة الفلسطينيين ، بينما يلقى اخـوانهم فى منظمة التحرير الفلسطينية بقنابل ورصاصات تكاد تكون فارغة •

لقـد دعا المعلق الأمريكى ستيفن روزينفيلد فى مقال نشرته صحيفة واشنطن بوست الأمريكية منظمة التحرير الفلسطينية الى المبادرة باعلان وقف اطلاق النـار مـع اسرائيل لفترة محـدودة يستطيع

للرئيس الأمريكي والولايات المتحدة خلالها أن يمارس الضغط على اسرائيل لكي تستجيب بصورة ايجابية للأماني الفلسطينية ، وهو ما يؤدي الى حصول المنظمة في نفس الوقت على الاعتراف السياسي الامريكي الذي تسعى اليه ، وقال روزينفياد أنه حتى اذا فشلت هذه المبادرة في تحقيق ثمارها خلال فترة معقولة فانها ستمكن المنظمة على الأقل من أن تزعم أنها اختبرت الطريقة الأمريكية وسيكون العبء بعد ذلك على الولايات المتحدة لمتابعة سياستها ، وأكد روزينفيلد أن الكثير من الأمريكيين يحترمون رغبة الفلسطينيين في اقامة دولة خاصة بهم ومع ذلك فان هؤلاء الأمريكيين تضايقهم أعمال العنف التي تمارسها المنظمة وخاصة تلك الأعمال التي توجه معظمها الى المدنيين وهو ما يضاعف صعوبة اقناع الاسرائيليين بأنه ينبغي عليهم أن يتوصلوا الى تفاهم مع القومية الفلسطينية ، وأشار روزينفيلد الى أن شيئا هاما قد حدث في الرأى العام الأمريكي لم يلحظه الفلسطينيون بصورة كاملة وهو أن مطامحهم القومية قد حظت باعتراف الولايات المتحدة ، غير أن المنظمة ما زالت غير قادرة بأسلوبها الحالي على احراز تقدم للحصول على ما تقول المنظمة أنها تريده وهو الاعتراف السياسي حيث تحول العنف بالنسبة للمنظمة الى هزيمة ذاتية ، وتساءل روزينفيلد عن الاساس المنطقي لممارسة المنظمة للعنف في هذه المرحلة الجديدة في الشرق الاوسط ، ان العنف (عسكريا) ذو تأثير تافه ، فكيف نقول أنه (سياسيا) سوف يساعد الفلسطينيين ، واذا كان العنف يساعد على جعل المسألة الفلسطينية (ساخنة فقط وبدون حل)فان معنىذلك أنينتصر الشعارعلى الاستراتيجية ،وأكد روزينفيلد أن الاسرائيليين سوف يتعرضون لضغوط ضخمة وأن وقفا لاطلاق النار لفترة معقولة سوف يساعد على وضع النفوذ الأمريكي وراء أهداف منظمة التحرير الفلسطينية •

وتؤكد صحيفة واشنطن بوست الأمريكية في تعليق آخر لها أن الرئيس الأمريكي مقتنع بعدالة القضية الفلسطينية ، وهو مصر

على بذل الجهد المخلص لحلها ، وهـو مؤمن بأن المصالح الأمريكية تتطلب السعى الى هـذا الحل ، وأنه سوف يحـاول كسب ثقـة الفلسطينيين ، وسوف يسعى لتحقيق تسوية سلمية لمشكلتهم بفضل الثقـة التى اكتسبها لدى أطراف أخرى ، وأنه قـد انتهج لحل هـذه المشكلة منهجا عمليا اتسم بالطابع الاخلاقى ، وانه قـد اتجـه بذلك الى حيث يرغب معظم الأمريكيين".

ويقول الفريد أثرتون السفير الأمريكى المتجـول فى الشرق الأوسط ، والذى أصبح سفيرا لبلاده فى مصر مؤخرا ، أن معاهـدة السلام بين مصر واسرائيل تهيىء الفرصة للولايات المتحدة للتركيز على السعى لتسوية المشكلة الفلسطينية لأن الاستقرار فى منطقة الشرق الاوسط أمر مستحيل بدون تسوية هـذه المشـكلة التى تعتبر محـور النزاع العربى الاسرائيلى ، وأن الولايات المتحدة مصممة على أن تجعل من هـذه المعاهـدة الأساس لسلام أكبر وأشمل ، ولن تدعها تتحول الى سلام منفرد .

ويقول هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الأمريكية لشئون الشرق الأوسط أن الفلسطينيين لهم كل الحـق فى تقرير مصيرهم ، وأن الولايات المتحدة مصممة على جـدية المفاوضات الخاصة بالقضـية الفلسطينية ، وأن هـذه المفاوضات ينبغى أن تؤدى الى نتائج تحترم المطالب العـادلة والحقوق المشروعة للشعب الفلسطينى .

ان حقوق الفلسطينيين وقـد أصبحت محـددة المعالم فى عقـل الولايات المتحدة وعينها توضح مدى افتقار الرافضين للسلام للجـدية فى مواقفهم وهم الذين كانوا فى يوم من الأيام يعتبرون أن وصـول التصور الأمريكى للحقوق الفلسطينية الى ما وصل اليه الآن هـو مجرد افتراض بعيد المنال ، ولكن أيا كانت الدوافع وراء هـذه المواقف التى تعبث بالمصالح الفلسطينية خاصة والعربية عامة فيكفى مصر فخرا أنها لم تترك نفسها تنزلق الى منحـدر الذين يفتقدون مجرد الصـدق مع

انفسهم ، ومن ثم يبقى الموقف المصرى وحـده حائلا دون انزلاق المصالح الفلسطينية والعربية المصيرية الى الهاوية التى وصلوا اليها ٠

أن مصر عندما حققت هـذا التصور الامريكى للحقوق الفلسطينية لم تخن قضيتها ولم تبع عروبتها ولم تقـع ، ردا على أحسن الشتائم والبذاءات ، تحت ضغط للولايات المتحدة ٠

ويثور سؤال : كيف تمارس الولايات المتحدة ضغطا على مصر من أجـل اجبار اسرائيل على للجـلاء عن الأراضى العربية المحتلة ومن أجـل دفعها الى الاعتراف بالحقوق الفلسطينية المغتصبة ؟ كيف تمـارس الولايات المتحـدة ضـغطا على مصر ومناحم بيجين يشـتم الأمريكيين (خصوم المستوطنات) ويشجب (الطريق الشرير الذى يسلكه أعـداء شعبه) ويقول فى بيان يوزعه على الصحفيين بالعبرية والانجليزية (انهم بالتأكيد أعـداء للسامية) ؟ كيف تمارس الولايات المتحدة ضغطا على مصر بعـد أن أصبحت سياسة الولايات المتحـدة انعكاسا لموقف مصر ؟ ! ؟ ! ٠

ان الولايات المتحدة لم تمارس أى ضغط على مصر لسبب بسيط هـو أن موقف (مصر أكتوبر) كان موقف (القـوة والحـق) الذى لم يكن ليقبل أى ضغط ، بل على العكس فان مصر فى الحقيقة هى التى مارست الضغط على الولايات المتحدة بكل ما ملكته ولا تزال تملكه من قـوى سياسية ودبلوماسية الشىء الذى استطاعت به تطـويع الولايات المتحدة وتحييدها ، والأمر الذى تطـور الى قـدرة مصر على جعل الولايات المتحدة تقف مـع وجهة النظر المصرية فى كل ما أبدته مصر من آراء وملاحظات خلال المفاوضات ، بل ان مصر لم تخف هدفها الذى أصرت عليه وهـو أن تكون الولايات المتحدة شريكا كاملا فى مفاوضات السلام ادراكا منها للمسئولية (الخاصة) التى تتحملها

للولايات المتحدة تجاه السلام فى هـذه المنطقة واستنادا الى ايمانها بأن الولايات المتحدة هى صاحبة الوزن الاكبر فى الضغط على اسرائيل وبانهـا هى التى تملك وحـدها معظم أوراق اللعبـة ، وأن تجعـل الولايات المتحدة تؤكد بين الحين والحين أهمية استمرار قيامها بهـذا الدور شكلا وموضوعا فى كافـة مراحل المفاوضات المقبلة ، ولعله من الملاحظ بعـد ضغط مصر المتواصل من أجـل قيام الولايات المتحدة بدور الشريك الكامل فى مفاوضات السلام أن أحـدا فى الولايات المتحدة لم يعترض على هـذا الموقف ، ولم تعلن المعارضة فيها من قريب أو من بعيد رفضها لهـذا الاشتراك •

ان قبول الولايات المتحدة لدور الشريك الكامل فى مفاوضات السلام ــ يا عرب ــ ينبع من رغبتها فى اشاعة الأمن والاستقرار فى منطقة الشرق الأوسط حتى تستطيع هـذه المنطقة المضطربة أن تدعم قـدرتها على مواجهة الأخطار الشيوعية التى تحـدق بها والتى تستغل أزمتها فى التسلل اليها وهـو هـدف مشروع ومشترك بين العرب والولايات المتحدة ، فضلا عن رغبتها فى تفادى وقـوع حرب عربية اسرائيلية خامسة يحظر فيها البترول عنها وعن حليفاتها كما حـدث فى حرب أكتوبر ، أو على الأقـل فى تفادى وقـوعها تحت ضغط عربى بترولى فى مجال تحـديد كمياته أو فى مجال رفع أسعاره •

ثم ان مصر بعـد سلامها مع اسرائيل لن تطلب ثمنا لهذا السلام من الولايات المتحدة لأن السلام هـدف مشترك بينهما ، ولأن مصر لا تفرق بين السياسة والأخلاق •• فالسلام ذو قيمة عالية وهـو أثمن من أن يكون هـدفا للمساومة •

كما أن مصر بعـد سلامها مـع اسرائيل لن يكون فى عنقها أى التزام أو دين أو حـق تجاه الولايات المتحدة غير التزامها الطبيعى مـع كل دول العالم المحبة للسلام بالمحافظة على سلام وأمن واستقرار المنطقة

وابعادها عن ساحات الصراع والاستقطاب الدولى والمحافظة على استقلالها وحيادها وعـدم انحيازها ، ولن تكون مصر فى يوم من الأيام أداة دفاع عن سياسة الولايات المتحدة أو شرطى حراسة على مصالحها ، ولن تقبل مصر أن تلعب الولايات المتحدة دور الشرطى فى المنطقة العربية ولن نلعب لهـا هـذا الدور فنحن من عالم عـــدم الانحياز ولا نؤمن بمـا يسمى بنظرية الفراغ الذى تستطيع دول المنطقة أن تتولى ملأه ان وجـد ، ولم تطلب مصر تحالفا مـع الولايات المتحدة ولن تطلب ولم تطالبها الولايات المتحدة بتحالف معها ولن تطلب ، ولن تدخل مصر فى أى حلف مع أى دولة سواء الولايات المتحدة أو غيرها لأنها لا تحتاج الى مثل هـذا التحالف ولا تتحالف الا مـع الدول العربية ، ولن تقبل مصر بتكوين حلف أو محور فى المنطقة العربية لأنها ضـد هـذا النوع من الاستقطاب الذى يولد التوتر والقلق ولأنها تتمسك بفلسفة وسياسة عـدم الانحياز ، ولن تلتزم مصر الا بالتزامها الوحيد وهـو اتفاقية الدفاع العربى المشترك ولن تكون هناك أية أولويات أو أفضليات على التزامات مصر العربية ، ولن يكون فى مصر قواعـد عسكرية أجنبية أو محطات انذار أو تجسس أو حتى قواعد لتدريب العسكريين المصريين فسيكون التدريب خارج مصر وفى الدول التى تبيعها السلاح ، ولن تكون الولايات المتحدة هى المورد الوحيد للسلاح بعـد قرار مصر تنويع مصادر السلاح حتى تستطيع تصنيع كل سلاحها ورغم اعلان الولايات المتحدة عن استعدادها لان تصبح المورد الرئيسى للسلاح الى مصر ، بل ان مصر ستحصل على السلاح من الولايات المتحدة شأنها شأن أى دولة أوروبية أو غير أوروبية تتعاقـد معها مصر على شراء السلاح ، ولن تكون العلاقة بين مصر والولايات المتحدة الا علاقة صداقة وتعاون مشترك قائم على اعتراف الولايات المتحدة باستقلال وحياد وعـدم انحياز مصر وبأهمية مركزها الاستراتيجى فى منطقة الشرق الأوسط وبأهمية دورها بالنسبة لسلام وأمن واستقرار المنطقة فى اطار اتفاقية الدفاع العربى المشترك .

وعليه فان الاتفــاق لا يتضمن أى اتفاقات سرية مرفقــة أو منفصلة عن المعاهدة ، فلم يكن من المنطقى ولم يكن من المعقول أن تنهى مصر تواجـدا عسكريا اسرائيليا لتوافق على أى نوع من أنواع التواجـد العسكرى الأمريكى ، بل ان مصر قـد رفضت قبول تعهدات والتزامات عرضت عليها من جانب الولايات المتحدة مماثلة لتعهداتهـا والتزاماتها التى عرضـتها اسرائيل وقبلتهـا ، وكان رفضـها قـد أعلنه الرئيس السادات فى مؤتمر صحفى قبل التوقيع على معاهـدة السلام وقبل أن تعلن وزارة الخارجية الأمريكية عما أسمته باتفـاق تفاهم بين الولايات المتحدة واسرائيل ، كما رفضها مبنيا على عـدم قبولها لأى نوع من أنواع التحالفات فى المنطقة ، ولأنها تعتمد على نفسها ولا تقبل الا بتحالفها الطبيعى الوحيد مـع عالمها العربى .

ولقـد رفضت مصر هذا الاتفاق الأمريكى الاسرائيلى الذى ارتبط بمعاهـدة السلام بين مصر واسرائيل رفضا قاطعا حتى لا يبدو السلام فى المنطقـة سـببا فى تقنين تفـاهم مسـبق بين الولايات المتحـدة واسرائيل كنتيجة وشرط لتوقيع اسرائيل على معاهـدة السلام ، وحتى لا يأخـذ دور الولايات المتحدة مفهوما جـديدا مشوها أو يمثل ابتعاداً عن فهمنـا أو فهم الآخرين لدورها كشريك كامل وليس كحـكم لـدعم ادعاءات محتملة لطرف ضـد طرف آخر بخرق المعاهـدة أو التهديد بخرقها ممـا يثير الشكوك فى نوايا الولايات المتحدة الحقيقية واحتمال استخدامها لاسرائيل فى خلق ظروف تؤدى الى تواجـد عسكرى أمريكى على أرض اسرائيل فى المستقبل ، ولأن مثل هـذا الاتفاق بين الولايات المتحدة واسرائيل قـد يمثل واقعا شرعيا لحقوق وامتيازات وواجبات والتزامات تعتبر مصدر قلق لمصر قـد يؤثر على موقفها بالنسبة لتطبيق المعاهـدة وقـد يسهم فى ضرب علاقات الصداقة المصرية الأمريكية المتزايدة ، وقـد يمثل تحالفا محتملا بين الولايات المتحدة واسرائيل ضـد مصر قـد يمهد بالضرورة الى ظهـور تحالف مضاد له بصورة تقـود الى زيادة التوتر وتؤثر على عملية السلام فى

المنطقة ، ولكى لا يخضع مستقبل العلاقات المصرية الأمريكية لتأثير طرف ثالث لديه تعهدات مسبقة باجراءات رادعة تتخذ ضد مصر فى حالة افتراضية يترك تحديدها بدرجة كبيرة لاسرائيل .

ان رفض مصر قبول تعهدات والتزامات من جانب الولايات المتحدة مماثلة لتعهداتها والتزاماتها التى عرضتها على أسرائيل وقبلتها يؤكد مرة أخرى أن مصر لا تقبل أن تقبض ثمنا للسلام ، ولا تقبل أن يدافع عنها أحد ، أو أن تقوم على أراضيها قواعد عسكرية أجنبية بغرض حمايتها فى حالة وقوع عدوان عليها أو فى حالة خرق معاهدة السلام أو التهديد بخرقها ، وذلك لأن (مصر أكتوبر) تقدس أرضها وتحترم سيادتها ، وهى فى كل مراحل المفاوضات كانت لا تحيد عن (الأرض والسيادة) .

لقد اشترطت مصر أكتوبر دائما ، تمسكا منها بسياسة عدم الانحياز ، أن تكون قوات حفظ السلام بالمنطقة تحت اشراف الأمم المتحدة ، والا تكون من بين قوات الأمم المتحدة فصائل لاحدى الدول الخمسة الكبرى الدائمة العضوية فى مجلس الأمن ، وذلك ضمانا لعدم السماح لأى دولة عظمى بأى حجم للتواجد على أرض مصر التى كان لها شرف المبادرة فى اقامة حركة عدم الانحياز .

ان سياسة مصر أكتوبر كانت دائما وسوف تظل نابعة من ثقتها بنفسها وقدرتها على أن تقول (لا) لكل ما لا ترضى عنه أو تقبل به .

يقول الرئيس السادات « ان شعب مصر أكتوبر لم يركع ولن يركع لغير الله ، والراكعون لا يرفعون الاعلام ولا يتصدرون المواكب ولا يقتحمون الأخطار ، ولن تكون مصر أبدا الا كما أراد الله لها أن تكون ، لن تكون الا العلم المرتفع والا الموكب القائد والا القرار الشجاع » .

ثم لن مصر كذلك لم تول ظهرها للعرب عامة كما يردد الرافضون ، ولم تتخل عن الفلسطينيين خاصة كما يرجف المضللون ، أن مصر ، رغم ما يقـال ويكال ، لتشعر نحو الفلسطينيين بمشاعر الأم الرءوم التى تتحمل وتقاسى من أجـل أبنائها ٠٠ بل ومنهم أيضا ، فالأبناء أحيانا ما يثورون على أمهم وأحيانا ما يجرحون أمومتها وأحيانا ما يسخرون من أفكارها ، وهى تـدرك أن فورة الابناء قـدر مكتوب ، وأن سـعة صـدرها ورجاحة عقلها أمر مطلوب ، فتعفو عنهم ، وتتلمس العـذر تلو العـذر لهم ، وتؤثرهم على نفسها ولو كان بها خصاصة ، وتدافع عنهم بروح الأم التى قـدر لهـا أن تشقى لأبنائها ٠٠ وبهم أيضا ٠

ان مصر لن تتخلى عن الفلسطينيين كما لم تتخل عنهم من قبل ، وملف الصراع العربى الاسرائيلى خير شاهد على ما قـدمه شعب مصر المعطاء فى ميادين التضحية والفـداء ، لقـد ضحى شعب مصر بزينة الحياة الدنيا وقـدم المـال والبنين دون أن ينتظر من أمته العربية جزاء ولا شـكورا ٠

ان مصر لو أرادت صلحا منفردا لمـا احتاج الأمر الى زيارة القـدس ولمـا كان هناك داع لحرب أكتوبر ، والعالم كله يعلم كم تمنت اسرائيل تلميحا أو اشارة من مصر بصلح منفرد يعيد لهـا سيناء ويخرجها من حلبة الصراع حتى تستطيع اسرائيل أن تنفرد ببقيـة العرب ، ان هـدف مصر الأساسى منذ ثلاثين عاما هـو حل المشكلة الفلسطينية التى من أجلها خاضت أربع حروب وقـدمت على مذبحها من دم أبنائها واقتطعت من قـوت شعبها عشرات الآلاف من الضحايا وآلاف الملايين من الجنيهات ، ان الذين عايروها بمعاناتها من أجلهم سـوف يدركون ويقرون ان عاجلا أو آجلا أنها ضحت بالنفس والنفيس من أجل مشكلة فلسطين ، ثم من أجل أن تمنع اسرائيل من أن تمتـد بمستوطناتها وادعاءاتها وتحت شعار الأمر الواقع كى تبتلع الضـفة الغربية وقطاع غزة ، وفى المقارنة الحقيقية بين ما فعلته مصر وما فعله

الآخرون ليس هناك من يستطيع أن ينكر أن مصر هى البلـد العربى الوحيد من كل دول المواجهة الذى لم يرتفع سلاحه فى وجـه أى فلسطينى ، والذى لم يلطخ يد أبنائه بدماء أبناء فلسطين لا فى (أيلول الأسـود) ولا فى (تل الزعتر) ، وكل العالم الذى تابع مفاوضات السلام بين مصر واسرائيل يعرف أن هـذه المفاوضات فى كل مراحلها كادت تتحطم وتتكسر على صخرة حرص مصر الشديد على حقوق شعب فلسطين ، بل ان أكبر العقبات التى كادت تهـدد بنسف مفاوضات السلام كان فى اصرار مصر على ضرورة ربط سيناء بالضفة والقطاع ، ولقـد كانت مصر ــ أقـوى وأكبر وأهم دولة عربية ــ تجلس الى مائدة المفاوضات مع اسرائيل والولايات المتحدة وظهرها مستند الى نصر أكتوبر العظيم ، ومع ذلك فان مصر المتواضعة قـد أعلنت المرة تلو المرة أن من يرفض هـذا الحل فليتقدم ليأتى ببديل له أو بما هـو أفضل منه وهى مستعدة لأن تسير وراءه ، بل ، وعلى حـد قـول السيد حسنى مبارك « فسوف نصفق له ونحمله على الأعنـاق » •

ان مصر بهـذه المعاهـدة لم تصادر حرية أشقائها العرب ، ولم تضع حـدا لكفاحهم ونضالهم وبالاسلوب الذى يرونه محققا لاهدافهم وآمالهم ، ولديهم المـال والبترول والسلاح وأمامهم اسرائيل لا نحجبها عنهم ولا نحميها منهم ولا نضن بها عليهم ، ومن حقهم أن يستخدموا كل سلاح ضـد اسرائيل ، ولكن الاخـوة العرب يبـدو أنهم تعـودوا على الكفاح والنضال بدماء أبناء مصر وبقـوت شـعب مصر وهـو الكفاح المبـاح والنضال المستباح فى سـوق الصراع بين العـرب واسرائيل •

ولأن بعض الاخـوة العرب الذين أدمنوا الاعتماد على الغير عاجزون عن اتخاذ خطوة ايجابية واحـدة فى سبيل حـل القضية ،

ولأن أسلحتهم أضعف من أن تطوق اسرائيل ، وأقصر من أن تطول اسرائيل ، وأصغر من أن تعاقب اسرائيل ، فليصبوا جام غضبهم على مصر ، وليحل العقاب على شعب مصر الذى دخل بالمنطقة العربية فى مرحلة السلام ، والذى خرج عن التضامن العربى فى حرب الكلام ، والذى يتقدم الخطوة تلو الخطوة ، والذى لا يزال يستثمر حرب أكتوبر .

ان شعب مصر الذى خرج عن بكرة أبيه ليستقبل رئيسه المنتخب بعد أن وقع على معاهدة السلام هو شعب عريق لا تحكمه العقد ، وهو شعب يملك القدرة على التمييز بين التفكير الحضارى المتقدم والتفكير القبلى المتخلف ، وان نتيجة الاستفتاء على هذه المعاهدة قد أكدت اصرار هذا الشعب على استكمال مسيرة السلام العادل والشامل بلا تردد ، ورغم كل الصعوبات والتحديات التى تواجهها هذه المسيرة الظافرة .

ان هذه المعاهدة التى جاءت ثمرة لحرب أكتوبر وتتويجا لمبادرة السلام هى خطوة للأمام لم تكن تقوى دولة أخرى غير مصر أن تقوم بها ، وسيسجل التاريخ على المتقاعسين والمتخلفين ما أهدروه فى حق شعوبهم وأمتهم اذا ما واصلوا حرب الكلام ولم يمارسوا دورهم فى حرب السلام .

لقد كان الأجدر بمؤتمر (العجز والحقد) الذى انعقد فى بغداد للتشهير بمصر أن يبحث الواجب القومى تجاه مصير الثورة الفلسطينية والشعب الفلسطينى بدلا من استهداف مصر وحدها بتصرفات سلبية وشعارات ديماجوجية وأساليب لفظية وطنطنة فارغة ليس بامكانها خلق حقائق مفيدة .

يقول الرئيس السادات « ان أكثر ما يتمناه صقور اسرائيل ان تسود عقلية بغداد كل الأمة العربية ليبتلعوا ارضها ، ولو أن العقل

العربى امتثل لسلبية بغـداد فإن الحـق العربى مهدد بالضياع ، والمثال أمامنا واضح فقد بدأت اسرائيل بجزء من فلسطين وانتهت باحتلال سيناء والجـولان والضفة والقطاع والقـدس ، ومع ذلك فإن أحـدا لا يعتبر من دروس المـاضى » •

ان القـول بأن ما أصاب الأمة العربية بعـد مبادرة السلام المصرية هـو نتيجة لهـا يقلب النتيجة الى سبب ويحول السبب الى نتيجة ، ان تأصـيل الاحـداث واستقراء الاحـوال فى هـذه الامـة المبتلاة ببعض أنظمتها يكفى للتدليل على أن الديمقراطية هى المحنة الحقيقية للأمة العربية •

ان بقاء قضية فلسطين (ساخنة فقط وبدون حـل) يشـكل قطبا يستقطب اهتمامات الجماهير العربية ويغرسها حتى العيون والآذان فى بؤرة الشعور القـومى على نحـو يخسر فيه الفلسطينيون فلسطينهم ويكسب فيه بعض الحكام سلطانهم •

ان من أكبر أخطار اسرائيل أنها كانت ولا تزال السند الحقيقى لأنظمة الحكم البالية فى العالم العربى ، والتى تلجأ دائما لاستغلال اسرائيل والصهيونية كمصدر لتخويف شعوبها المطحونة والمحكومة بالحـديد والنار ، والتى تخشى السلام من شعوبها بقـدر أكبر من خشيتها الحرب مع عـدوها ، وتكون أنسب حـالة لاستمرار حكمهـا وطغيانها هى حالة متوازنة بين اللاسلم واللاحرب ، أو حالة تتأرجح على (حافة الهاوية) •

لقـد أكبر العالم شجاعة الرئيس السادات مرة واحـدة لمبادرته بزيارة القـدس الشريف من أجـل السلام المشرف ، ولكن الحقيقة أنها شجاعة مزدوجة لأنه فى نفس اللحظة التى واجـه الشـعب الاسرائيلى بالسلام واجـه الشعوب العربية بحكامها •

ان من المؤسف أن يبنى رؤساء بعض الدول العربية أمجادهم على مهاجمة رئيس مصر المنتخب لأنهم حاولوا أن يطاولوه فعجزت بهم سيقانهم وقصرت بهم نفوسهم وانقطعت بهم أنفاسهم بعد أن استطاع بنجاح لا يريدونه له أن يضع قرارات الأمم المتحدة وقرارات مؤتمر الرباط موضع التنفيذ الفعلى •

ان الزعامة هى قدوة وقدرة ، هى فعل مطبوع لا افتعال مصنوع ، هى وحى والهام وبصر وبصيرة وحس وصفاء وطهر ونقاء ، هى كرامة ونظافة وتضحية وايثار وانتماء وولاء وخلق وابداع ، هى بعد للنظرة وتحديد للهدف واغتنام للفرصة ومرونة فى الحركة وشجاعة فى الخطوة ، وهى قبل كل ذلك وبعده ارادة من الله فوق كل ارادة •

لقد صدقت صحيفة السياسة الكويتية عندما حذرت الشعوب العربية مؤخرا من المضللين والدجالين الذين يبحثون فى سراديب المشكلة الفلسطينية عن بطولات وزعامات وهمية لا منطق فيها ولا عقل ، وعندما ألحت بأن الأموال العربية تهدر فى غير مكانها بلا أمانة ولا خلق ، وعندما تساءلت هل المطلوب هو الحرب مع اسرائيل حتى آخر جندى مصرى وآخر دولار نفطى •

كما صدقت صحيفة الايام السودانية عندما طالبت الحكام العرب بأن يبتعدوا عن التشنج وأن يدركوا أن عالم اليوم لم يعد فيه مكان للخطابة وأن الشعارات لم تعد تجتذب أحدا ولم تعد تنطلى على أحد •

ان أغصان الزيتون التى تلوح صغيرة فى الأفق لم تنبت بالخطب والسموم ، وانما هى غرس جنود بواسل ، ورورتها دماء شهداء ابرار •

ان القضية الفلسطينية لن تحـل بنقل الجامعة العربية من القاهرة ، ولن تحـل بسحب السفراء العرب منها ، ولن تحـل بوقف الدعم العربى عنها ، كما أن محاولات بعض الاخـوة العرب تشويه صورة مصر فى جامعة الدول العربية وفى رابطة العالم الاسلامى وفى منظمة الوحـدة الأفريقية وفى منظمة التضامن الأفروآسيوى وفى حركة عـدم الانحياز هى هراء لا يقـول به الا كل حاقـد مأفـون ، فمصر واحـدة بارزة من مؤسسى هـذه الحركات والمنظمات •

ان قرارات بغـداد التى أفرغوا فيها حقـدهم وعجزهم والتى انصبت كلها عـلى معاقبة مصر والتهجم عليهـا هى قرارات سـلبية وانهزامية أتخـذها المؤتمرون أو المتآمرون فى مواجهة شعوبهم وبهدف تضليلها والهائها باثارة حفيظتها على شـعب مصر لستر العجز عن العمل المثمر والمؤثر والتهرب من مسئولية الاقدام على اجراءات ايجابية وموضوعية لحل القضية •

لقـد كان أولى بهم وأجـدى لهم وعلى سبيل المثال لا الحصر وبعضهم فى منظمة الأوبك والأوباك أن يستثمروا ـ سياسيا ـ انخفاض انتاج البترول الايرانى خلال الثورة الايرانية فى تقنين انتاجهم ارتفاعا أو انخفاضا بالطريقة التى تضمن مصالحهم ، بحيث يكون شرط زيادة الانتاج لتعويض نقص البترول الايرانى مقرونا بوعـد خاص بالقـدس العربية أو بحـق تقرير المصير للشـعب الفلسطينى المنكود مثلا ، بدلا من التركيز على استغلال الازمة الايرانية فى رفـع أسعار البترول وصب اللعنة على مصر فقط •

لقـد استغلت مصر أزمة ايران فى جـذب الولايات المتحدة الى صف الحـل الشامل والعادل بل والعاجل لمشكلة الشرق الأوسط تحسبا للأخطار الشيوعية التى تحـدق بالمنطقة ، وأخـذت مصر من الولايات المتحدة اعترافا ضمنيا باهمية التضامن العربى بل والتضامن الاسلامى اللذين تريد دول الرفض لخراج مصر منهما •

ان القرارات الطائشة التى استهدفت عاصمة العروبة والاسلام فكرا وحركة ، وقاهرة الهجمات الصليبية فى حطين والمغولية فى عين جالوت والصهيونية فى سيناء ، لا يترتب عليها سوى ضرب الحركة العربية وتخريب المسيرة الاسلامية وهو خير ما يتمناه أعداء العرب والمسلمين ·

ان سيادة الروح القبلية غير المتروية على مظاهرة الدول العربية والاسلامية التى جانبت الحق والعدل هى سلبية فى مقدمة الأسباب التى يتندر بها العالم المتحضر وغير المتحضر علينا ·

لقد وصل حقد (قذاف ليبيا) وجنونه الى حد المطالبة باعادة النظر فى نصوص القرآن الكريم وحذف آياته التى ورد فيها اسم مصر ، كما وصل جموح (مسيلمة الجديد) وشططه الى حد المطالبة باعادة النظر فى مناسك الحج وقصرها على الطواف حول الكعبة ، وترك السعى بين الصفا والمروة على انه بدعة باطلة ، لأن أول من سعى بينهما هى سيدتنا هاجر أم سيدنا اسماعيل وقد كانت مصرية ·

ان مكانة مصر لن يحرفها الحقد ، وان كرامتها لن يزيفها الحاقدون ، حتى ولو أفرغ البعض خزائن أرضه وأنفق ثروات نفطه وبدد أموال شعبه لمناطحة هذه الحقيقة لعلها تختفى من أمام ناظريه ·

ان مكانة مصر وكرامتها قد علمنا اياها الحق تبارك وتعالى فى كتابنا الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وان قدر مصر وقدرها قد أنبأنا بهما نبيه ورسوله صلى الله عليه وسلم فى قوله لصحابته « اذا فتح الله عليكم مصر فاستوصوا بأهلها خيرا ، واتخذوا من أهلها جندا ، فانهم خير أجناد الأرض ، وانهم فى رباط الى يوم القيامة » ·

ان خطة (الشوشرة) التى دأب على وضعها وتصعيدها أولئك الناطقون بالفرقة والساعون الى تكريسها حتى تغطى بسوادها على كل حقيقة لامعة لن تثنى عزم مصر فى مسيرة السلام الشامل والعادل ولن تعـود بعقارب الساعة الى الوراء ٠

ان هذه الخطة اليائسة والبائسة التى اصطنعها العاجزون والحاقدون والذين سايروا زفـة العجز والحقـد ، والتى اعتمدت على مجرد معاقبة ومحاصرة مصر والتهجم عليها ، والتى اقتنعوا وقنعوا بها واستراحوا اليها ، لن تعفيهم من هـذا السؤال الكبير الذى يلاحقهم : وما الذى تستطيعونه بغير مصر وماذا تملكونه من بدائل ؟ ٠

ان من أغرب الغرائب أن يستدرج الاندفاع العرب الى المدى الذى لا يحسون فيه أنهم يوقعون العقاب على أنفسهم ، ثم ان من أعجب العجائب أنهم لو أحسوا بمـا هم مقدمون عليه أو ذاهبون اليـة فانهم يستمرئون الاندفاع حقـدا كالبركان ويتعجلون الانتحار غرقا فى الطـوفان ٠

ان قضية فلسطين لن تحـل بعبث البعث السورى بمصير الأمة العربية ومصير التضامن العربى ، لقـد استطاع الرئيس السادات أن يعيد لهم الجـولان ولكنهم لا يريدون أن يتسلموها ، لقـد جاء فى الوثائق أن الملك فيصل قال فى أحـد مؤتمرات القمة العربية « ان الجولان قد بيعت » ، وعندما حاول الرئيس السادات حفاظا على وحدة الصـف العربى فى المؤتمر أن يخفف ممـا قاله الملك فيصـل قاطعـه الملك قائلا « يا فخامة الرئيس ، أتركنى أقـل كلمة للتاريخ : لقـد باعـوا الجـولان » ٠

ويصرخ معلق عربى فى جريدة عربية بقوله للعرب « لا تصدقوا أن البعث السورى يريد استرداد هضبة الجـولان لانها تدر عليـه من

دول النفط العربى مليارا من الدولارات كل عام تحت دعـوى الدعم العربى لدول المواجهة » ٠

ثم أن تخفى مخابرات البعث السورى فى عملياتهـا ضـد أمن الشارع المصرى وراء اسم (منظمة نسور فلسطين) التى أنشأتها سوريا فى أعقاب مؤتمر بغـداد لتنفيذ قراراته السرية هـو محاولة رخيصة لاستفزاز شعور المصريين ضـد اخوانهم الفلسطينيين بهـدف فرقعة القضية الفلسطينية ، ولم تكن موظفة البريد المصرية التى قتلتها منظمة نسور فلسطين بطرد ناسف مدسوس عقبة تحول دون تحرير فلسطين ، ان قضية فلسطين لن تحـل بمثل هـذه العمليات الفـدائية (المليحة) التى يقـوم بها نسور سوريا (الأشاوس) الذين كانوا يحلقون فخرا بانتصارهم الساحق والمـاحق الذى حققوه على أشلاء سيدة مصرية عربية هى أم لطفلين ذاقا طعم اليتم فى عام الطفـولة ، ولا يزال صراخهما يدوى باللعنة على نسور سوريا ونسور فلسطين ٠

وبعث العراق يخرج من جحره بعـد ثلاثين عاما من العـزلة ليشغل نفسه بتعقب مصر فى المجتمعات الدولية وما من شىء يشغله من وراء هـذه الهجمة السلبية التى يذكى نارها ويصعد أوارها غـير استلاب دور مصر فى المنطقة العربية بعـد أن زرع الاستعمار البريطانى منذ أمد بعيد فى فكره الشيزوفرينى وفى خياله النرجسى تصورا واهما بأن بغـداد أولى من القاهرة ، وهـو لم يزل على وفاء لدرس الاستعمار البريطانى القـديم ٠٠ الذى لم يكن يقصد غير ضرب العرب بالعرب ٠

ان مصر هى قـوة الدفـع المؤثرة والرئيسية فى العالم العربى ، وهى التى تمثل الجهد الرائد والقائد الذى يعطى للأمة العربية وزنهـا وثقلها ، ولا يمكن لأى نشاط عسكرى أو سياسى أو اقتصادى أو اجتماعى أو ثقافى أن ينهض فى المنطقة العربية الا بوجود مصر ٠

ان محاولة حصار مصر وعزلها هي شيء ضـد طبائع الأشياء ، وان الاصوات التى تنعق وتزعق بمعاقبة مصر واذلالها هى أصـوات لها رنين العملة الزائفة ، وماهى جبهة الرفض المناهضة لسياسة مصر قـد أخـذت فى التفكك والتسيب بعـد أن عجزت عن الاتفاق على الخطوة التالية ثم ما لبثت أن سيطرت عليها علامات الانزعاج •

تقول صحيفة الأوبزرفر البريطانية « ان جبهة الرفض المناوئة لسياسة الرئيس السادات كانت مهيأة للسقوط منذ البداية لعجزها عن وضع برنامج سياسى جـدير بالثقـة ، وهـو الأمر الذى أكد حقيقة أن العرب بدون مصر لا يقـدرون على وضع خطة فعالة بشأن الحرب ضـد اسرائيل أو السلام معها ، وأنهم بغير مصر عاجزون عن طرح بديل موثوق به لاستعادة أراضيهم المغتصبة » •

ان معاهـدة السلام لا تشكل تنصلا لمصر من مسئولياتها كما يدعى الرافضون المشغولون بسلوك العاجزين والحاقـدين ، العاكفون على تلفيق الأخبار ثم التعليق عليها ، المستنزفون جهودهم فى الخلط بين الحـل المنفرد والمسعى المنفرد ، المبددون أيامهم فى عقد اجتماعات ولقـاءات ترسخ الخلافات العربية ، ولا توجـه من أجـل تصفية الجـو العربى •

ان معاهـدة السلام لا تمثل تملصا لمصر من تبعاتها كما تدعى جبهة الصغار والشجار ، بل على العكس هى تكريس لدور مصر الرائد والقائد فى عالمها العربى مهما حـاول الصغار عبثا التطـاول على شيمائها •

ان بعض الأنظمة العربية التى استهوتها زعامة العالم العربى ، والتى استحوذت عليها علة (الهروب الى الامام) ، تعارض أن يأتى السلام عن طريق مصر لأنها تنكر على مصر وضعها القيادى فى أمتها العـربية •

ان مسيرة مصر الحضارية فى الحرب والسلام تسبب حساسية لبعض الحكام العرب الذين لا يمثلون الا أغراضهم الشخصية وأطماعهم الذاتية ، وان مشكلة هـؤلاء العرب تكمن فى أنهم لا يحاربون عسكريا ولا سلميا ، وكل ما يستطيعونه هـو أنهم يدورون حـول أنفسهم ثم يتهجمون على الذين يتحركون ويتقدمون ويحاربون الحرب الحقيقية ٠٠ بالسلاح وبالسلام ٠

ان الرئيس السادات ، منذ حرب أكتوبر ثم مبادرة السلام ، قـد بادر بصنع الأحـداث الجـديدة وخلق المواقف العظيمة فى الساحة العربية ، كما أثبت أن هناك دوما رجالا يصنعون التاريخ ويغيرونه ، بينما بعض القادة العرب يتقوقعون فى قوالب جامدة وباردة من الفكر السياسى المتخلف ويستنفدون جهودهم فى رد الفعل السلبى ازاء هـذه الأحـداث والمواقف ٠

ان الحرص فى السياسة الخارجية على التمسك بالأساليب التقليدية فى حـل المشاكل لا يؤدى الا الى الجمود واعطاء اسرائيل الفرصـة لتثبيت الأمر الواقع ، أما التغيير الى الأفضل فيكمن فى المرونة أمام الهـدف الثابت وليس فى اغـلاق عقولنا أمام قناعات مسبقة فى أذهاننا ، كما يكمن فى الاقدام والجرأة والشجاعة للاستفادة من كل ما تملك الدولة من قـــوى عسكرية واقتصادية وسياسية ودبلوماسية ٠

ان الحياة الصحيحة هى الحركة الدائبة والجادة التى لا تتوقف ، وهى الاستجابة المستمرة والواعية لكل المتغيرات التى تحيط بنا ، وهى الاقدام الجسور والمحسوب لتحـدى العقبات التى تصـادفنا فى طريقنـا ٠

لقـد كان من بين التجارب التى مرت بها مصر تجربة مؤتمر جنيف ، الذى كان الحـديث يتركز حـوله قبل قيام الرئيس السادات

بزيارته للتاريخية للقـدس الشريف ، وشهدت هـذه الفترة مناقشات مطـولة تدور فى حلقات مفرغة من أجـل الوصول الى جنيف ، ولم تتحـد كلمة المسئولين العرب على رأى بينما الشهور تضيع وتسقط من حساب الأمة العربية والطرف الاسرائيلى سعيد بمـا يحـدث على الجانب العربى من مناقشات ومحاورات لا تمس جـوهر المشكلة وانما تدور حـول الاجراءات والشكليات ، وكان من الممكن أن تضيع سنوات وسنوات لولا أن مصر خرجت على كل التقاليد المتعـارف عليها وقفزت على أسوار الزمن وفاجأ الرئيس السادات اسرائيل والعالم كله بزيارته التى حركت الأحـداث ودفعتها دفعا الى النتائج التى كانت اسرائيل تخشاها وتهرب منها ، فالمهم أن تتحرك عجـلة السلام وليس مهما بالمرة أن يتم ذلك فى جنيف أو فى غيرها •

ان أعظم الانجازات فى التاريخ العربى كانت ثمرة امتلاك مصر لقرارها ورفض أى وصاية عليها ، ولقـد كانت ارادة الشعب المصرى دائمـا هى السلاح الأصيل والبتار الذى حاربت به مصر ولا تزال تحارب كل معاركها الوطنية والقـومية ، وفى الظروف التى يمر بها عالمنا العربى فى الوقت الحاضر فان اصرار مصر على ممارسة سياستها بنفسها لا يستهدف مجرد الاصرار على حـق طبيعى أو خط مبدئى فحسب ، لكنه يستهدف فى الوقت نفسه حماية المصالح العـربية العليا من عبث الذين يفتقدون القـدرة على الفهم والتصور ، والذين كانت تصرفاتهم سلسلة من التعثر والفشل لم تسفر الا عن الاضرار بهـذه المصالح طـوال ثلاثين عاما من عمر الصراع ، كمـا أن هـــذا الموقف من جانب مصر انما يعبر عن حرصها على مسئولياتها التاريخية تجاه أمتها العربية وتمسكها بعـدم التفريط فى هـذه المسئولية أو التراجع عن تحملها رغم ما تتعرض له من مهاترات ومناورات •

ان مصر لو تمكنت مرة أخرى من انزال الهزيمـــة العسكرية باسرائيل فى حرب خامسة فان آخر ما تستطيع أن تصل اليه هـو

أن تحرر بقية سيناء فقط ، لأنه لن يسمح لها بأن تتعدى حدودها الدولية ببوصة واحدة ، اذ أن الدول العظمى فى سياساتها المعلنة وان اختلفت دواعيها ستتدخل للحفاظ على أمن اسرائيل ووجودها ، وقد تمكن الرئيس السادات من استعادة بقية سيناء دون اراقة دماء ، بل ان معاهدة السلام هى اطار للحل الشامل للقضية العربية ٠

ويؤكد الرئيس السودانى جعفر نميرى أنه حتى فى حالة احتلال الجيوش العربية لتل أبيب فى حرب خامسة فان (مكالمة تليفونية) من واشنطن أو موسكو كافية لجعل هذه الجيوش تنسحب فى الحال ودون ابطاء حيث أن القرار النهائى يصدر من جانب الولايات المتحدة والاتحاد السوفييتى ٠

ولقد أثبتت عودة سيناء أن الزحف السلمى الذى شنته مصر لم يكن أقل مضاء من زحفها العسكرى ، كما خذلت عودة سيناء اخوتنا الرافضين وأضافت الى عجزهم عن تقديم البديل فقدان الهدف ، لقد علقت صحيفة القبس الكويتية على هذا الوضع بقولها أن سياسة الرافضين تقف اليوم مأخوذة بما يدور حولها ، كما تقف مشلولة الحركة حيث أنها لا تستطيع أن تذهب الى مائدة المفاوضات كما لا تستطيع أن تذهب الى ميدان القتال ٠

ثم ان جلسة المباحثات الأولى لاقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة والقطاع التى عقدت فى بئر سبع فى نفس اليوم الذى استردت فيه مصر مدينة العريش والقطاع الشمالى من سيناء تشكل الدليل العملى على الربط الموضوعى والواقعى بين التحرك المصرى على جبهة سيناء وجبهة فلسطين ، كما أن عودة مدينة العريش والقطاع الشمالى من سيناء الى السيادة المصرية فى اطار المرحلة الأولى للانسحاب الاسرائيلى من كل سيناء كانت خطوة أولى فى طريق تحرير الأراضى العربية المحتلة وعودة الحقوق الفلسطينية المغتصبة ٠

يقول الرئيس السادات « ان تحرير سيناء هو تحرير لأرض عربية يملكها شعب عربى هو جزء من أمته العربية ، وأن رفع العلم المصرى على العريش ليس انتصارا مصريا فحسب ولكنه انتصار للقضية العربية والقضية الفلسطينية ، وان من رفعوا العلم بالأمس على سيناء هم الذين يناضلون اليوم من أجل فلسطين » •

ويقول الرئيس السودانى جعفر نميرى « اننا فى السودان مقتنعون بأن السادات يناضل لصالح القضية العربية ، وأن الضفة والقطاع والقدس والجولان هى بالنسبة للسادات فى نفس أهمية سيناء » •

ان مشكلة العرب فى هذه الفترة التاريخية الحرجة تتمثل فى السؤال لماذا يصدق العرب - على سبيل المثال - مناحم بيجين عندما يقول أن القدس الموحدة ستظل عاصمة لاسرائيل الى الأبد ولا يصدقون الرئيس السادات عندما يقول أن القدس العربية هى جزء من الضفة الغربية وأن للعرب وللمسلمين حقوقا تاريخية ثابتة فى القدس العربية لا أحد يستطيع التفريط فيها ؟ لماذا يستجيب العرب لتصريحات أو (بالونات) بيجين وغير بيجين التى يطلقونها كل يوم للاستهلاك المحلى فى جانب ولضرب التضامن العربى واثارة أعصاب العرب فى الجانب الآخر ؟ لماذا يتناول العرب وجهات نظر الاسرائيليين على أنها بمثابة مواقفهم النهائية ولا يريدون الاعتراف بأن مواقف الاسرائيليين تجاه سيناء قد غيرتها الاحداث مما يمكن تطبيقه على المفاوضات القادمة وخاصة أن مصر الآن فى موقف يسمح لها بالتأثير على السياسة الاسرائيلية واقناعها بتعديل مواقفها رغم (حرب التصريحات) التى تتواكب بالطبيعة مع (حرب المفاوضات) ؟ •

يقول مناحم بيجين وعلى سبيل المثال لا الحصر أن اسرائيل قد بذلت أقصى ما فى وسعها خلال المفاوضات مع مصر لكى لا تنسحب

من مستوطنة ياميت بسيناء غير أن مصر أصرت على ضرورة الانسحاب الاسرائيلى من سيناء كلها ، ويضيف أنه سيظل يشعر بالألم لانسحاب اسرائيل من مستوطنة ياميت وأنه سيحمل ألمه هذا معه فى قبره ٠

ان مناحم بيجين هذا هو نفس مناحم بيجين الذى قال فى أول خطاب له فى الكنيست عندما تولى رئاسة الوزارة « ان الحكومة الاسرائيلية التى تقبل ازالة المستوطنات الاسرائيلية فى سيناء يجب أن تقدم استقالتها الى الكنيست فى نفس اليوم الذى تتخذ فيه مثل هذا القرار » ٠

ثم ، على سبيل المثال أيضا ، ماذا حدث لسكان مستوطنة نيعوت القريبة من العريش عندما قرروا التصدى بمساعدة جماعة جويش ايمونيم الدينية المتطرفة لمحاولات اجلائهم من جانب القوات الاسرائيلية عن الأراضى الزراعية التى تدخل فى قطاع العريش الذى تقرر اخلاؤه فى المرحلة الاولى من الانسحاب من سيناء ، ألم يصدر مناحم بيجين أوامره باخلاء هذه الحقول بالقوة اذا لزم الأمر وهو ما حدث بالفعل ؟ ثم ألم يصدر عيزر وايزمان وزير الدفاع الاسرائيلى أوامره كذلك بايقاف مشروع بناء مستوطنة ايلون موريه التى كانت حكومة اسرائيل قد وافقت على انشائها بالقرب من مدينة نابلس فى الضفة الغربية،والتى كان قد استقر فى مكانها بعض أعضاءالجماعة الدينية المذكورة لأكثر من ثلاثة أعوام قبل موافقة الحكومة على بنائها ، ثم اعقب أمر وزير الدفاع حكم أصدرته المحكمة العليا فى اسرائيل بوقف البناء ؟ ٠

ثم ، على سبيل المثال كذلك ، الم يتخذ مناحم بيجين موقفا حدده من وجهة نظره كمشروع اسرائيلى للحكم الذاتى فى الضفة والقطاع ثم أمر فريق التفاوض الاسرائيلى باخفائه عن فريقى التفاوض المصرى والأمريكى فى مفاوضات بئر سبع بعد أن اتخذ قرارا جديدا

ببدء هـذه المفاوضات قبل تقـديم للنص المكتوب للموقف الاسرائيلى خـوفا من فشلها ؟ ٠

ان الأمثلة كثيرة عن معطيات الموقف المصرى وتنازلات الموقف الاسرائيلى وضغوط الموقف الامريكى عـلى اسرائيل لصـالح مصر ، وهى معطيات وتنازلات وضغوط تتتـابع وتتزاحم فى طريق للحـل السلمى العادل والشامل ٠

يقول ايجال آلون وزير خارجية اسرائيل السابق فى حـديث نشرته صحيفة يديعـوت أحرونوت الاسرائيلية « اننا ما زلنـا نشعر بالذهول ازاء لباقة وذكاء وفعالية اللعبة السياسية المصرية التى خططها الرئيس السادات فى أدق تفاصيلها ، والتى كان من شأنها اظهار خيبة وسطحية فكر ومناورة المفاوضين الاسرائيليين ، ان الرئيس السادات نجح دون أن يتخلى عن حبة رمل واحـدة فى اقناع العالم بأنه يتمتع بالمرونة وعـلى استعداد لقبـول الحـل الوسـط ، فى الوقت الذى نجح مناحم بيجين رئيس وزراء اسرائيل ، الذى تخلى عن استخدام جميـع الاوراق الرابحـة التى كانت فى يـده ، فى أن يعطى عن نفسه انطباع رجل الدولة المتصلب المتعنت الذى لا يمكن أن يقبل بالحل الوسط ، انه سيأتى اليوم الذى تدرس فيه فى كليـات العلوم السياسية المساعى الدبلوماسية التى قام بها الرئيس السادات ومهارة مناوراته التى لجـأ اليها لتضييق الخناق على اسرائيل » ٠

ان السؤال كما طرحه الرئيس السادات يتمثل فى أنه اذا كانت أرضنا لدى اسرائيل ، واذا كانت قـدسنا عندها ، فكيف تكون لنـا قضية مـع طرف ولا نجلس للتفاوض معه ، وهـل نفضل أن ينوب عنـا طرف آخر للتفاوض ، ومن ينوب عنـا نحن أصـحاب الأرض وأصحاب القـدس وأصحاب القضية ، وهـل تخـون مصر القضية اذا جلست هى مـع اسرائيل على مائدة المفاوضات ؟ ٠

ان الجـواب كما طرحه الرئيس السادات أيضا يتمثل فى أن الرافضين الذين يخطئون فهم عقل وقلب مصر ، والذين يعترفون بضرورة الحـل السلمى ثم يرفضون التفاوض ، لن نقبل سلبيتهم لأنه اذا كانت لنا قضية فينبغى أن نتولاها بأنفسنا والا كان موقفنا هـو التهرب والتخلف ، فليست لدينا عقـد تحـول دون التفاوض مـع الاسرائيليين ، ولا محـل للشعور بالنقص بعـد نصر أكتوبر ٠

ان موافقة الدول العربية على قرارى مجلس الأمن رقم ٢٤٢ ورقم ٣٣٨ يعـد اعترافا منها باسرائيل ، ومن ثم فلا حاجة للاستناد الى اعتراف مصر وجلوسها مـع اسرائيل كذريعـة تستخدمها هـذه الدول لاتخاذ قرارات ضـد مصر ، وكأن الوسيلة لتحرير الأراضى العربية وتأمين الحقوق الفلسطينية قـد تحققت بمعاقبة مصر ٠

ان مصر لعلى يقين من أن كل الشعوب العربية تدرك مغـزى السلام ، وأن كل الحكام العرب يريدون تحقيق المصالحة مـع اسرائيل بعـد أن اعترفوا بها ، ولكن المشاكل الخاصة بهـؤلاء الحكام أفقدت التوافق بين ما يقـولونه وما يفعلونه ، بـل وبين ما يقـولونه فى الحجرات المغلقة وما يقـولونه أمام الميكروفونات ، ولم تكن الهـوة بين الأقـوال والأفعال فى أى فترة من فترات التاريخ العربى تمثـل مثل اتساعها اليوم فى زمن أصبحت فيه الحقيقة نادرة ٠

ومع ذلك ٠٠ فان مصر السماحة والحضارة والعروبة لا تكن العـداء لأى دولة عربية ، وهى لا تسقط جـدوى التضامن العربى من حسابها ، ولكن على بعض الأنظمة العربية أن تثوب الى رشـدها وتعـود عن غيها وأن تعلن على الملأ : ما هـو الخطـأ فى أن نصل الى مرحلة السلام وما هـو الصواب فى أن نستمر فى حالة الحرب ؟ ٠

ان قلب الرئيس السادات ومعه قلوب شـعب مصر ومع كل

نبضة فيها لتقطر دما لسـقوط بعض قيادات الامة العربية فى هاوية التناقضات والمنازعات وفى مستنقع المؤامرات والاغتيالات برغم مظهر التكاتف والتآلف الذى ظهرت به أمام العالم حول مائدة الحقد والكراهية التى دعا اليها بعث العراق لتشويه نضال وكفاح شـعب مصر وبرغم التناغم الظاهرى الذى سرعان ماتبخر، فمن العار أن تبدو الامة العربية أمام الخصم والصـديق بهـذا التفكك والتسيب بعـد أن وضـعها العالم بعـد حرب أكتوبر فى عـداد القـوة السادسة فى عالم اليوم •

ان قلب الرئيس السادات ومعه قلوب شـعب مصر ومع كل نبضة فيها لتعتصر مرارة لما يجرى الآن فى الساحة العربية رغم أن ما يحـدث ليس بينه ما يهز ثقـة الرئيس السادات ومعه شـعب مصر فى أنهما يسيران على الطريق الصحيح ، ان ما يجـرى الآن فى الساحة العربية يذكرنا دوما بالتساؤل المشهور (كم من الجرائم ترتكب باسمك يا فلسطين) ، ولكن التاريخ الذى يمهل ولا يهمل سـوف يتكفل بالاجابة على هـذا التساؤل لتعرف الجماهير العربية كم كانت مغلوبة على أمرها باسم فلسطين ، وسوف يقول كلمته فيمن ضحى من اجـل فلسطين بالمـال والبنين ومن قـدم لهـا الحناجر والخناجر •

ان قلب الرئيس السادات ومعه قلوب شعب مصر ومع كل نبضة فيها لتنفطر حزنا لتردى سياسات بعض الانظمة العربية الشريفة فى دوامة الرفض والقعود عن حل قضية مصيرية بأية حجة وتحت أى ظرف وعلى رأسها النظام السعودى المشهور بالتعقل والمشـهود له بالرزانة والاتزان ، وان كاتب هذه السطور ليأسف من كل قلبه وبكل قلمه ان حملت سطوره أو ما بينها لمحة قسوة أو شبهة شدة فى معرض التأبيد والدفاع •

ان المصريين لن يكونوا أمريكيين أو اسرائيليين كما لم يـكونوا من قبل ، ومن بعد أن أخبركم الرسول الكريم ، بما لهم من حرمة الذمة

والرحم والصهر ، ومن بعد أن أنبأكم الصحابى الجليل ، الذى حمل لواء العروبة ورفع راية الاسلام على أرض خير أجناد الارض ، بأن مصر هى عون للعرب وللمسلمين وقوة لهم ٠

ان منطق الاسرة الواحدة أو الامة الواحدة لم يكن ليقر أسلوب المقاطعة والخصام بل ان طبائع الاشياء كانت تحتم أسلوب المناقشة والحوار ٠

وكما يقول الرئيس جعفر نميرى « انهم لو اعتقدوا حقيقة أن السادات قد أخطأ فانه كان يتعين عليهم أن يبحثوا معه القضية بموضوعية بدلا من تهديده بالعزلة » ٠

ومع ذلك ٠٠ فان مصر التى عرفت كيف تفتح الحوار مع عدوها لن تتوانى عن طرق باب الحوار مع أشقائها ، ولكن ليس قبل أن تظهر لهم بعض ثمرات ما أقدمت عليه وبعدها لن يطول ليل الخلاف ٠

ان مصر السماحة والحضارة والعروبة تقول أن ما يفعله العرب الآن لا يعدو أن يكون مرحلة مراهقة سياسية اجتازتها مصر قبلهم وهم فى الطريق الى اجتيازها ٠

ويقول رئيسها متفائلا كعادته أننا سوف نتغلب على هذا الموقف العربى فى فترة قصيرة للغاية نظرا لأنه (موقف زائف) ٠

ويقول نائبه أننا يجب ألا نهدر قوتنا العربية فى خلافات داخلية ، لأننا جميعا فى العالم العربى يجمعنا خصم واحد مشترك ، هو (بالتأكيد اسرائيل) وليس بعضنا البعض ٠

ان التضامن العربى لا يجب أن يخضع لأهواء بعض الحكام

العـرب ، وان قرار التضامن لا يصـح أن يصدره حاكم ويلغيه آخر ، لأن التضامن العربى هو قرار شعوب عربية جمعتها مقومات واحـدة لا تتغير ، والحكام يتغيرون من وقت لآخر ، وقراراتهم تتغير بين ساعة وأخرى ، لكن الشعوب باقية وقراراتها باقية لا تتغير بتغير الحكام ٠

ان مصر ستبقى قلب الامـة العربية النابض ، وسـيظل القلب يدفع دماءه الى كل الجسم العربى مجددا نشاطه وحيويته ، تلك ضريبة القلب يدفعها مهما كانت الجراح ، ومصر ليسـت مجـرد قلب الامـة العربية ولكنها القلب والروح معا ٠

ان أول أهداف السياسة الخارجية لمصر هو حماية الامن الوطنى المصرى والامن القومى العربى حيث أنهما متصلان لا فرق بينهما سوى أن مصر يمثل أمن القلب فى جسم الامة العربية ٠

ان جامعة الدول العربية والقاهرة صنوان ، يمثلان واقعا تجسد واستقر فى وجدان كل عربى ، وان أى يد تمتد بالكيد لذلك الطـود ، سيكون كيدها فى تضليل ، وسيكون مصير أصحابها كمصير أصحاب الفيل ، وكما أن بيت الله لا يمكن أن تنتزع قدسـيته من أم القرى ، فان بيت العرب لا يمكن أن ينفصم معنى ومغزى عن قاهرة المعز لدين الله ، وستبقى جامعة الدول العربية ، بما فيها من ايجابيات وسلبيات، وبما فيها من نجاحات ونكسات ، المعنى الراسخ فى ضمير كل عربى ، والاثر الباقى لمعنى الوحدة العربية ٠

ان عروبة مصر هى واقعها ومصيرها ، وهى قضاء وقدر لا يمكن أن يكونا محل نقاش ، وهى ليست منحة تعطى لمصر وتسحب منهـا حتى بأغلبية الاصوات ٠

ان بعض الحكام العرب قبل أن يتعلموا كيف يتفقون ، لابد لهم

أن يتعلموا كيف يختلفون ، ولابد لهم أن يتعلموا كيف يختلفون على بعض الامور دون أن ينعكس خلافهم على كل الامور ٠

ان مبادىء للخلافات العربية يجب أن توضع حتى يتمكن العرب من أن يتفقوا أو يختلفوا داخل اطار متفق عليه ، وان جهودا مخلصة وواعية يجب أن تبذل لتقنين الصراعات العربية كمنهج حضارى وعصرى لتنظيم التفاعلات وضبط النزاعات على الساحة العربية والعمل على حلها ، وليس عيبا أن نخطىء التقدير ، فالخطأ صفة من صفات البشر، وهو من قبيل الاجتهاد الذى يؤجر المرأ عليه ، ولكن العيب كل العيب يكمن فى تجاهل الخطأ والاستمرار فيه ٠

ان على الاخوة العرب أن يدركوا أن المصالح العربية يجب أن تكون هى الشغل الشاغل للعرب ، كما يجب أن تتغلب على ما عداها من المصالح الفردية أو الحزبية أو الاقليمية أو الايديولوجية غير العربية ٠

ان على الاخوة العرب أن يتداركوا موقفهم ويحرروا ارادتهم التى عبثت فى غفلة منهم فى سلة (الهيمة السوفييتية) من خلال حلف بغداد الجديد وداعيته بعث العراق ، الذى يلوذ دوما بالتطرف ويتمسك دائما بالمستحيل تهربا من المسئولية القومية ، والذى اتفقت فرصته فى ركوب موجة الرفض من أجل التصدى لقيادة الامة العربية الى أهدافه الظاهرة والخفية مع سياسة الاتحاد السوفييتى التى لا تتفق لا مع السلام الشامل ولا مع الوحدة العربية ، وكان ان اتفق بعث العراق مع الاتحاد السوفييتى نهارا جهارا كما جاء فى بيانهما المشترك على (تعبئة كافة القوى ضد مصر) ٠

ان على الاخوة العرب الا يأملوا كثيرا فى مساعدة الاتحاد السوفييتى أو فى صدق نيته لحل القضية ، لقد كان من بين أهداف

مبادرة نوفمبر ١٩٧٧ أن تدفع القضية الى خارج دائرة التعامل الثنائى الامريكى السوفيتى الذى كان قد تحدد فيما سمى ببيان اكتوبر ١٩٧٧ بشأن السلام فى الشرق الاوسط ، والـذى تأسس عـلى أن الطـريق الوحيد للحل هو طريق المفاوضـات فى اطـار مؤتمر جنيف برئاسـة الدولتين العظميين ، والذى دعا الى انسـحاب اسرائيل من (أراض) عربية احتلت فى يونيو ١٩٦٧ ، ثم جـاءت المبادرة لتتخطى جـوهر البيان وجوانبه الاجرائية معا ، وتحركت الولايات المتحدة على طريق المبادرة نـحو السلام فى الشرق الاوسط دون أن تتمسك بصيغة جنيف، بينما رفض الاتحاد السوفييتى المشاركة انطلاقا من رؤيته أن تظـل عملية السلام فى الشرق الاوسط مرتبطة بحركة العلاقات الاشمل بين موسكو وواشنطن ٠

وهكذا لم يكن الاتحاد السوفييتى جادا فى حل القضية كما لم يكن مخلصا للعرب ، لقد تعمد التراخى فى بذل أى مجهود ايجـابى لحل القضية بعد الاتفاق على صيغة جنيف قبل المبادرة أو بعـدها ، ولكنه لم يتخلف عن بذل أى مجهود سلبى بالتواطؤ مع بعض الانظمة العربية ، بينما اسرائيل قـد بدأت حملـة ـ وافقت هـوى الاتحـاد السوفييتى ـ لاغراق المؤتمر فى متاهات الخلافات الاجرائية والشكلية ٠

لقد آن للاخوة العرب أن يدركوا حقيقـة العـلاقات بين حـركة الشيوعية الدولية وحركة الصهيونية العالمية وحركة القومية العربية ، وأن يتبينوا موقف الاتحاد السوفييتى من وضع اسرائيل فى المنطقة العربية ، وأن يتفهموا أن مصر تنظر الى أمن واستقرار المنطقة بصورة أشمل وأعم ، فلن تكون الشيوعية الدولية جارة طيبة للقومية العربية ، ولن يكون الشيوعيون والملحدون رفقاء مريحين للعرب والمسلمين ٠

ان الاتحاد السوفييتى هو ثانى دولة تعترف باسرائيل فور قيامها على أرض فلسطين العربية بعد الولايات المتحدة ، وهو المول الاكبر

للمهاجرين اليهود الذين استطاعت اسرائيل أن تكون بهم جيشا يحارب العرب ، وهو الذى يطلق الآن هجرتهم (بدرجة مثيرة ـ على حد تعبير الخارجية الامريكية) جريا وراء منحه حق الدولة الاولى بالرعاية فى تجارته مع الولايات المتحدة .

تقول وكالة الانباء الالبانية مؤخرا « ان اطلاق هجرة لليهود من الاتحاد السوفييتى (حاليا وبشكل لم يسبق له مثيل) هو خنجر فى ظهر للشعوب العربية وأولها الشعب الفلسطينى لأن هؤلاء اليهود السوفييت يرسلون الى اسرائيل يستوطنون الاراضى العربية المحتلة » .

ولقد حاول الاتحاد السوفييتى فى دأبه على استثمار المشاكل عرقلة الانسحاب الاسرائيلى من سيناء رغم ان هذا الانسحاب هو تطبيق لميثاق الامم المتحدة وتنفيذ لقرار مجلس الامن رقم ٢٤٢ الذى تمت الموافقة عليه بالاجماع ، لقد عارض الاتحاد السوفييتى أى قرار يتخذه مجلس الامن لتجديد فترة عمل قوات الطوارىء الدولية وتعديل شروط مرابطتها فى سيناء ليتوافق دورها الجديد مع تنفيذ معاهدة السلام ، بينما وافق الاتحاد السوفييتى فورا على تجديد فترة عمل قوات حفظ السلام فى الجولان رغم أن بقاءها هناك ينصب على استمرار الوضع الراهن وهو احتلال اسرائيل للجولان بينما بقاء قوات الطوارىء الدولية فى سيناء لازم لتسهيل عملية انسحاب اسرائيل الى حدود مصر الدولية ، ولقد سجل أمين عام الامم المتحدة على الاتحاد السوفييتى موقفه من جهود السلام التى يرفضها باصرار غريب فى قوله « ان الاتحاد السوفييتى يعارض أى دور للأمم المتحدة فى تنفيذ معاهدة السلام بين مصر واسرائيل » .

لقد أعطى الاتحاد السوفييتى بمعارضته لمد فترة عمل قوات الطوارىء الدولية فى سيناء الفرصة لاسرائيل لكى تبالغ فى اعطاء

الاهمية لهذه المسالة حتى تتيح لنفسها نقطة اضافية للمساومة فى مفاوضات الحكم الذاتى الفلسطينى ، ولكى تماطل بالطريقة التى وضحت فى تحذير ايجال يادين نائب رئيس الوزراء الاسرائيلى الذى أعلن أنه اذا لم يوافق مجلس الامن على تجديد فترة عمل قوات الطوارىء الدولية فى سيناء فان ذلك سوف يؤثر تأثيرا خطيرا فى تنفيذ معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية من جانب اسرائيل ، وهو التحذير الذى وصفه ايجال آلون وزير خارجية اسرائيل السابق بأنه (فريد فى رعونته) •

ان مصر ، وهى عامل الاستقرار القوى فى منطقة الشرق الاوسط ، لا تستهدف باصرارها على التسوية العادلة والشاملة استرداد الاراضى العربية والحقوق الفلسطينية فحسب ، انما تستهدف أمن واستقرار دول المنطقة كلها ، وتدعيم قدراتها على مواجهة الاخطار التى تحدق بها ، والتى ظهرت معالمها مما جرى ويجرى حولها فى اثيوبيا واليمن الجنوبى ، بل وفى أفغانستان وايران كذلك •

ان مخططات الحركة الشيوعية الدولية تضع فى حسبانها ميزة انشغال مصر بالصراع العربى الاسرائيلى حتى تغفل أو تتغافل تماما عن المد الشيوعى حول المنطقة وفى داخلها بسبب اعطائها الاولوية فى اهتماماتها للمخاطر الصهيونية على المخاطر الشيوعية ، ومن أجل ذلك فان الاتحاد السوفييتى حريص على استمرار الصراع العربى الاسرائيلى بأى ثمن ، وحريص على استمرار دفع بعض الانظمة العربية لأداء هذه المهمة نيابة عنه •

ان أحداث ايران ـ على سبيل المثال ـ تدعم وجهة نظر مصر من ضرورة التوصل الى سلام عادل وشامل فى المنطقة ، وتؤكد أن منطق اسرائيل مرفوض ، وهو المنطق الذى حاولت به من خلال حملتها الدعائية الفاشلة أن تتظاهر بأنها عنصر استقرار وأمن فى منطقة

الشرق الاوسط ، وبأنها تستطيع أن تقوم بدور رئيسي في حالة حدوث انعكاسات لأحداث ايران على المنطقة العربية ، في حين أن مصر التي سوف يتعاظم دورها بعد اقرار السلام هي المخولة بهذا الدور بحـكم ميثاق الضمان الجماعي العربي ، بعكس اسرائيـل التي تعتبرها كل الدول العربية حولها جسما غريبا عن المنطقة ، والتي حاولت من خلال هذه الحملة الدعائية أن تعاود الاستئثار بتأييد الولايات المتحدة ، أو التي حاولت بهذه الحملة أن (تضحك على الولايات المتحدة) •

ان شعوب الامة العربية هي وحدها القادرة على حماية نفســها وعلى وقف المد الشيوعي من حولها ، فليس من المعقـول أو المتصـور ان تصبح اسرائيل هي المتصدية لهذا التيار الشيوعي المتدفق بينما هي السبب في زحفه على المنطقة ، وبينما استمرار تقويتها وتضـخيمها بدعم من الولايات المتحدة هو تعزيز لهذا الزحف غير المقدس ، وليس من المعقول أو المتصور كذلك أن تجد الولايات المتحدة في رئيس وزراء اسرائيل بديلا لشاه ايران ، بل لعلها أصبحت تؤمن الآن بأن ترسانات السلاح ليست هي السبيل الوحيد لضمان أمن واستقرار أي بلد أو أي منطقة ، انما السبيل الوحيد هو رغبة الشعوب وارادتها فهما أمضى من أي سلاح •

ان الصراع بين العرب واسرائيل قد مهد الطريق الى الصراع بين العرب وأنفسهم ، كما مهد الطريق الى تعريض بعض الانظمة العربيـة لظاهرة الاستقطاب الدولي بين الشرق والغرب ، ولن يستطيع العرب ايقاف هذا المد الشيوعي الا بعد حل الشقاق بين العرب واسرائيل بمـا يؤدي الى احلال الوفاق بين العرب والعرب •

ان الظروف المحيطة بمنطقة الشرق الاوسط والصراعات الدوليـة التي تجري على مشارفها تجعل السلام اكثر الحاحـا ، وتستلزم في الوقت نفسه أن تعمل على جمع الشمل ورأب الصدع وتوحيد الجهـد

والاجتماع على كلمة سواء ، وسوف يثبت للاتحاد السوفييتى ان عاجلا أو آجلا أنه قد أخطأ فى حساباته عندما فرض بعض الانظمة الشيوعية حول المنطقة أو فى داخلها متجاهلا كلا من العروبة والاسلام ٠

ان الشعب المصرى الذى يدرك أبعاد الصراع والمستفيدين منه لن يمنعه أحد من القيام بما يعتقد أنه صواب ، وسوف يستكمل مسيرة السلام ولو كره أعداء السلام ٠

ان الشعب المصرى الذى منحه الله روح الحضارة ووهبه قدرة الاختيار لن يلتفت الى الرافضين بعد أن أقدم رئيسه على الخطوة التى يعتقد أنها ضرورية ، وبعد أن ثبت أن السلام الآن فى المنطقة العربية هو (الممكن الوحيد) ٠

ان الشعب المصرى الذى منحه الله أعرق تاريخ ووهبه أعمق تجربة لن يتردد فى طريقه بعد رحلة ثلاثين عاما شاقة وطويلة ، وبعد أن بدأت حمائم السلام تحط رحالها فوق أغصان الزيتون فى المنطقة العربية ٠

ان الشعب المصرى يدرك قيمة السلام لأنه يعرف معنى الحياة ٠٠ وهى التى يصنعها على أرضه منذ آلاف السنين ٠

يقول الرئيس السادات من منطلق وطنيته وقوميته « ان الكثير قد تغير بالفعل ، ولقد تحددت الآن النقاط لمرور القطار وسيره ، وسوف تكون محطة الوصول هى السلام » ٠

ويقول من منطلق عروبته واسلامه « ان الذين وهبوا القدرة على الرؤية لا يمكن ان يخطئوا فهم أبعاد مهمتنا المقدسة » ٠

ويتجاوب الرئيس السودانى مع الرئيس المصرى عندما يقول « ان السلام فى الشرق الاوسط هو فى مصلحة العرب على المدى الطويل

أكثر من اسرائيل ، وأنه بعد عشر سنوات من تحقيق السلام فان اسرائيل ستكون مجرد جزيرة صغيرة فى بحر كبير من العرب » •

ويؤكد المعلق الامريكى توماس ليبمان فى صحيفة واشنطن بوست أن السادات مثل جميع المثاليين الحقيقيين لا يعرف الشك ولا الاسف ، فقد قال للمتشككين ان التاريخ سيكشف من كان على صواب ومن كان على خطأ ، وانه لن تكون هناك عودة الى الوراء •

ان على الاخوة العرب أن يزنوا الامور بميزان المصلحة التاريخية الممتدة وليس بميزان المصلحة الذاتية المؤقتة ، لأن السماء لن تغفر والتاريخ لن يرحم ، ولأن أكثر ما يتمناه غلاة التعصب فى اسرائيل أن يتكرس الامر الواقع برفضهم العاجز أو بعجزهم الرافض •

يقول السيد سيد مرعى مساعد الرئيس فى دعوة للاخوة العرب الى مراجعة مواقفهم « الى كل الاخوة العرب دعاة الرفض منهم أو المتورطين فيه ، دعونا ولو لمرة واحدة نلبى نداء العقل والحكمة ، دعونا ولو لمرة واحدة نقيم حساباتنا السياسية على أساس من الواقع الدولى الذى يحيط بنا شرقا وغربا ، دعونا ولو لمرة واحدة نعتبر بالماضى وبالحاضر فنضع نصب أعيننا حقيقة واحدة تعلو كل الحقائق ، فالماضى والحاضر كلاهما يؤكد أن المستقبل لن يحدده الا (السبق الحضارى) المرتقب فى هذه المنطقة ، ان التفوق الحضارى سيكون حجر الزاوية فى أى تغير يحدث فى هذه المنطقة من العالم ، وذلك هو (الصراع الحقيقى) ، لنخطط له اذن من اليوم ، لنمهد له بمعاهدة السلام ، انصفوا الرجل أيها العرب ، الرجل الذى احتكم الى العقل والمنطق ، الرجل الذى يخطط من أجل تحقيق هذا السبق الحضارى المنشود والذى صنع نصر اكتوبر ، اننا لازلنا على بداية الطريق الطويل ، الطريق السوى الذى سيمكن الاعلام العربية والاسلامية من

ان ترفرف فوق الاماكن المقدسة ، وهو الطريق الذى نستطيع من خلاله أن نرفع علم فلسطين خفاقا منتصرا » ٠

ان السبق الحضارى هو الصراع الحقيقى والممكن المسموح به فى عالم اليوم ، ثم ان ما أنجزته مصر على طريق السلام حتى الآن قد اسقط كل احتمال للعودة الى طريق الحرب ، وجعل من حرب اكتوبر خاتمة الحروب ٠

ان المواجهة الحضارية مع اسرائيل واقع مفروض مهما ذهب المتفائلون بالسلام ، فالحياة نفسها مواقف ومواجهات وتحديات ، واذا كانت المدافع قد سكتت فان العقول على الجانبين لابد أن تكون قد بدأت، واذا كانت رحلة الحروب قد انتهت فان رحلة جديدة قد قامت لتتولى فيها العقول مسئولية المعركة ، ولا يمكن أن يفسر السلام مع اسرائيل الصهيونية على أنه رحلة استرخاء وبطالة وكسل ، بل لابد أن نرقب بكل حذر أهداف الشعار الاسرائيلى الجديد (نحو صهيونية جديدة) ٠

ان اسرائيل ، فى الحقيقة ، قد أخذت بأسباب التقدم والتطور ، وسبقتنا فى مجالات علمية وتكنولوجية لا مجال لانكارها ، وذلك يرجع الى طبيعة تكوينها والشروط التى كانت تقبل بها المهاجرين الاوائل اليها ، وكوننا (كنا) أعتق وأعرق حضارة ، وأول من تعلم وعلم الانسانية ، فهذه حقائق لا تحتاج لمزيد من التأكيد والمباهاة والتواكل ، لأن الحضارة لابد أن تنعكس وتستمر وتتصل ، وتمتد من الماضى الى الحاضر الى المستقبل ، ولكن مهما كانت الاسباب والمبررات وراء التقدم والتطور فى اسرائيل ، ووراء التأخر والتخلف فى مصر ، فان هذا لن يخفى الحقيقة ولن يغنى عن الحق ، فليس عيبا أن نعترف بالحقيقة لنواجهها ولنغيرها ، وليس عيبا أن نقر بالواقع لنتعامل معه ولننتصر عليه ٠

ان المجتمع المصرى فى حاجة لأن يعيد للشخصية المصرية توازنها وعناصر تفوقها التى صنع منها حضارته عبر التاريخ ، فالحضارة لن تكون فقط آلات متقدمة ومعدات حديثة ، ولكنها ستكون مزيجا رائعا بين الاصالة والمعاصرة ، والانسان المصرى قادر دائما على أن يعيد بناء نفسه بنفسه اذا توفر له المزيد من الحرية والديمقراطية •

ثم ان المواجهة الحضارية مع اسرائيل لا تعنى مطلقا أن نبـدد طاقاتنا المبدعة فى تأمل العبقرية لليهودية المزعومة أو تعقب الانجازات الاسرائيلية المصطنعة ، أو أن نصرف قدراتنا ساسة ومفكرين وعلماء ومثقفين فى وضع اسرائيل طول الوقت فى بؤرة عيننا واجراء مقـارنة يومية معها •

ان المواجهة الحضارية مع اسرائيل تتمثـل فى العلم والايمـان والتخطيط والالتـزام والوعى بالمشـكلة والاحسـاس بالزمن والعيش بالعمل واللحاق بالعصر والتمسك بالقيم •

ثم أن علينا نحن العرب أن نبدأ عمليـة (تحجيم اسرائيـل) كعنصر مشكل أو معوق دون تفريط أو افراط ، وأن نسقط عن أنفسـنا أنماط الفكر الجاهز ونماذج السلـوك العـاجز ، وأن نتحلل من آفـة (اطلاقية الاحكام) والميل الى تسبيب الظواهر والاحداث بسبب واحد مثل (اسرائيل والصهيونية) ثم الجمود والتوقف أمام هذا السبب ، واتخاذ موقف رد الفعل دون التحرك المدروس والتقدم المحسوب لأخذ زمام المبادرة ، ودون التأمل والنظر فى عيوبنا وسلبياتنا ، وبغير تقييم ولا تقويم لقدراتنا وامكانياتنا •

ان مصر الآن على أبواب مواجهـة حضـارية مـع اسرائيـل ، والصراع حتمى وممتد الى حيث أراد الله •• والى حين يتوقف على ارادة العرب ، ومصر قد قبلت التحدى وألقت القفاز فى وجه اسرائيل وأعلنت

بدأ المواجهة الحضارية بمبادرة الرئيس السادات بزيارة القدس الشريف .

لقد كانت مبادرة الرئيس السادات بزيارة القدس الشريف تبدو وكأنها مغامرة فنان يحلق فوق حواجز الزمان والمكان ، وأصبحت بعد توقيع معاهدة السلام تبدو وكأنها ضربة عبقرى من عباقرة السياسة يجمع بين الفكر والواقع ، بين التجربة والنتيجة ، بين المخاطرة المحسوبة والثمرة المطلوبة .

يقول جاكوب جافيتس أكبر مؤيدى الصهيونية فى الكونجرس الامريكى أمام الرئيس السادات عقب توقيع المعاهدة « انك ستعيد للعرب جميعا ،وليس لشعب مصر وحده ،فرصة التفرغ للخلق والابداع، ستعيد لهم هذه العبقرية التى تمتعوا بها ، واستطاعوا تعليم العالم كله علوم الطب والكيمياء والهندسة وفن المعمار ، وأنا لا أتكلم عن مصر الفرعونية بتاريخها الحافل المجيد الضارب فى أعماق الماضى السحيق بل عن مصر قائدة العالم العربى » .

ويقول عيزر وايزمان للاسرائيليين محذرا وناصحا « اذا كنا نريد بالفعل أن نفتح الطريق الى علاقات صحيحة مع المصريين فلنكن على حذر، ولنكن حريصين على أن نخلع الصلف وراء حدودنا قبل أن نلقاهم، ولنكن على وعى كامل بأن المصريين على بساطتهم يختزنون تجارب التاريخ . ان مهمتنا أن نظهر لهم أحسن ما لدينا ، وأن نفتش فى داخلنا عن طريق للتعايش السلمى معهم ، لقد صنعنا ذواتنا على استمرار الصراع ، فتشكلت نفوسنا وأفكارنا بهذا المعنى وتلك أولى مشاكلنا مع السلام » .

لقد كان قرار اكتوبر رسالة الى العالم تقول بكل الوضوح ان قضية الصراع العربى الاسرائيلى لن تتجمد كما كان مخططا لها ، كما

كان قرار نوفمبر رسالة أخرى مكملة للرسالة الاولى ومؤكدة ان مصر اكتوبر هي أيضا مصر (السلام والديمقراطية والرخاء) ٠

لقد صارت معاهدة السلام اعلانا بارزا للقادمين من أبنائنا وأبناء ابنائنا بأن جيلنا كان أمينا على حياتهم ، حريصا عـلى مستقبلهم ، شريفا مع نفسه ومع غيره وهو يفكر فيهم ويخطط لهم ، جديرا بالحب والاحترام وهو يزيل من طريقهم ومن أمام أعينهم لافتة ثبت كذبهـا وخداعها كانت تقول (لا صوت يعلو على صوت المعركة) ٠

لقد شقت مصر طريق السلام فى منطقة الشرق الاوسط بعـزم الرجال الاشداء وارادة الابطال الاقوياء ، وبنفس القوة التى عبرت بهـا قناة السويس واقتحمت خط بارليف ، فاكتملت الصورة ٠٠ وتوحدت ملحمة الحرب والسلام ٠

واذا كانت الحرب تمثل تحديا لقدرة الانسان وتتطلب شـجاعة فى مواجهتها ، فان السلام يتطلب بدوره شجاعة أعظم وقدرة أكبر على الارتفاع الى مستوى المسئوليات الوطنية والقومية ، وان هناك أوقاتا يتطلب فيها صنع السلام من الشـجاعة والقـدرة ما لا يتطلبه شـن الحرب ٠

ثم ان تحديات السلام لا تقل فى حجمها ووزنها عن تحـديات الحرب بل تزيد،فالحرب هي الجهاد الاصغر والسلام هو الجهاد الاكبر، والفرق بينهما أن السلام يعمر والحرب تدمر ، والتعمير لا ريب أصعب من التدمير ، ولكن اذا كنا قد استطعنا بالعلم والايمان أن ننتصر على تحديات الحرب فاننا وباذن الله سنستطيع بالعلم والايمان أيضا أن ننتصر على تحديات السلام ٠

ان السلام عملية ايجابية وليست سلبية ، انه يعمل ولا ينتظر ، انه يضع خططه ويجمع قواه وأسلحته ثم يهـاجم ويقتحم الابـواب

ويخترق الدفاعات المحكمة ويحيط بأعدائه ، وكما تشن الحرب ٠٠ يشن السلام ٠

يقول الرئيس السادات « ان الاختبار الحقيقي لعملية السلام يأتي عقب التوقيع على المعاهدة ، اننى لا أقلل من شأن الصعوبات التي سوف نواجهها في مرحلة ما بعد التوقيع ، ان مصر ليس لديها شعور بالمرارة لانها أسقطت كل العقد عقب حرب اكتوبر ، اننى أعلم أن مناحم بيجين سوف يقيم الدنيا ويقعدها – كما هي عادته دائما – أثناء المفاوضات الخاصة بتطبيق الحكم الذاتى الكامل في الضفة والقطاع ، ولكننى – وبمشيئة الله – سوف أقيم الدنيا وأقعدها له أيضا » ٠

ويؤكد الرئيس السوداني جعفر نميري أنه لو اعتقد مناحم بيجين أن كل ما يسعى اليه الرئيس السادات هو توقيع اتفاق منفرد فان رئيس وزراء اسرائيل لا يستحق أن يطلق عليه وصف رجل دولة ٠

ويتفاءل هنرى كيسنجر وزير الخارجية الامريكية السابق فى قوله « انه طبقا لتجاربى السابقة ، ففى كل مرة نبدأ فيها مباحثات جديدة تبدو معقدة ، وتمر بمرحلة من التشاؤم ، وتدور وكأنها دخلت الى طريق مسدود ، وأعتقد ن مباحثات الحكم الذاتى الكامل للفلسطينيين ستنجح بفضل صبر الرئيس السادات وتفاؤله » ٠

ويؤكد هارولد سوندرز مساعد وزير الخارجية الامريكية لشئون الشرق الاوسط أن الولايات المتحدة تعطى أهمية خاصة لمباحثات الحكم الذاتى الكامل للفلسطينيين ، وأنها ممثلة فى المفاوضات على أعلى مستوى حيث أن رئيس وفدها هو ممثل شخصى للرئيس الامريكى ، وأنها تنوى القيام بدور نشط والتقدم بمبادرة جديدة اذا ما وصلت المفاوضات الى طريق مسدود ٠

ويحذر برونو كرايسكى مستشار النمسا اسرائيل بقوله « ان اسرائيل ينبغى عليها أن تفهم أنها لن تستطيع الاستمرار طويلا فى التصرف مثل (دولة صليبية) فى منطقة الشرق الاوسط » ·

كما يحذر هيلموت شميت مستشار ألمانيا الغربية زعماء اسرائيل بقوله « اننى أتوقع حدوث اختراق سوفييتى داخل المنطقة العربية اذا لم يتم التوصل الى حل سريع وحاسم للمشكلة الفلسطينية » ·

كذلك يحذر فيليب كلوتنبيك رئيس المؤتمر اليهودى العالمى شعب اسرائيل بقوله « اننا اذا فشلنا فى هذا الاختبار فسوف يقال عنا أننا قد التقينا مع العدو وتبين لنا أن هذا العدو هو نحن أنفسنا » ·

وها هى استطلاعات الرأى العام الاسرائيلى ترى أن غالبية الشعب الاسرائيلى أصبحت تؤمن أنه لا يمكن تحقيق السلام الشامل فى الشرق الاوسط ما لم تحل المشكلة الفلسطينية ، ولعل اتجاه الرأى العام الاسرائيلى يتمثل فى قول مائير بيل زعيم حزب شيللى الاسرائيلى « ان أى شخص يحاول انكار حقوق الفلسطينيين اليوم لا يستحق أن يتولى ادارة دفة الامور فى اسرائيل » ·

يقول الكاتب الاسرائيلى هيرش جودمان فى صحيفة جيروزاليم بوست الاسرائيلية « يبدو أن هناك بعض الاسباب التى تدعو الرئيس السادات الى متابعة عملية السلام ، فهو ــ قبل كل شىء ــ المستفيد من أى مأزق فى المفاوضات ، واذا ما بحثنا عن مكاسبه التى نجح فى جنيها حتى الآن نجد أنه اجتاح أمريكا ، ادارتها وجزءا كبيرا من رأيها العام ، ووجهها الى صالحه ، انه نجح فى الحاق أشد الاضرار بالعلاقة الخاصة بين اسرائيل والولايات المتحدة ، كما أنه نجح فى تقسيمه البيت الاسرائيلى ، واذا لعب أوراقه جيدا ــ وهو غالبا ما يفعل ذلك ــ فان بامكانه أن يحافظ على العملية الحالية فى حالة غليان ، وبالتالى

يستمر فى المحافظة على ما قام ببنائه لنفسه بينما يتيح لاسرائيل الاستمرار فى البقاء منقوعة فى عصيرها ، ويقولون أن الوقت بالتأكيد ليس فى صالح اسرائيل فى هذه الحالة ، ان الاسباب لذلك للوضع واضحة ، ولكن السبب الرئيسى هو ان اللاعب الذى يتمتع بأعصاب باردة ولا يتأثر بالضغوط الخارجية تتوفر له أكبر الفرص للفوز » ·

ان كل ما توصلنا اليه حتى الآن هو الخطوة الاولى نحو التسوية الشاملة والعادلة وهو حجر الزاوية فى بناء السلام الشامل والعادل فى الشرق الاوسط ، وليس التوقيع على معاهدة السلام هو نهاية كل شىء انما مجرد البداية فقط ، وكما يقول الفريق كمال حسن « ان ما نحتاج اليه حاليا مع اسرائيل هو الصبر وليس الحرب » ، أو كما قال الرئيس السادات قبل ذلك « فلتكن حرب اكتوبر هى آخر الحروب » ·

ان الحروب العسكرية قد انتهت بيننا وبين اسرائيل بحرب اكتوبر بعد أن أثبتت التجارب أن العالم لن يسمح لنا بنصر حاسم ونهائى عليها ، وعلى حد قول الرئيس السادات فان وثيقتى كامب ديفيد « قد أسقطتا كل احتمال للحرب كبديل لحل المشكلة » ، ولكن الحرب بيننا وبين رواسب العقيدة الصهيونية سوف تستمر ليس بأدوات التقتيل والتخريب ولكن بوسائل أخرى حضارية لا تتوفر لنا الا فى جو السلام العادل والشامل وليس وسط ضجيج المعارك والاعداد المستمر لها ، وليصبح طريق السلام هو طريق المواجهة الحقيقية مع اسرائيل ·

لقد اكتسبت حرب اكتوبر التى وقعت فى (يوم كيبور) دلالة تربية ومغزى بعيدا يؤكد القول بأنها حرب شنتها مصر من أجل السلام ·

فلقد اعترف الاسرائيليون بأن حرب اكتوبر كانت لهـا نتـائج سلبية ضخمة بالنسبة لاسرائيل لانها أثارت الشك فى جميـع للقيم العقائدية والايديولوجية والاجتماعية والسياسية للـدولة اليهودية ، واليوم يرى الاسرائيليون أن لحرب اكتوبر جانبها الايجابى أيضا لانها تمثل الخطوة الاولى فى المسيرة نحو السلام ، ولانها تضفى قدرا كبيرا من الواقعية على صورة الحياة الحقيقية فى المنطقة العربية ٠

حقا ٠٠ لقد استطاعت حرب اكتوبر العظيم أن تلوى عنق التاريخ فى هذه المنطقة المثخنة بالجراح والآلام ، وأن تقدم لشعوبها أملا فى سلام دائم وعادل وشامل وعاجل ، باذن الله ٠٠ وبارادة الشعب ٠

« **وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم** » صدق الله العظيم ٠





تصدر عن
مركز النيل للاعلام
١ شارع دمياط
الجيزة ـ القاهرة
ت ٨١٢٢٠٨ ـ ٨١٢٨٦٢

الثمن ٢٥٠ م

